الرِّياض الفَيْحَاء
في
ذِكْر القادة الفاتِحين
أيَّام الخُلفاء

الريّاض الفَيْحاء في ذِكْر القادة الفاتِحين أيّام الخُلفاء

- **جيل الصحابة جيل قرآني فريد لسان حالهم يقول:**

تركنا البحار الزاخرات وراءنا   فمن أين يدري الناس أنَّا توجَّهنا

فماذا ظنك بقادة من الصحابة اكتحلت أعينهم برؤية النبي ﷺ، ومنهم من اختارهم قائد السادات للقيادة، وبعد موت النبي ﷺ اختارهم الخلفاء الراشدون لقيادة الجيوش وتحقيق أعظم الفتوحات، ومنهم من اكتحلت أعينهم برؤية النبي وشرف الصحبة وجاهدوا معه، ومنهم من لم يشرف بالجهاد معه ولكنهم تربَّوا على أعين الخلفاء الراشدين، وآتاهم اللَّه استعدادًا فطريًّا للقيادة، وشجاعة فائقة، وموهبة عسكرية فذَّة، وأشرقت وتلألأت في سماء مجد الإسلام وفتوحاته أسماؤهم، فتغيَّر وجه التاريخ بهم، وخطُّوا مواقف أعطر من شذا الورود، وأرق من نسيم الفجر، كان الرجل منهم أُمَّة... قادوا جيوش الإسلام في معارك أغرب من الأساطير .. فلله در خالد بن الوليد، ولله در أبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، والمثنى بن حارثة، والقعقاع وعاصم ابنا عمرو التميمي، وعتبة المرقال، وزهرة، والنعمان بن مقرن، وغيرهم رهبان الليل وفرسان النهار... من ملئوا المحاريب طاعة وسجودًا، والميادين بطولة تأخذ بالألباب.. وبكت الخيل غيابهم، وعلا الصوت «وامثناه.. ولا مثنى للخيل».

(٣٣٩) القائد الشهيد والصحابي البطل الذي جرَّأ المسلمين على مهاجمة الإمبراطورية الفارسية ومهَّد لفتح العراق المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه

- **«وامُثنَّاه ولا مثنَّى اليوم للخيل... وامثناه! ولا مثنى للعراق والمسلمين اليوم»:**

فارسنا وقائدنا الذي نشرف بالحديث والكتابة عنه هو المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان، وبنو شيبان قومه هم من أصل عدناني، وفرع من قبيلة «بكر بن وائل»، وقد قيل: «ليس في العرب أعزُّ من شيبان دارًا ولا أكثر حليفًا، وقد كان بنو شيبان من هامات ربيعة في الجاهلية، وهم أبطال معركة «ذي قار»، وقد امتد بهم المجد في الإسلام، فكان منهم بيوتات سجل لها التاريخ صفحات خالدة، وكان بنو شيبان طلائع الفتح الإسلامي في العراق، وكان المثنى بن حارثة من أشرافهم، وهو أول قائد عربي مسلم تجرَّأ على غزو ومهاجمة الإمبراطورية الساسانية في عقر دارها»(١).

وفد المثنى على النبي ﷺ سنة تسع مع وفد قومه، فأسلم(٢)، ولو كان قديم الإسلام لكان له ذكر في غزوات الرسول ﷺ نظرًا لشجاعته الفائقة ومواهبه النادرة في قيادة الرجال، لقد نال المثنى شرف الصحبة، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ.

يذكر التاريخ للمثنى أنه: «كان أول مسلم هاجم الإمبراطورية الفارسية في عقر دارها»(٣)، فحمل عن المسلمين عِبئًا لم يحمله غيره، وهو الذي جرَّأ المسلمين على

---

(١) انظر قادة فتح العراق والجزيرة لمحمود شيت خطاب ص (٣٩، ٤٠).

(٢) أسد الغابة (٤/٩٩)، والإصابة (٦/٤١)، والاستيعاب (٤/١٤٥٦).

(٣) جمهرة أنساب العرب ص (٣٠٥).

محاربة الفرس، ورفع معنويات العرب وحطَّم معنويات الفرس، وكانت أعماله العسكرية في العراق مقدمةً لفتحه فيما بعد، وكانت معركة «البويب» تمهيدًا لمعركة «القادسية» وإيذانًا بانهيار الإمبراطورية الفارسية، وقد كان شجاعًا إلى أقصى حدود الشجاعة، مقدامًا إلى أقصى حدود الإِقدام، وقد «أبلى في حروب العراق بلاءً لم يُبْلِه أحد»[١].

- **في حروب الرِّدَّة:**

عندما ارتدَّتْ ربيعة ـ وكانت في البحرين ـ، ثبت المثنى على الإِسلام مع من ثبت من قومه، فكتب العلاء بن الحضر مي إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل ـ ومنهم المثنى ـ أن يُعينوه على مكافحة المرتدِّين حتى يعودوا إلى الإسلام، فكان المثنى على رأس الذين أعانوا العلاء في مهمته الشّاقَّة، وضيَّق المثنى الخناق على مَنْ قِبَلَه من المرتدين، وكال لهم الضربات المميتة، وأخَذَ الطريق عليهم، ولم يَكْتَفِ بذلك، بل تابع السير شمالًا على شاطئ الخليج العربي؛ ليقاوم دسائس الفرس الذين شجَّعُوا المسلمين في منطقة الخليج على الرِّدَّة، ويقضي على أنصارهم من القبائل والأبناء[٢].

- **في الفتح:**

تقدَّم المثنَّى بقواته شمالًا من منطقة البحرين، فقضى على الفرس وعمَّالهم ممن عاونوا المرتدين في البحرين، حتى وضع يده على «القطيف» و«هجر» وحتى بلغ في تقدُّمه مَصَبَّ دجلة والفرات في الخليج العربي.

وتساءل الناس عن هذا القائد الذي يسير من نصرٍ إلى نصرٍ، وتساءل الصِّدِّيق أبو بكر رضي الله عنه قائلًا: «مَنْ هذا الذي تأتينا وقائعُه قَبْل معرفة نَسَبه؟»[٣]. فأجابه سيد

---

(١) الإصابة (٤١/٤)، وأسد الغابة (٢٩٩/٤).
(٢) قوم من العجم سكنوا البلاد العربية، واختلطوا بالعرب بالمصاهرة فتعلَّمُوا لغتهم.
(٣) الإصابة (٤١/٦).

أهل الوبر قيس بن عاصم المنقري: «هذا رجل غير خامِلِ الذِّكْر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، هذا المثنى بن حارثة»(١).

أَمُهَجِّنَ الشجعانِ والمُزْرِي بهمْ ... وتَرُوكَ كلِّ شجاعِ قومٍ عَاتِبَا
شادوا مناقِبَهم وشِدْتَ مَناقبًا ... وُجِدَتْ مناقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثالِبَا
خُذْ من ثناي عليكَ ما أسْطِيعُهُ ... لا تُلْزِمَنِّي في الثَّنَاءِ الواجِبَا
فَلَقَدْ دَهِشْتُ لما فَعَلْتَ ودُونَهُ ... ما يُدْهِشُ المَلَكَ الحفيظَ الكاتِبَا
قد عسكرتْ مَعَكَ الأُسودُ عساكرًا ... وَتَكَتَّبَتْ معك الرِّجالُ كتائِبَا
أسْدٌ فرائِسُهَا الأسود يقودُها ... أَسَدٌ تصير له الأُسُودُ ثعالِبَا(٢)

وجاء المثنى إلى المدينة المنورة لمقابلة الصِّدِّيق رضي الله عنه، وسأله أن يُؤمِّره على رجاله ليُهاجم بهم الفرس في العراق قائلًا: «يا خليفة رسول الله، استعمِلْني على قومي، فإن فيهم إسلامًا، أُقاتِلُ بهم أهل فارس، وأكفيك أهل ناحيتي من العدو»(٣). فكتب له أبو بكر رضي الله عنه بذلك عهدًا، فهو الذي «أطمع أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه والمسلمين في الفرس، وهوَّن أمر الفرس عندهم»(٤).

لله دَرُّه، فهو بحقٍّ كما يقول عنه عمر بن الخطاب: «مؤمِّر نَفْسِهِ»(٥).

واستمر المثنى رضي الله عنه على مُهاجمة أهل السواد، ثم بعث أخاه مسعودًا إلى أبي بكر يسأله المدد، فأمدَّه بخالد بن الوليد، على أن يتولَّى خالد القيادة العُليا، فلمَّا وصل خالد العراق، كتب إلى المثنى ليأتيه «فانقضَّ إليه جوادًا حتى لحق به»(٦). وهكذا تُسارع الرجولة إلى الطاعة!

---

(١) أسد الغابة (٤/٢٩٩)، وفتوح البلدان للبلاذري ص (٢٤٢).
(٢) من ديوان المتنبي بتصرف.
(٣) الإصابة (٦/٤١)، وأسد الغابة (٤/٢٩٩).
(٤) أسد الغابة (٤/٢٩٩).
(٥) أسد الغابة (٤/٢٩٩).
(٦) تاريخ الطبري (٢/٥٥٢).

وعندما وصل خالد إلى العراق، أُعجِبَ بالمثنى ومقدرته الحربية الفائقة، فكان خالد يعتمد على المثنى في حرب العراق كلَّ الاعتماد؛ بصفته من أشجع الرجال أولًا، وبصفته من أعلم الناس بالفرس؛ لأن قبيلته من مواطني العراق أيام الحكم الفارسي، زد على ذلك أن المثنى كان أوَّل من خاض المعارك مع الفرس، فعلم كثيرًا من أحوالهم وأساليبهم ونفسيَّاتهم، وكان المثنى قبل الإسلام حكيم قومه.

- **مع خالد:**

قَاتَلَ المثنى تحت لواءِ خالدٍ في كلِّ معاركه التي خاضها في العراق؛ تارةً تحت قيادة خالد المباشرة، وتارة قائدًا مستقلًّا، فبعد معركة «كاظمة» التي انتصر فيها المسلمون على الفرس، أمر خالدٌ المثنى أن يُطارد المنهزمين من الفرس، فطاردهم المثنى مطاردةً حاسمةً، كأنَّما يريد ألَّا يتركهم قبل أن يبلغ المدائن[١]. وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع خالد في معركة المزار، وهو الذي راقب الجيش الفارسي ورصدَ حركاته لخالد، وبقي خالد يستعين بالمثنى إذا حضر، ويستخلفه إذا غاب، وبعد فتح الحيرة والأنبار أرسله خالد لمهاجمة «سوق بغداد»، فأغار عليه وهزم المدافعين عنه[٢]. ولمَّا ورد أمْر أبي بكر إلى خالد بالحركة إلى أرض الشام لمقاتلة الروم، وأن يأخذ نصف الناس، ويستخلف المثنى على العراق في نصف الناس، أحضر خالد أصحاب رسول اللَّه ﷺ الذين كانوا معه، واستأثر بهم لنفسه، تاركًا للمثنى مثْل عددهم ممن لم يكن له مع الرسول ﷺ صُحبة، واستأثر لنفسه - أيضًا - بمن كان قدم على النبي ﷺ وافدًا، فأبى المثنى وقال: «واللَّه لا أُقيم إلَّا على إنفاذ أمر أبي بكر! وباللَّه ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي ﷺ».

فلمَّا رأى خالد ذلك أرضاه[٣]، ومضى لوجهه وشيَّعه المثنى إلى قراقر[٤]، ثم

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/١٤٨). (٢) الطبري (٢/٥٨٤).

(٣) ابن الأثير (٢/٢٥٦)، والطبري (٢/٦٠٥).

(٤) قراقر: واد أصله من الدهناء، وقيل ماء لكلب. وقراقر أيضا واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق، وكلها حول ذي قار.

رجع إلى الحيرة في المحرم، وقال خالد للمثنى: «ارجع رحمك اللَّه إلى سلطانك غير مقصر ولا وان»[١].

المثنَّى القائد العام

- **الصديق أعطى القوسَ باريها:**

كان الموقف العسكري في العراق عند مغادرة خالد له خطيرًا للغاية؛ فقد كانت قوات المثنى قليلة بالنسبة لقوات فارس، وكانت خطوط مواصلاته بعيدةً بالنسبة لخطوط مواصلات الفرس، أمَّا المشاكل الداخلية في بلاد الفرس، فقد أصبحت أقلَّ من السابق بعد اتفاق الفرس على رفع «شهر براز بن أزدشير» إلى العرش، فلمَّا اطمأنَّ الأمر له، كان إجلاء المسلمين عن العراق أوَّل ما استقرَّ عليه عزمه، ولعلَّ شعور خالدٍ بخطورة الموقف في العراق هو الذي دفعه إلى ترحيل النساء والصبيان والضعفاء من الرجال إلى المدينة قبل سفره إلى الشام، وبلغ المثنى أنباء حشْد فارس لمهاجمة قواته، فسار حتى بلغ بابل، وانتظر هناك عشرة آلاف مقاتل فارسي يقودهم «هرمز جاذويه».

- **معركة بابل أواخر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة هجرية، المثنَّى قاتل الفيل:**

كتب ملك الفرس «شهر براز» إلى المثنى رسالة قبل المعركة، تدلُّ على كبرياء سخيفة ممقوتة، تحمل كل معاني الاستخفاف بالمثنى وجيشه، ونسي أن هذا الجيش - على قلَّة عدده - هو الذي أَنْزَلَ أشنع الهزائم بما يقرُب من نصف مليون مقاتل فارسي في معارك متفرِّقة، وهو في كل معركة لا يزيد على عشرين ألفًا، فكتب ملك الفرس إلى المثنى: «من شهر براز إلى المثنى، لقد بعثتُ إليك جندًا من وخش[٢] أهل فارس، إنما هم رُعاة الدَّجاج والخنازير، ولست أُقاتلك إلَّا بهم». فردَّ

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ص (٢٥٠).

(٢) أي: من أسقاطهم وأراذلهم.

عليه المثنى: «من المثنى إلى شهر براز، إنما أنت أحَدُ رجُلَيْن، إمَّا باغٍ، فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا، وإمَّا كاذبٌ، فأعْظَمُ الكذَّابين عقوبةً وفضيحةً عند اللَّه في الناسِ الملوكُ، وأمَّا الذي يدلُّنا عليه الرأي، فإنكم اضطررتم إليه، فالحمد لله الذي ردَّ كيدكم إلى رُعاة الدَّجاج والخنازير»[1]. وتشاءم الفرس من جواب المثنى وقالوا: إنما أُتي «شهر براز» من شؤم مولده وشؤم منشئه. وقالوا له: جرَّأتَ علينا عدوَّنا ببعْث الكتاب إليه. وجعل المثنى على ميمنة جيشه أخاه المعنَّى بن حارثة، وعلى ميسرته أخاه مسعود بن حارثة، وكان أكثر جنده من قومه شيبان وبكر بن وائل، فاستماتوا في القتال، وكان جلُّ اعتماد الفرس لتمزيق صفوف المسلمين على الفيل المدرَّب على القتال، وبدأت المعركة عنيفةً فاشيةً شديدةً، وكان الفيل مدرَّبًا أحسن تدريب على القتال، وفرَّق صفوف المسلمين، وكان لا يقف في وجهه شيءٌ، فخشي المثنى أن يكون لمساندة هذا الفيل لجيش فارس تأثيرٌ سيِّئ خطير على جند الإسلام، الذي أربك هذا الفيل صفوفه، فسارع المثنى نفسه وفئة من المغاوير إلى الفيل، حتى أصابوا من الفيل مقتلًا، فخسر الفرسُ ـ والمعركةُ على أشدِّها ـ أهمَّ مُسانِدٍ لهم ضد المسلمين، ولم يكد الفيل يقع على الأرض حتى جزِع الفرس جزعًا شديدًا، ثم تحوَّل جزعهم إلى هزيمةٍ كاملة، فشرعوا في الهرب وسيوفُ المسلمين تأخذهم من كل جهة، واستطاع المسلمون أن يُبيدوا المشاة عن آخرهم، أمَّا الفرسان من الفرس فقد أركضوا خيلهم هاربين، فطاردهم فرسان المسلمين، فصاروا يأسرون ويقتلون مَنْ يقدرون عليه، وطالت مطاردة المثنى لهم حتى وصل في مطاردتهم أبواب المدائن، وفرَّ «هرمز جاذويه» من الميدان، وشاع خبر موت الملك «شهر براز» في أثناء هزيمة الفرس، فزادهم خبالًا على خبال. قال عَبْدَةُ بن الطيِّب عن هذا اليوم:

حلَّتْ خُوَيْلَةُ في حيٍّ عهدتُهُمُ ... دونَ المدائِنِ فيها الدِّيكُ والفيلُ
يُقارِعون رءوسَ العُجْمِ ضاحيةً ... منهمْ فوارسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٤١٢)، والكامل لابن الأثير (٢/١٦٠).

وقال الفرزدق مُثنيًا على المثنى:

وبيتُ المُثَنَّى عاقِرِ الفيلِ عَنْوَةً ... بِبَابِلَ إذْ في فَارِسٍ مُلْكُ بابِلِ

وكتب المثنى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يخبره بانتصاره، ويستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبتهم من أهل الرِّدَّة، بل غادر المثنى العراق إلى المدينة ليُخبر الصِّدِّيق خبر المسلمين والفرس - واستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية، ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة العجلي - فوصل إليها قبل موت الصِّدِّيق بيومٍ واحد، واستأذن المثنى الصدِّيق في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين؛ فإنهم أنشط للقتال من غيرهم، وأوصى الصِّدِّيق عمرَ بن الخطاب بأن يندب الناس مع المثنى، ولمَّا مات الصِّدِّيق، أصبح عمر من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه فاستنفر الناس للانضواء تحت لواء المثنى، وأحجم الناس عن قتال الفرس، وكان قتال الفرس من أكره الوجوه إلى العرب؛ لِمَا عُرفوا به من عنادٍ وصبرٍ في القتال، ولشدَّة سلطانهم وعزِّهم وقوة شوكتهم وقهرهم الأمم، وقام المثنى يهوِّن من أمر الفرس، فقال في مسجد رسول الله ﷺ: «أيها الناس، لا يعظُمَنَّ عليكم هذا الوجه - أي الفرس - فإنَّا قد بَحْبَحْنَا رِيفَ فَارس، وغلبناهم على شقَّي السَّواد، وشاطرناهم ونِلْنا منهم، واجترأ مَنْ قِبَلنَا عليهم، ولها ما بعدها إن شاء الله»[١]. فتوالى المتطوِّعون حتى بلغوا ألف رجُلٍ من المدينة المنورة فقط، وعاد عمر إلى نَدْب الناس إلى العراق قائلًا: «أين الطُّرَّاء المهاجرون عن موعود الله؟! سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يُورثكموها؛ فإنه قال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]. والله مظهر دينه ومعزُّه وناصره، ومُوَلِّي أهله مواريث الأمم، أين عبادُ الله الصالحون؟!». وهنا قام أبو عبيدة بن مسعود الثقفي فقال: أنا لها. وقال عمر: «والله لا أُؤمِّر عليكم إلَّا أوَّلهم انتدابًا». فأمَّر أبا عبيدة على المثنى ومن معه، فسمع المثنى وأطاع بقلب تقيٍّ طاهرٍ صافٍ. قال عمر بن الخطاب: «يرحم الله أبا بكر،

(١) تاريخ الطبري (٢/٦٣١)، والكامل (٢/١٦٦).

هو كان أعْلَم بالرِّجال مني». وقد كان عَزَلَ خالد بن الوليد والمثنى وقال: «إني لم أعزلْهما عن ريبةٍ، ولكنَّ الناس عظَّموهما، فخشيتُ أن يوكَّلوا إليهما»[1].

كان الصِّدِّيق معجبًا بالمثنى إعجابه بخالد بن الوليد، وكان يراه لا يقلُّ عن خالدٍ في كفاءته الحربية، وبلغ المثنى الذُّروة من المجد وعلوِّ الصِّيت، وكان كخالدٍ؛ لم ينهزم في معركةٍ واحدة، ولم تنكَّس له راية.

- **رجل العراق الأوَّل يُفوِّت على الفرس إبادة المسلمين، وينسحب منه دون علمهم:**

وصل إلى المثنَّى من استخباراته أن «رستم» قائد الفرس يؤلِّب أهل العراق والفرس من أعالي الفرات إلى مَصَبِّه، وأن السَّواد بعد اشتعال ثورته ضد المسلمين سيطوِّق جيش المسلمين، ويُبيده بالتعاون مع ثلاث مئة ألف مقاتل من الفرس، وكان هدف رستم قطْع خطوط الرَّجعة على المسلمين، واحتلال الحيرة ثم إبادتهم، ولا سيَّما أن قوات المسلمين مبعثرة في نواحي العراق، وكانت خطة رستم تقضي بالإيعاز إلى أهل كل بلدةٍ أو موقعٍ، من الفرس أو العرب المُتَنَصِّرة، بأن يشغبوا ويثوروا على حاميات الإسلام، وَوَعَدَهم بالمدد السريع من الجيش ليُبيدوا هذه الحاميات؛ كل حامية على حدةٍ، ولكن المثنَّى العبقري أفسد على رستم خُطَّته، فقد أرسل البريدَ العاجل خفيةً أمرًا إلى جميع المسالح والحاميات والمواقع وفصائل الاستخبارات خارج الحيرة، بأن تترك مواقعها وتتحرك بأسرع ما يمكن إلى الحيرة، ودهش رستم عندما وجد اللَّيث الهصُور والعبقري الخبير «المثنَّى» قد سبقهُ، وسَحَبَ كل جندي إلى الحيرة، ثم انسحب من الحيرة بكامل جيشه إلى حدود شبه الجزيرة، دون أن تعلم مخابرات الفرس إلَّا بعد أن وصلها أن المثنى أنهى انسحابَهُ إلى خفان دون أن يخسر مقاتلًا واحدًا، فتألَّم رستم، وعلم أنه أمام قائد من أعظم قادة العالم، ولما وصل أبو عبيدة إلى خفان، وأقرَّ المثنَّى على ما صنع، عَلِمَ

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/٢٨٢).

أن الفرس نزلوا «النمارق» فسار إليهم بقوات المسلمين، وجعل المثنى على الخيل، فاقتتل الطرفان قتالًا شديدًا، وانهزم الفرس أمام المسلمين، ووقع قائدهم «جابان» أسيرًا.

مئة ألف لا يصمدون أمام تسعة آلاف... يا لله!!

والتقى المسلمون بالفرس بعدها في معركة «السقاطية» فانتصر المسلمون بعد قتالٍ شديد، فأقام أبو عبيدة بناحية «كسكر» وسرَّح المثنى إلى «باروسما» وسرَّح غيره من القادة يُغيرون على تلك النواحي، ويُخضعونها للمسلمين، والتقى الطرفان في معركة «الجالينوس» فانهزم الفرس أيضًا، وقدم المثنى الحيرة، واستقرَّ بها، ووجَّه أبو عبيدة المثنى إلى «زندورد» فوجدهم قد نقضوا فحاربهم وانتصر عليهم.

- **معركة الجسر**

وتُعرف أيضًا بالمروحة، والقرقس، وقس الناطف، وفيها أنقذ المثنى جيش المسلمين من هلاك محقق، وحمى عبور الجيش وانسحابه:

حشد الفرس جيشًا عظيمًا بقيادة «بهمن جاذويه» فعبر إليه أبو عبيدة بجيشه، مُخالِفًا من كان معه من قادة الجيش، وقبل نشوب القتال بين الطرفين، عيَّنَ أبو عبيدة الأمراء الذين يتولَّون قيادة المسلمين من بعده إذا استشهد، وكان من بين الذين عيَّنَهم: المثنَّى، فلمَّا استشهد أبو عبيدة، واستشهد الذين تعاقبوا على اللواء حَسَب وصيَّته من بعده، تولَّى المثنى، وكانت معنويات الناس حينذاك قد انهارت، فارتدَّ كثير منهم إلى الجسر، يريدون النجاة بأنفسهم، وغرق في النهر حوالي ألفين استشهدوا كلهم غرقًا، وأقدم عبدالله بن مرثد الثقفي على قطْع الجسر، وخرَّبه، ووقف عند الجسر يمنع المسلمين من محاولة العبور على ما تبقَّى من الجسر، وقال: «أيها الناس، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم، أو نظفر». فضربَهُ المثنى؛ إذ كان في نسْف الجسر إبادةٌ كاملة لجيش المسلمين، وحدث فعلًا ما يُشبه المعجزة، وسارع البطل المغوار، الذي لا تعرف نَفْسُه الجزع «المثنى» ومعه أبطالٌ من المسلمين

لإِصلاح الجسر، ومقاتلة الفرس الذين احتشدوا بقصد منْع إصلاحه، وكان معه: عروة بن مسعود، وعاصم بن عمرو، ومذعور بن عدي، والكلج الضَّبِّي، وعروة بن زيد الخيل، وسليط بن قيس الأنصاري، وطَلَبَ المثنى من هؤلاء أن يكونوا إلى جانبه؛ لمقاتلة الفرس الذين أوكل إليهم «بهمن جاذويه» منْع المسلمين من العبور، إن هم تمكَّنوا من إصلاح الجسر، ونادى المثنى الذين تمكَّنوا من العبور - إن هم تمكَّنوا من العبور إلى الشاطئ الغربي - أن يأتوا في الحال بخبراء من الفرس ممن هم في ذمتهم وصُلْحهم؛ لإِصلاح الجسر، فأُحضروا في الحال، فقام هؤلاء العجم في الحال بإقامة الجسر، وفي الوقت نفسه كان المثنى ومن معه من الأبطال - الذين اختارهم حماة له - يقاتلون الفرس الذين كلَّفهم «بهمن جاذويه» بمنْع المسلمين من العبور، فقد قاتلهم المثنى ورجاله في شجاعةٍ تفوق الخيال، فأعملوا فيهم السيوف باستماتةٍ حتى دحروهم، وأفسحوا المجال للمنسحبين أن يعبروا إلى الشاطئ الغربي، وسقط كثيرٌ من مفارز الحماية الأبطال، الذين كانوا يحمون المثنى وهو يُشرف على إصلاح الجسر، وجرح المثنى نفْسُه جرحًا مميتًا عند الجسر، ولكنَّه رَبَطَه، وبرز البطلُ الأسد الهصور الجريح على صهوة جواده عند الجسر كالطَّود، ودمه الطاهر يسيل، وقف يصيح بالمسلمين؛ يطلب منهم الانسحاب عبر الجسر: «أيها الناس، أُناديكم فاعبروا على هيِّنتكم[١]، ولا تدهشوا، فإنَّا لن نُزايل[٢] حتى نراكم في الجانب الآخر». وهكذا بفضل الله، ثم بشجاعة، وثبات وتدبير المثنى، تمَّتْ عملية عبور الجيش المسلم، ونجا ستة آلاف من موتٍ كان محقَّقًا لو لم يوفِّق اللهُ المثنى لإِصلاح الجسر والثبات عنده، الذي دفع حياته الغالية ثمنًا لإِصلاحه والثبات عنده، فقد مات رضي الله عنه بعد أكثر من شهرين، متأثِّرًا بجرحه الخطير، ولكن قبل موته منَّ اللَّه عليه بالنصر وشفى غليله من الفرس.

---

(١) على مهلكم.
(٢) أي لن نتحرك من أماكننا حتى نحمي عبوركم.

نسأل اللَّه للصحابي الجليل المثنى أن يكون ممن يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله وأن يكون ممن يضحك اللَّه إليهم يوم القيامة.

ففي خالد بن الوليد يوم مؤتة، والمثنى يوم الجسر يصدق قول رسول اللَّه ﷺ «سبعة في ظل العرش، يوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر اللَّه ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، من شدة حبه إياها، ورجل يحب عبدًا لا يحبه إلا لله، وإمام مقسط في رعيته، ورجل يعطي الصدقة بيمينه، يكاد يُخفيها عن شماله، ورجل عرضت عليه امرأة نفسها، ذات منصب وجمال، فتركها لجلال الله، ورجل كان في سرية مع قوم، فلقوا العدو فانكشفوا، فحمى آثارهم، حتى نَجُوا، ونجى أو استشهد»[1].

ويصدق فيهما وفي فعلهما الجميل يوم مؤتة ويوم الجسر قول رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله ﷻ، فإما أن يُقتَل وإما أن ينصره اللَّه ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟ والذي له امرأة حسنة وفراش لينٌ حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد. والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب، فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر في ضرَّاء وسرَّاء»[2].

بعد معركة الجسر ارفضَّ عن المثنى ألفان، واصلوا هزيمتهم حتى وصلوا المدينة، وخجل ألفٌ من أبناء البادية، فاختفوا خجلًا في باديتهم، وبقي مع البطل الجريح «المثنى» ثلاثة آلاف.

---

(١) حديث حسن: روته أم الفضل تبيبي الهرثمية في جزئها، وأبو نعيم من هذا الطريق في «فضل العادلين» عن أبي هريرة.
قال الحافظ بن حجر: هذا حديث حسن، غريب جدا في ألفاظه، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع».

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء وقال: إسناده حسن، وقال الهيثمي في «المجمع» «رجاله ثقات»، وحسننه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (٦٢٥).

- **أسر المثنى لجابان ومرادنشاه من كبار قوَّاد فارس وقتله لهما في أُلَّيْس الصغرى:**

في اليوم الثاني لمعركة الجسر ظنَّ الفرس أن معركة الجسر ساحقة ماحقة، وما دروا أن الأسد كامِنٌ في مربضه، وخرج الفرس يتنزَّهون، ولما علم المثنى بذلك، خرج في جريدةٍ من الخيل، في اتِّجاه «أُلَّيْس» حيث المكان الذي يتنزَّه فيه اثنان من كبار قُوَّاد فارس «جابان، ومرادنشاه» في حرسهما، وهجم عليهما المثنى، فلم يُفيقا من صدمة الدهشة إلَّا وهما أسيران في يد المثنى، وقتلهما وهو يقول لهما: «أنتما غرَّرتُما بأميرنا وكذبتماه واستفززتماه» وضربَ أعناق حرسهما جميعًا.

- **معركة البويب[1] ثالث عشر من رمضان، وقتْل مئة ألف فارسي فيها:**

تتابعت على المثنى الإِمدادات من المدينة فجاءت بجيلة وعلى رأسها جرير بن عبدالله البجلي، ونفلهم عمر رُبع الخمس، وبعث عمر عصمة بن عبدالله الضبي فيمن تتبعه إلى المثنى، وكتب عمر إلى أهل الردة[2]، فلم يأته أحد إلا رمى به المثنى، وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا إليه في جمع عظيم، وحشد المثنى جيشه في «البويب»، وكانت عدَّة الجيش اثني عشر ألفًا، بينما جَمَعَ «رستم» جيشًا عظيمًا، جَعَلَ قيادته لمهران بن باذان، وكان قائدًا محنَّكًا شجاعًا ماهرًا، وكانت عدَّة جيش الفرس مئة ألفٍ من الفرسان، وخمسين ألفًا من المشاة.

ونزل ببَسُوسْيَا فقال المثنى: «أكْدَى مهران وهلك، نزل منزلًا هو البسوس».

وبعث مهران إلى المثنى يقول: «إمَّا أن تعبروا إلينا، وإمَّا أن نعبر إليكم، فقال المثنى: «اعبروا أنتم». فعبر مهران بجيشه، وعبَّأ المثنى أصحابه، وكان الوقت رمضان، فأمرهم بالإفطار ليقووا على عدوهم؛ فأفطروا وخرج المثنى على فرسه «الشُّموس»، وكان لا يركبه إلا لقتالٍ، وطاف راكبًا بين الصفوفِ؛ يَحُضُّهم

---

(١) البويب: مما يلي الكوفة اليوم.

(٢) مراده من تاب من أهل الردة.

ويُحرِّضهم، ويهزُّهم بأحسن ما فيهم، فكان يقف عليهم رايةً رايةً، ويقول: «إني لأرجو ألَّا تُؤتى العرب من قِبَلِكم، واللَّه ما يسرُّني اليوم شيء لنفسي إلا وهو يسرُّني لعامَّتكم»[1]. ولقد أنصفهم في القول والفعل، وخالط الناس في المكروه والمحبوب، فلم يستطع أحد أن يعيب له قولًا ولا عملًا، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

وكان على مجنبتيْ المثنى بشير بن الخصاصية، وبُسْر بن أبي رُهْم، وعلى مجردته «المعنى» أخوه، وعلى الرَّجل مسعود أخوه، وعلى الردء مذعور، وأقبل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجل أمام فيلهم، ولهم زجل، فقال المثنى للمسلمين: «إن الذي تسمعون فشل، فالزموا الصمت، وائتمروا همسًا»[2].

وقال المثنَّى: «إني مكبِّرٌ ثلاثًا، فتَهَيَّئُوا، ثم احملوا مع الرابعة»، ولكنه ما كاد يكبِّر التكبيرة الأُولى، حتى أعجل الفرس المسلمين وعاجلوهم وشدُّوا عليهم؛ فاختلَّتْ بعض صفوف المسلمين من بني عجل، فأرسل المثنى من يقول لهم: «إن الأمير يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: لا تفضحوا المسلمين اليوم» فاعتدل بنو عجل، وهاجموا قوات فارس، واشتبك الطرفان في قتالٍ مرير، ففكَّر المثنى بأن يحمل بنفسه على قائد الفرس، فيُزيله عن مكانه أو يقتله، فحمل على «مهران» حملةً صادقةً حتى دخل ميمنته، ورأى الفرس ما حدث؛ فاندفعوا لحماية قائدهم؛ وعندما انكشف الغبار، رأى المسلمون تراجُعَ قلبِ الفرس، فحملت ميمنةُ المسلمين وميسرتُهم، فسارع الفرس إلى التَّراجُع نحو النهر؛ خوفًا من التطويق، يريدون النجاة بأنفسهم.

لقد كان المثنَّى قائدًا عميقًا في علم النفس العسكري، قبل أن يخُطَّ أي أستاذٍ متخصِّص في هذا العلم بقرون، فيقول - رحمه اللَّه - لجنده محرِّضًا، لَمَّا رأى ما رأى من الفرس: «عاداتكم في أمثالهم: انصروا اللَّه ينصركم». ثم سابَقَ المثنى الفرس

(١) تاريخ الطبري (٢/٦٨٤)، والكامل لابن الأثير (٢/٢٨٩).
(٢) الكامل لابن الأثير (٢/٢٨٩).

المنسحبين إلى الجسر، فسبقهم إليه وقطعه، وبذلك قطع خطَّ رجعتهم الوحيد، وكبَّدهم مئة ألف قتيل، وترك المثنى أخاه مسعود بن حارثة شهيدًا، فقال المثنى: «أيها الناس، لا يَرُعْكم مصرعُ أخي؛ فإن مصارع خياركم هكذا، والله إنه ليهوِّن عليَّ وجْدي أن شهدوا «البويب»، أقْدَمُوا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا، وإن كان في الشهادة كفَّارة لتجوز الذنوب»[1]. وقال المثنى بعد المعركة: «قد قاتلتُ العرب والعَجَم في الجاهلية، والله لمئةٌ من العجم في الجاهلية كانوا أشدَّ عليَّ من ألفٍ من العرب، ولمئةٌ اليوم من العرب أشدُّ عليَّ من ألفٍ من العجم، إن الله أذْهَبَ بأسهم ووهَّن كيدهم، فلا يَرُوعَنَّكم زهاء[2] ترونه، ولا سوادٌ[3] ولا قسي فج، ولا نبال طوال، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها؛ كالبهائم أينما وجَّهتموها اتجهتْ»[4].

لله دَرُّك يا مثنَّى وأنت تقول عن الفرس: إنهم «كالبهائم أينما وجَّهتموها اتجهت».

لله دَرُّك وأنت تقول لرجالك في المعركة ـ لما أتى الفرس وصيحاتهم في المعركة تهدر: «إن الذي تسمعون فشل، فالزموا الصمت وَائتَمِرُوا همسًا».

واستمرَّت مطاردةُ المسلمين فلولَ المنهزمين يومًا وليلةً، وترك الفرسُ مئة ألفٍ، حتى صاروا جثثًا «فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رِمَّةً منها. وحدَّثني بعض من شهدها: والله إنَّا كُنَّا لنأتي البويب، فنرى فيما بين موضع السكون عظامًا تلولًا تلوح من هامهم وأوصالهم يُعْتَبر بها»[5]. وقال عطية بن الحارث: «وأفعموا جنبتي البويب عظامًا حتى استوى، وما عفى عليها إلا التراب

---

(١) الطبري (٢/٦٥٠)، وابن الأثير (٢/٢٩٠).

(٢) منظر.

(٣) كثرة.

(٤) الطبري (٢/٦٥٠ـ ٦٥١).

(٥) تاريخ الطبري (٣/٤٦٧).

أزمان الفتنة، وما يُثار هناك شيء إلا وقعوا منها على شيء» «وسُمِّي ذلك اليوم «الأعشار» أُحصِيَ مئة رجل قتل كل رجل منهم عشرة، وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة».

ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين، منهم مسعود أخو المثنى، وخالد بن هلال، فصلى عليهم المثنى، وقدَّمهم على الأسنان[١] والقرآن.

وكان قد أصاب المسلمون غنمًا ودقيقًا وبقرًا فبعثوا بها إلى عيال من قدم من المدينة وهم بالقوادس.

وقُتِل في المعركة قائد الفرس مهران، وقُتِل صاحب خيله «شهر براز» وأرسل المثنى الخيل في طلب العجم فبلغوا السَّيب.

وغنم المسلمون من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئًا كثيرًا فقسَّمه فيهم، ونفل أهل البلاء من جميع القبائل، وأعطى بجيلة ربع الخمس.

وأمر المثنى رجاله بالاندفاع في مطاردة الفرس، ففتحوا السَّواد كله حتى بلغوا ساباط لا يخافون كيدًا ولا يلقون مانعًا، ورجعت مسالح العجم إليهم وسرَّهم أن يتركوا ما وراء دجلة.

يقول الأعور العبدي يذكُر معركة البويب:

هاجتِ الأعورَ دارُ الحيِّ أحزانَا ... واستبدلتْ بعدَ عبدِ القيسِ خفَّانا

وقد أرانا بها والشَّمْلُ مجتمِعٌ ... إذْ بالنَّخيلة قتلى جُندِ مهرانَا

أزْمَانَ سار المُثَنَّى بالخيولِ لهمْ ... فَقَتَّلَ الزَّحْفَ من فُرسٍ وجيلانَا

سما لمهرانَ والجيشِ الذي معه ... حتى أبادهموا مثنًى ووُحْدانَا

ما إنْ رأيْنا أميرًا بالعراق مضى ... مِثْلَ المثنَّى الذي من آلِ شَيْبَانَا

إن المُثَنَّى أميرُ القومِ لا كَذِبٌ ... في الحرب أشجعُ من ليثٍ بخفَّانَا

لقد كان نصر المسلمين في البويب مثل انتصار المسلمين في اليرموك وفي الشام،

---

(١) أي: الأكبر سنا.

يعادله تمامًا كما قال ابنُ كثير، وهو العامل الأكبر الذي أدَّى إلى انتصار المسلمين في القادسية ومهَّد له، لقد أدَّى انتصار اثني عشر ألفًا من الأبطال، وإبادتهم لأكثر من مئة ألفٍ من الفرس ـ كلهم تقريبًا من الفرسان ـ إلى شحن نفوس زعماء الفرس بالاحتقار والحقد للقادة الكبار، إلى درجة أنهم هدَّدوا هؤلاء القادة بعد البويب بقتلهم إن لم يبدِّلوا أسلوبهم في مُقاتلة المسلمين.

- **بين البويب والقادسية:**

يرى المعلِّقون العسكريون أنه بالنظر من الوجهة العسكرية المجرَّدة، أن رجال البويب أتوا بأعظم مما أتى به رجال القادسية، فجيش الإسلام يوم البويب كان اثني عشر ألفًا، ويوم القادسية ثلاثين ألفًا، دعَّمهم وصول المدد المتعاقِب، على رأسه هاشم والقعقاع، وكانَ معظم جيش الفرس في البويب من الفرسان لا المشاة، وتمكَّن جيش المسلمين من إبادة مئة ألف من الفرس وأكثر في البويب، بينما في القادسية أبادوا ثلاثين ألفًا.

وممَّا أدَّى إلى اشتهار القادسية: أنها كانت بقيادة «رستم» الرجل الأوَّل للفرس، وقُتِل فيها، وعنفُ المعركة واستمرارها بدون انقطاعٍ ثلاثةَ أيامٍ متوالية، وتمكُّن العرب بعد القادسية من تطهير العراق العربي نهائيًّا من العنصر الفارسي بعد سقوط المدائن، ونَقْل المعركة إلى بلاد فارس، ولم تقُم للفرس قائمة بعد «نهاوند».

- **الغارة على أسواق الفرس في الخنافس وبغداد:**

خلَّف المثنى بالحيرة بشير بن الخصاصية، وسار يمخر السواد، وأرسل إلى ميْسان، ودَست ميْسان[1]، وأذكى المسالح، ونزل أُليس[2]، وهذه الغزوة تُدْعى «غزوة الأنبار الآخرة، وغزوة أليس الآخرة».

وجاء إلى المثنى رجلان أحدهما أنباري فدله على سوق الخنافس، والثاني

(١) كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط.
(٢) قرية من قرى الأنبار.

حِيْرِي دله على بغداد، فقال المثنى: أيتهما قبل صاحبتهما.

فقالا: بينهما مسيرة أيام. قال: أيهما أعجل؟ قالا: سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد، وربيعة، وقضاعة يخفرونهم.

فركب المثنى وأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خيلان من ربيعة وقضاعة، وعلى قضاعة رومانس بن وبرة، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء؛ فانتهب السوق وما فيها وسلب الخفراء، ثم رجع فأتى الأنبار فتحصن أهلها منه، فلما عرفوه نزلوا إليه وأتوْه بالأعلاف والزاد، وأخذ منهم الأدلَّاء على سوق بغداد، وأظهر لدهقان الأنبار أنه يريد المدائن، وسار منها إلى بغداد ليلًا وعبر إليهم، وصبَّحهم في أسواقهم، فوضع السيف فيهم وأخذ ما شاء، وقال المثنى: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، والحرَّ[1] من كل شيء، ثم عاد راجعًا حتى نزل بنهر السَّيْلحين[2] بالأنبار فسمع أصحابه يقولون: ما أسرع القوم في طلبنا؟ فخطبهم وقال الرجلُ القمةُ أستاذُ الحروب لأبطاله ـ بعد أن أغاروا على سوق الخنافس وبغداد وعادوا في يومٍ واحدٍ، وبعد أن أوغلوا في غاراتهم حتى العُمق، وكان بينهم وبين المدائن ثلاثون كيلو مترًا ـ: «تناجوا بالبرِّ والتقوى، ولا تناجَوْا بالإِثم والعدوان، انظروا في الأمور وقدِّروها ثم تكلَّموا، إنه لم يبلغ النَّذير مدينتهم بعدُ، ولو بلغهم لَحَالَ الرُّعب بينهم وبين طَلَبِكم، إن للغارات روعاتٍ تنتشر عليها يومًا إلى الليل، ولو طلبكم المحامون من رأي العين، ما أدركوكم وأنتم على الجياد العراب وهم على المقاريف البطاء، حتى تنتهوا إلى عسكركم وجماعتكم، ولو أدركوكم لقاتلتُهم لاثنين: التماس الأجر، ورجاء النصر، فثِقُوا باللَّه وأحْسِنُوا به الظَّنَّ، فقد نصركم في مواطن كثيرة وهم أَعَدُّ منكم، وسأُخبركم عني وعن انكماشي والذي أُريد بذلك، إن خليفة رسول اللَّه ﷺ أبا بكر أوصانا أن نقلِّل العرجة، ونُسرعَ الكرَّة

(١) الحر: الحسن والجميل.

(٢) السيلحون: وهي ناحية قرب الحيرة ضاربة في البر بينها وبين القادسية.

في الغارات، ونُسرع في غير ذلك الأَوْبَةَ».

- **يقول المثنى:**

صَبَّحْنَا بالخنافسِ جَمْعَ بكرٍ وَحَيًّا من قُضاعةَ غير مِيلِ
بفتيانِ الوَغَى من كلِّ حيٍّ تَبَارَى في الحوادثِ كلَّ جِيلِ
أبَحْنَا دَارَهُمْ والخيلُ تَرْدَى بكلِّ سَمَيْدَعٍ سامي التَّلِيلِ

- **لله دره من قائد:**

كانت الغارة على الأسواق شمالي العراق استغلالًا رائعًا لمعركة البويب، لم يكن المثنى قد قرأ عن مبدإ المطاردة، ولكنَّه وضع لنفسه المبدأ كقائد، وبذلك يُعتبر المثنى من واضعي هذا المبدإ في علم الحرب، وقد استطاع بكفاءته أن ينفِّذه في قوةٍ وعُمقٍ، بلغ حوالي أربع مئة كيلو مترًا أو يزيد شمالًا، خلاف ما تبحبحوا به شرقًا وغربًا وجنوبًا.

لقد فتح المثنى على العجم أبعادًا ثلاثة للحرب القائمة بينه وبين الفرس؛ البُعد الأول هو خطُّ المواجهة، والبعد الثاني هو ما امتدَّ إليه هذا الخط، فجعله يتَّسِع ويستطيل للحصول على التموين لقواته، وتشتيت العدو وإرباكه، وللتأثير على قادة جيش فارس وشعب فارس، فأغار المثنى في هجومٍ خاطف على هذه الأسواق، وكان فيها أموال غالية الثمن، يزيد على ما في خزانة بيت مال كسرى، وأصاب المسلمون فيها من الذهب والفضة ما كان غَناءً للمسلمين، وقوَّةً لهم على عدوِّهم دهرهم.

وسار المثنى بمن معه إلى الأنبار، وكان مَنْ خلفه من المسلمين يمخرون السواد ويشنون الغارات ما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات، وجسوا مثقبا إلى عين التمر، وفي أرض الفلاليج، والمثنى بالأنبار.

- **البطل يؤدب بني تغلب في الكباث في شمال العراق:**

لما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار رأى أن لا يعود إلى مقر قيادته في الحيرة إلا بعد أن تشمل غاراته شمال العراق، وأن يؤدب بني تغلب في الكباث في شمال

العراق، فبعث المضارب العجلي في جمع إلى الكباث، وعليه فارس العناب التغلبي، ثم لحقهم المثنى فسار معهم فوجدوا الكباث قد سار مَن كان به عنه، ومعهم فارس العناب، فسار المسلمون خلفه فلحقوه ـ وقد رحل من الكباث ـ فقتلوا في أخريات أصحابه وأكثروا القتل، فلما رجعوا إلى الأنبار سرَّح فرات بن حيان التغلبي، وعتيبة بن النهَّاس، وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب بصفِّين، ثم اتبعهما المثنى واستخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي، فلمَّا دنوْا من صِفِّين فرَّ من بها، وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفني الزاد الذي مع المثنى وأصحابه؛ فأكلوا رواحلهم إلَّا ما لا بدَّ منه حتى جلودها، ثم أدركوا عيرًا من أهل دَبا، وحَوْران فقتلوا من بها، وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء وأخذوا العير، فقالوا لهم: دلُّونا. فقال أحدهم: أمِّنوني على أهلي ومالي وأدلكم على حيٍّ مِن تغلب غدوت من عندهم اليوم.

فأمَّنه المثنى وسار معهم يومه، فهجم العشي على القوم، والنعم صادرة عن الماء، وأصحابها جلوس بأفنية البيوت، فبثَّ غارته، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، واستاق الأموال، وكان التغلبيون بني ذي الرويحلة، فاشترى من كان مع المثنى من ربيعة السبايا بنصيبه من الفيء وأعتقوهم، وكانت ربيعة لا تسابي إذا العرب يتسابون في جاهليتهم. وأخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجع شاطئ دجلة، فخرج المثنى وعلى مجنبتيه النعمان بن عوف، ومطر الشيبانيان، وعلى مقدمته حذيفة بن محصن الغلفاني، فساروا في طلبهم فأدركوهم بتكريت، فأصابوا ما شاءوا من النعم، وعاد إلى الأنبار، ومضى عتيبة وفرات ومَن معهما حتى أغاروا على صِفِّين وبها النمر وتغلب متساندين، فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم في الماء، فجعلوا ينادونهم الغرق الغرق، وجعل عتيبة وفرات يذمران الناس ويناديانهم تغريق بتحريق يذكرانهم يومًا من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قومًا من بكر بن وائل في غيضة من الغياض، ثم رجعوا إلى المثنى، وقد غرَّقوهم، وقد بلغ الخبر عمر رضي الله عنه فبعث إلى

عتبة وفرات فاستدعاهما فسألهما عن قولهما، فأخبراه أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل إنما هو مثل، فاستحلفهما وردهما إلى المثنى[1].

وهكذا نكَّل البطل المثنى بأعداء اللَّه وأولياء الفرس من نصارى تغلب والنمر، ولقد نجح في غاراته على الشمال، حتى وصل في فتوحاته إلى ما لم يصل إليه القائد العظيم خالد.

هذا هو المثنى بطل المعارك، وبطل حروب الاستنزاف بعد المعارك، أعظم أساتذة الحرب في العالم، وُلد ونشأ وترعرع في العراب بين مضارب البادية، على متون الخيل بين المضارب والخيام تعلَّم، ولكنَّ أستاذ الحرب البدوي علَّم الدنيا بأسرها، وُلد المثنَّى بالبادية، ومات في البادية، وطواه لَحْدٌ تحت رمال البادية، غازيًا للدنيا بسيفه، عَزُوفًا عنها بقلبه، ليس له إلَّا «الشموس» جواده، لا يركبه ويُذلِّله غيرُهُ، ولا يركبه إلا للغزو.

هذا جوادُكَ في الميدانِ مُنطلِقُ ... وبينَ عَينيْهِ من إصرارِهِ أَلَقُ

صَهِيلُهُ نَغَمٌ يُصغي الزَّمَانُ له ... وَنَقْعُهُ لحجابِ الشَّمسِ يخترقُ

وَسَرْجُهُ همهماتٌ لا يُخالطها ... زَيْفٌ ولا يَرتمي في حِضْنِهَا نَزَقُ

تشدو حوافِرُهُ لَحْنًا يَهشُّ له ... قلبُ التُّرابِ وتسترخي له الطُّرُقُ

يُسابِقِ الرِّيحَ في دَرْبِ الإباءِ وَكَمْ ... خَيل سِوَاهُ إلى الأهواءِ تستبِقُ

هذا شَمُوسُك يجري النُّورُ في دمِهِ ... وتَشْرَئِبُ إلى غَارَاتِهِ العُنُقُ

تَكُفُّ عن وجهِ الصَّحْرَاءِ ما حملتْ ... من سيفِهَا ويُناغِي رَكْضَةُ الشَّفَقُ

يُقِضُّ مضجعَ كلِّ الصافناتِ إذا ... ثار الغُبَارُ وطارتْ نحوَهُ الحَدَقُ

مسافرٌ والأماني البيضُ لاهِثةٌ ... وراءَهُ وبحارُ الشَّوقِ تصطفِقُ

إذَا تَلَفَّتَ غَنَّى فَجْرُ غُرَّتِهِ ... لَحْنَ الضِّياءِ وأرخى طَرْفَهُ الغَسَقُ

وسافر الليلُ مبهورًا وأعقبَهُ ... فَجْرٌ تَحفَّزَ لاستقبالِهِ الأُفُق

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/٢٩٢ - ٢٩٤.

يا مُورِيَ القَدْحِ آمالي بك انبثَقَتْ ... يومَ البويبِ والآمالُ تنبثِقُ
مراكبُ الفرس نامتْ وَهْيَ واقفةٌ ... والرَّاكبون عليها من أهوالِكَ انسحقوا
يستأسِدُون عليها وَهْيَ واقفة ... لَمَّا ظهرت جَثَوْا وغارتْ منهمُ الحَدَقُ

- **«واللَّه لأضربنَّ ملوك العجم بملوك العرب»:**

بلغ المثنى اجتماع كلمة الفرس على يزدجرد ملكًا، فكتب المثنى إلى عمر بن الخطاب بما ينتظر من أهل السواد، ولم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد مَنْ كان له عهد ومَن لم يكن له عهد، فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذي قار، ونزل الناس بالطفِّ في عسكر واحد.

ولما وصل كتاب المثنى إلى عمر رضي الله عنه قال: «واللَّه لأضربنَّ ملوك العجم بملوك العرب».

فلم يدع رئيسًا، ولا ذا رأي، وذا شرف، وبسطة ولا خطيبًا، ولا شاعرًا إلَّا رماهم به.

فرماهم بوجوه الناس وغُرَرِهم، وكتب عمر إلى المثنى ومن معه بأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرُّق في المياه التي تلي العجم [على حدود أرضكم وأرضهم] وأن لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحدًا من أهل النجدات ولا فارسًا إلا أحضروه إما طوْعًا أو كرهًا [احملوا العرب على الجُدِّ إذْ جدَّ العجم، فلتلقوا جدهم بجدكم].

واستقر رأي عمر على سعد بن أبي وقاص أميرًا، وانتظر المثنى قدوم سعد بن أبي وقاص إليه لمهاجمة الفرس وإبادتهم، ولكن عاجلته المنية، فمات رضي الله عنه قبل قدوم سعد من جراحة انتفضت عليه، واستخلف على الناس بشير بن الخصاصية وسعد يومئذٍ بزرود.

- **البطل يترك وصيته لسعد، فيترحَّم عليه سعد:**

كان المعنى بعد موت أخيه المثنى قد سار إلى قابوس بن قابوس بن المنذر

بالقادسية، وكان قد بعثه إليها الفرس يستنفر العرب، فسار إليه المعنى فقفله فأنامه[١] ومن معهم، ورجع إلى ذي قار، وسار إلى سعد يُعلمه برأي المثنى له وللمسلمين ونصيحته إياهم، وما نسي البطل الصالح العهد إلى سعدٍ وتوصيته، وما أشبَهَ لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة لأبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، كلاهما ترك الدنيا وهو يفكِّر للمسلمين في هذه الفتوح ويوصي بها.

وترك المثنى وصية غالية لسعد: «ألا يقاتل عدوَّه وعدوهم من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وماؤهم في عقر دارهم، وأن يُقاتلهم على حدود أرضهم، على أدنى حجرٍ من أرض العرب، وأدنى مدرةٍ من أرض العَجَم؛ فإن يُظهر اللَّه المسلمين، فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأُخرى، رجعوا إلى فئةٍ يكونون أعلم بسبلهم وأجرأ على أرضهم، إن يرد اللَّه الكرَّة عليهم»[٢]. وأشار المثنَّى على سعدٍ: «أن يُحارب العدو بين القادسية والعذيب»[٣]. فترحم سعد ومن معه على المثنى.

وهكذا انطفأ سراجٌ من أشدِّ السُّرج توهُّجًا، وأفلتْ تلك الشمسُ المشرقة التي غمرت العراق دفئًا ونورًا.

كالبدرِ من حيثُ التَفتَّ رأيتَهُ ... يُهدي إلى عَينَيْكَ نورًا ثاقبَا
كالبحر يقذفُ للقريبِ جَوَاهرًا ... جُوادًا ويبعثُ للبعيدِ سَحائِبَا
كالشمسِ في كَبدِ السماء وَضَوْءُهَا ... يَغْشَى البلادَ مشارقًا ومغاربَا

ولا غرو عندما حمي الوطيس، واستكلَبَ الموت على الأبطال في القادسية، هتفتْ سلمى زوجُ سعدٍ - وكان سعد قد تزوَّجها بعد موت زوجها المثنى - حين لم تجد المثنى يسود الأجناد والفرسان للجلاد، قائلة: «وامثنَّاه! ولا مُثنَّى اليوم للخيل»، «وامثنَّاه! ولا مثنَّى للمسلمين اليوم»[٤]، «القوم أقران، ولا مثنى

(١) أي قتلهم.
(٢) الطبري (٣/٢١٠)، والكامل لابن الأثير (٢/٣٠١- ٣٠٢).
(٣) الطبري (٣/٥١).
(٤) أسد الغابة (٤/٢٩٩).

لهم»[١].

- **الإنسان**

كان المثنى شجاعًا مقدامًا، شهمًا غيورًا، وكان مأمون النقيبة حسن الرأي[٢]، وكان راسخ العقيدة، قوي الإيمان، شديد الثقة بنفسه، بعيد النظر، يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الشخصية، يعترف بخطئه عند الحاجة بكل صراحة ولا يصرُّ عليه، وكان يشارك أصحابه في السرَّاء والضرَّاء.

«أنصفهم من نفسه في القول والفعل، وخالط الناس في المحبوب والمكروه، فلم يقدر أحد أن يعيب له قولًا ولا فعلًا»[٣].

لقد كان المثنى مثالًا للإنسان الكامل في صفاته الإنسانية ومزاياه.

- **القائد**

يتضح لنا من دراسة أعمال المثنى العسكرية، أنه كان يمتلك موهبة إعطاء القرارات الصحيحة السريعة، وكان ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمل المسئولية الكاملة في أخطر الظروف والأحوال، كما فعل في معركة الجسر؛ له نفسية لا تتبدل في حالتيه النصر والهزيمة، يثق بقواته وتثق قواته به ثقة لا حدود لها، ويحبهم ويحبونه حبًّا لا مزيد عليه، ذا شخصية قوية نافذة، فهو بحق كما يقول عنه عمر بن الخطاب: «مؤمِّر نفسه»[٤]، له قابلية بدنية فائقة تعينه على تحمل أعباء القتال، وله ماض ناصع مجيد.

قال عمر بن الخطاب مرة: «يرحم اللَّه أبا بكر! هو كان أعلم بالرجال مني»، وقد كان عزل خالد بن الوليد والمثنى، وقال: «إني لم أعزلهما عن ريبة، ولكن

(١) المعارف ص (١٠٠).
(٢) الاصابة (٤١/٤)، وأسد الغابة (٩٩٢/٤).
(٣) ابن الأثير (١٧٠/٢).
(٤) أسد الغابة (٢٩٩/٤).

الناس عظموهما، فخشيت أن يوكلوا إليهما»[١].

وكان شجاعًا إلى أقصى حدود الشجاعة، مقدامًا إلى أقصى حدود الإقدام، فكان دائمًا أول من يهجم وآخر من ينسحب، وكان خبيرًا بمناطق العراق، جريئًا على الفرس، سريع الحركة، واسع الحيلة، وكان أول من اجترأ على الفرس بعد الإسلام وجرأ المسلمين عليهم؛ فقد «أبلى في حروب العراق بلاء لم يبله أحد»[٢].

وعند تطبيق مبادئ الحرب على أعمال المثنى العسكرية، يتضح لنا أنه طبق أهم تلك المبادئ، فقد كان يطبق مبدأ «اختيار المقصد وإدامته»، متشبعًا بروح «التعرُّض»، يعمل بهمة وبدون كلل لإعمال «تحشيد قواته» قبل كل معركة يخوضها، كما يطبق مبدأ «التعاون» بين مختلف تشكيلات وصنوف جيشه، ويعمل على «إدامة معنويات» قطعاته قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها.

ولقد كان كثير الحركة أثناء المعركة، يتجول بنشاط لا يفتر بين أقسام جيشه، ويقوِّم بنفسه نقاط الضعف التي يجدها، ويسد الثغرات التي يعثر عليها، كما يبادر إلى توجيه القوات المناسبة إلى النقاط الضعيفة والثغرات التي يجدها بين صفوف عدوه... إنه مثال القائد الذي يؤمن «الاستطلاع الشخصي» أثناء القتال.

وكان شديد الضبط مطيعًا، ينفِّذ أوامر رؤسائه برحابة صدر، فقد عمل بكل إخلاص بإمرة خالد بن الوليد في عهد أبي بكر الصديق، وبإمرة أبي عبيد بن مسعود الثقفي في عهد الفاروق عمر، كما لم يتذمر من تعيين سعد بن أبي وقاص قائدًا عامًا في العراق، ولو عاش لعمل بإمرة سعد أيضًا غير مكترث أن يكون رئيسًا أو مرءوسًا ما دام هو لا يعمل لنفسه بل لإعداء كلمة الله!

ما أشبه مزايا قيادة المثنى بمزايا قيادة خالد بن الوليد، تلك المزايا التي جعلت هذين القائدين العظيمين لا يخسران معركة في كل حياتهما العسكرية، بل كان

---

(١) ابن الأثير (٢/١٩١).

(٢) الإصابة (٤/٤١)، وأسد الغابة (٤/٢٩٩).

النصر حليفهما في مختلف المعارك والحروب.

• المثنى في التاريخ

يذكر التاريخ للمثنى جهاده مع العلاء بن الحضرمي للمرتدين، مما أدى إلى إعادة سيطرة المسلمين على منطقة البحرين.

ويذكر له أنه كان أول مسلم هاجم الإمبراطورية الفارسية في عقر دارها[1]، فحمل عن المسلمين عبئًا لم يحمله غيره؛ فهو الذي جرَّأ العرب على محاربة الفرس، وهو الذي رفع معنويات العرب وحطم معنويات الفرس، فكانت أعماله العسكرية في العراق مقدمة لفتحه فيما بعد، وكانت معركة «البويب» تمهيدًا لمعركة «القادسية» وإيذانًا بانهيار الإمبراطورية الفارسية، وانتشار الإسلام في ربوع بلادها.

وأخيرًا جاد بروحه في سبيل عقيدته، فمات شهيدًا متأثرًا بجروحه التي أصيب بها في معركة «الجسر» التي لولا قيادة المثنى في أعقابها لكان مصير المقاتلين فيها من المسلمين الفناء.

إن المثنى كان نمطًا فريدًا بين القادة في كل أدوار التاريخ، فهو بحق مفخرة من أكبر مفاخر العرب والمسلمين في كل مكان وفي كل زمان.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ بطل الأبطال، ورجل الرجال، القائد الإنسان المثنى بن حارثة الشيباني.

ما زال يروي لنا التاريخُ قصَّتَهُ ... فكم حديثٍ على شوقٍ رَوَيْنَاهُ
وكم حديثٍ عن الأحبابِ أطْرَبَنَا ... وزادَنَا طَرَبًا لَمَّا أَعَدْنَاهُ
وَقْعُ الحوافر يا بغدادُ أُغْنِيَةٌ ... ثراكِ يُنشدها والرَّمْلُ أفواهُ
وحمحماتُ خيولِ النَّصْرِ تُطربني ... الحربُ دائرةٌ والنّاصرُ اللَّهُ
صهيلُها في دروبِ الحقِّ يملكني ... فكم أذوبُ به وجْدًا وأهواهُ

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص (٣٠٥).

هذا المثنى يُرَوِّي الأرض يملكني — والعينُ في رؤيةِ الأحداثِ عيناهُ
لم يَسْتَعِر مُقلةً أُخرى ولا شَفَةً — أُخرى ولم تُصغِ للتَّضليلِ أُذْنَاهُ
كيانُكِ الضَّخْمُ يا بغدادُ حصَّنَهُ — سيفُ المثنى ونورُ الحقِّ جَلَّاهُ
النُّورُ فوق ذراعِ الشَّمْس صبَّحَهُ — والنُّورُ فوق ذراعِ البدرِ مسَّاهُ[1]

---

(١) من قصيدة: وشم على ذراع بغداد، من ديوان «يا أمة الإسلام» لعبد الرحمن العشماوي ـ مكتبة العيكان.

(٣٤٠) القائد الشهيد... شهيد يوم الجسر.. وفاتح منطقة الفرات الأوسط الصحابي الجليل أبو عبيد بن مسعود الثقفي رضي الله عنه[١]

قدم رسول الله ﷺ (المدينة) من (تبوك) في رمضان من السنة التاسعة الهجرية، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد (ثقيف)[٢] يعلن إسلامه وإسلام ثقيف.

لقد أسلم أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي مع قومه ثقيف وحسن إسلامه كما حسن إسلام قومه؛ إذ أنهم ثبتوا على الإسلام بعد وفاة النبي[٣] ﷺ، فنال أبو عبيد شرف الصحبة، وكان من «جلة الصحابة»[٤]، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء النبي ﷺ؛ لأنه أسلم بعد (تبوك)، وهي آخر غزوة قادها الرسول ﷺ بنفسه[٥].

جهاده

- **الفاتح:**

أول ما عمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد موت أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم أصبح فبايعه الناس فعاد فندب الناس

---

(١) أتينا بالترجمة كاملة من «قادة فتح العراق والجزيرة» مع إضافات من الإصابة، والكامل في التاريخ لابن الأثير. وهو والد المختار بن أبي عبيد الثقفي المبتدع الذي قتل كل من قدر عليه من قتلة الحسين، ثم ابتدع بل وادعى نزول الوحي عليه.

(٢) عيون الأثر (٢/٢٢٨) وطبقات ابن سعد (١/٣١٦).

(٣) ابن الأثير (٢/١٣٠).

(٤) الاستيعاب (٤/١٤٦٥).

(٥) الطبري (٢/٤٠٤).

لقتال الفرس.

وتتابع الناس على البيعة في ثلاثة أيام، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم؛ لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم، فلما كان اليوم الرابع، عاد فندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عبيدة بن مسعود، ثم ثنى سعد بن عبيد(١)، وسُليط بن قيس(٢)، فلما تكامل حشد ذلك البعث، قال قائل لعمر: «أمِّر عليهم رجلًا من السابقين المهاجرين والأنصار»، فقال عمر: «لا والله! إن اللَّه إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو، فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء، فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الله، واللَّه لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتدابًا»(٣). ثم دعا أبا عبيد وسليطًا وسعدًا، فقال مخاطبًا سعدًا وسليطًا: «أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما»، ثم قال لأبي عبيد: «اسمع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعًا حتى تتبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث(٤) الذي يعرف الفرصة والكف»(٥).

وكان عمر قد قال له: «إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية، تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه، وتناسوا الشر فجهلوه، فانظر كيف تكون، واحرز لسانك ولا تفشين سرك، فإن صاحب السر بضبطه متحصن، لا يؤتى من

---

(١) سعد بن عبيد الأنصاري الأوسي: شهد (بدرا) ومات شهيدًا في القادسية انظر الإصابة (٨١/٣)، والاستيعاب (٦٠٠/٢)، وأسد الغابة (٢٨٥/٢)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٥٨).

(٢) سليط بن قيس الانصاري الخزرجي: من بني النجار، شهد (بدرا) وما بعدها من المشاهد كلها وقتل يوم الجسر مع أبي عبيد، انظر أسد الغابة (٣٤٥/٢)، والاستيعاب (٦٤٦/٢)، والاصابة (١٢٣/٣)، وطبقات ابن سعد (٥١٢/٣).

(٣) الطبري (٦٣١/٢)، وابن الأثير (١٦٦/٢)، وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص (٦٧).

(٤) المكيث: الرزين غير المتهور. بعيد النظر الذي يفكر مليا ثم يقرر.

(٥) الطبري: (/٦٣١)، وابن الاثير (١٦٦/٢).

وجه يكرهه، وإذا ضيعه كان بمضيعة»[١].

وعجل المثنى بن حارثة الشيباني بالعودة من المدينة إلى جيشه في العراق، وسار أبو عبيد على أثره وبإمرته خمسة آلاف مقاتل، وكان يستنفر من يمر بهم من العرب، فأجابه عدد كبير منهم.

وصل المثنى إلى (الحيرة)، ووصل أبو عبيد إليها بعد المثنى بشهر[٢]، وعملا على إكمال حشد جيش المسلمين، وبعد إنجاز ذلك ابتدأ الصراع بين الفرس والعرب المسلمين، فاصطدم جيش المسلمين بقيادة أبي عبيد بجيش الفرس بقيادة (جابان) في (النمارق)[٣]، فانهزمت القوات الفارسية بعد قتال شديد، وأُسر في المعركة قائدهم (جابان)، فاستطاع بدهائه أن يأخذ الأمان لنفسه ممن أسره، فقال المسلمون لأبي عبيد: اقتله فإنه الأمير. فقال أبو عبيد: «إني أخاف اللَّه أن أقتله وقد أمنه رجل مسلم، المسلمون في التواد والتناصر كالجسد، فما لزم بعضهم فقد لزم كلهم!!» فلما ألحوا عليه ذاكرين أن الذي أعطاه الأمان لا يعرف أنه أمير الفرس، أصر أبو عبيد على موقفه قائلًا: «لا أغدر»[٤].. وتركه!

والتقى المسلمون بالفرس في معركة (السقاطية)[٥]، فانتصر المسلمون على الفرس بعد قتال شديد أيضًا، فأقام أبو عبيد بمنطقة (كسكر)[٦]، وسرح المثنى بن حارثة الشيباني وغيره من القادة يغيرون على تلك النواحي ويخضعون حماتها للمسلمين.

---

(١) ابن الأثير (٢/١٦٨).

(٢) ابن الاثير (٢/١٦٧) (٢/١٦٨).

(٣) النمارق: موضع قرب الكوفة من أرض العراق. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣١٦).

(٤) الطبري (٢/٦٣٥).

(٥) السقاطية ناحية قريبة من مدينة واسط. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٩١).

(٦) كسكر: منطقة غنية بمنتوجاتها الزراعية والحيوانية قصبتها مدينة واسط. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٥١).

- **لله درك أبا عُبيد:**

وجاء الدهاقون[١] إلى أبي عبيد بآنية فيها أطعمة فارس، وقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها قرىً لك. قال أبو عبيد: «أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟» قالوا: لم يتيسر ونحن فاعلون!!.

قال أبو عبيد: «لا حاجة لنا فيه! بئس المرء أبو عبيد إن صحب قومًا من بلادهم، أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهريقوا، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه!! لا واللَّه لا نأكل مما أفاء اللَّه عليهم إلا مثل مما يأكل أوساطهم[٢]».

وأرسل قائد الجيش الفارسي العام (رستم) جيشًا من الفرس بقيادة (الجالينوس) فهزمه أبو عبيد أيضًا، فأتوه بالأطعمة أيضًا، فقال: «ما آكل هذا دون المسلمين»، فقالوا: ليس من أصحابك أحد إلا وقد أتى بمثل هذا!!. وحينئذاك فقط أكل أبو عبيد ما قدموه إليه من طعام[٣].

ثم ارتحل أبو عبيد بجنده حتى قدم الحيرة واستقر بها.

- **الشهيد:**

عظم على (رستم) أن تنهزم جيوش فارس أمام قوات المسلمين، فسأل خاصته: «أي العجم أشد على العرب فيما ترون؟» فأجابوه: إنه ذو الحاجب[٤] (بَهْمِن جاذويه). فوجهه رستم على رأس قوة عظيمة وردَّ (الجالينوس) معه، وقال له: «إن عاد ـ الجالينوس ـ لمثل ما فعل، فاضرب عنقه».

---

(١) الدهاقين: جمع دهقان وهو زعيم فلاحي الفرس ورئيس الإقليم.

(٢) الطبري (٦٣٧/٢).

(٣) ابن الأثير (١٦٧/٢).

(٤) سمي ذا الحاجب، لأنه كان يعصب حاجبيه ليرفعهما عن عينيه كبرا. انظر البلاذري ص (٢٥٢).

- **وقعة قُسِّ الناطف[(١)]، أو «الجسر»، أو «المروحة»[(٢)]:**

سار بهمن جاذويه بالفرس ومعه دِرَفش كابيان (راية كسوى) كانت من جلود النمر عرض ثماني أذرع، وطول اثنتي عشرة ذراعًا، فنزل بـ«قسِّ الناطف»، وأقبل أبو عبيد فنزل بـ«المروحة»، فرأت دومة امرأته أم المختار ابنه أن رجلًا نزل من السماء بإناء فيه شراب فشرب أبو عبيد ومعه نفر، فأخبرت بها أبا عُبيد فقال: «لهذه إن شاء اللَّه الشهادة»، وعهد إلى الناس فقال: «إن قُتلت فعلى الناس فلان، فإن قُتِل فعليهم فلان»، حتى أمَّر الذين شربوا من الإناء ـ على الولاء من كلامه ـ، ثم قال: فإن قُتِل فعلى الناس المثنى.

وبعث إليه بهمن جاذويه إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبر إليكم!![(٣)]

وسار الفرس من (المدائن) حتى نزلوا (قس الناطف)، وسار أبو عبيد بجيشه حتى نزل (المروحة)، وعسكر بها وجعل الفرات بينه وبين العدو، فبعث إليه قائد الفرس: «إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن نعبر إليكم»!!

قال الناس: لا تعبر يا أبا عبيد! إنا ننهاك عن العبور. فحلف أبو عبيد: «ليقطعن الفرات إليهم».

وناشده سليط بن قيس ووجوه الناس، وقالوا: إن العرب لم تلق مثل جنود

---

(١) قس الناطف موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٨٨).

(٢) المروحة موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الغربي مقابل (قس الناطف)، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢).
وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه الفاروق عمر (١/١١٣) «أن أبا عبيد تراجع وجنوده إلى قرية في (المروحة) وهي في الضفة الغربية للفرات، وهناك اصطدم بالفرس.
ولو صح أن أبا عبيد كان في نفس الناطف لما كان لعبوره إلى الفرس معنى.

(٣) الكامل في التاريخ (٢/٢٨٦).

فارس مذ كانوا، وإنهم قد حفلوا[١] لنا واستقبلونا من الزُّهاء[٢] بما لم يلقنا به أحد منهم، وقد نزلت منزلًا لنا فيه مجال وملجأ ومرجع من فَرَّة إلى كَرَّة[٣].

فقال أبو عبيد: «لا أفعل! جبنت والله يا سليط!». فقال سليط: «أنا والله أجرأ منك نفسًا، وقد أشرنا عليك بالرأي، فستعلم!!»، فأصرَّ أبو عبيد على رأيه، وقال: «لا يكونون أجرأ على الموت منا، بل نعبر إليهم».

وعبر المسلمون على جسر من (المروحة) في الضفة الغربية للفرات إلى (قس الناطف) في الضفة الشرقية، وكان جيش المسلمين أقلَّ من عشرة آلاف مقاتل، ومع ذلك ضاق بهم المكان الذي تركه لهم الفرس.

ولم يمهلهم الفرس بعد عبورهم، بل هاجموهم بعنف شديد، وكان في مقدمة الفرس فيلة مدربة أخافت خيول المسلمين، ففرَّت تلك الخيول لا تلوي على شيء... ورشق الفرس المسلمين بالنبل، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا...!

واشتدَّ الأمر بالمسلمين، فترجَّل أبو عبيد والناس ومشوا إلى الفرس وصافحوهم بالسيوف[٤]، ولكن الفيلة صدَّت المسلمين وبعثرتهم، فنادى أبو عبيد: «احتوشوا[٥] الفيلة واقطعوا بطنها[٦] واقلبوا عنها أهلها»، ووثب هو بنفسه على فيل أبيض فقطع حزامه فوقع الذين على ظهره، ثم ضرب خرطومه بالسيف، ولكن الفيل هاجم أبا عبيد وضربه برجله فألقاه على الأرض، ثم وقف فوقه فأزهق روحه.

ورأى الناس قائدهم شهيدًا تحت أقدام الفيل، فاستقتلوا وهاجموا حتى تنحَّى الفيل عن جثة أبي عبيد، فأعملوا فيه سيوفهم حتى قتلوه.

---

(١) حفلوا: اجتمعوا واحتشدوا.

(٢) يقال قوم ذو زهاء، أي عدد كبير.

(٣) الطبري (٦٤٠/٢).

(٤) صافحوهم بالسيوف: أي التحموا بهم وقاتلوهم بالسلاح الابيض.

(٥) احتوش القوم الصيد، اذا نفره بعضهم على بعض.

(٦) بطن: جمع بطان، وهو الحزام.

قال ابن حجر: «قال أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه: حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: كان أبو عبيد بن مسعود الثقفي عبر الفرات إلى نهروان، فقطعوا الجسر خلفه، فَقُتِلَ وَقُتِلَ أصحابه. وقال البلاذري: يُقال إن الفيل برك على أبي عُبيد فمات تحته، فأخذ الراية أخوه الحكم فقُتِل، فأخذها جبر بن أبي عبيد فقُتِل»[1].

تتابع سبعة من ثقيف، كلُّهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت، حتى أخذ اللواء المثنى بن حارثة الشيباني، فوقف واللواء بيده ينادي: «يا أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ولا تغرقوا نفوسكم» وبذلك استطاع تخليص البقية الباقية من المسلمين[2].

وقاتل عروة بن زيد الخيل قتالًا شديدًا، وأبو محجن الثقفي، وكان آخر من قُتِل عند الجسر سليط بن قيس. وعبر المثنى وحمى جانبه، فلما عبر أرفض عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة، وتركها بعضهم ونزلوا البوادي، وبقي المثنى في قلة، وكان قد جُرِح وأثبت فيه حلق من درعه، وأُخبر عمر عمن سار في البلاد استحياءً من الهزيمة فاشتد عليه ذلك، ورحمهم، وقال: «اللهم إنَّ كل مسلم في حلٍّ مني، أنا فئة كل مسلم، يرحم اللَّه أبا عبيد لو كان انحاز إليَّ لكنت له فئة».

وهلك من المسلمين يومئذٍ أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وهرب ألفان، وبقي ثلاثة آلاف، وقُتِل من الفرس ستة آلاف.

وكان فيمن قُتل بالجسر عقبة، وعبداللَّه ابنا قبطي بن قيس، وكانا شهدا أُحُدًا، وقُتل معهما أخوهما باد، ولم يشهد معهما أُحُدًا، وقُتِل ـ أيضًا ـ قيس بن السكن ابن قيس أبو زيد الأنصاري، وهو بدري لا عقب له، وقُتل يزيد بن قيس بن الخطيم الأنصاري شهد أُحدًا، وفيها قُتِل أبو أمية الفزاري له صحبة.. وكانت هذه الموقعة

(١) الإصابة (٤/١٣٠).

(٢) الطبري (٢/٦٣٩ـ ٦٤٣)، والكامل لابن الأثير (٢/٢٨٧)، والبلاذري (٢٥٢ـ ٢٥٣).

في شعبان[١].

● **الإنسان:**

جمع أبو عبيد مزايا العربي الأصيل والمسلم الصادق، فقد كان كريمًا مضيافًا، غيورًا شهمًا يتدفق شهامة ونبلًا، وكان صادق القول وفيًا إلى أقصى حدود الوفاء، مأمون النقيبة ورعًا تقيًا، أعماله أبلغ من أقواله، وكان عقيديًّا من الطراز الرفيع، بذل نفسه رخيصة في سبيل عقيدته، فمات شهيدًا في السنة الثالثة عشرة من الهجـرة[٢] (٦٣٤م).

● **القائد:**

كان أبو عبيد لا يستأثر لنفسه بالخير دون رجاله، بل كان يؤثرهم به على نفسه؛ لذلك نال ثقتهم الكاملة، وكان شجاعًا إلى أقصى حدود الشجاعة، تطوع لقتال الفرس عندما أحجم الآخرون عن التطوع، واستأثر لنفسه في كل معركة بالخطر الداهم، فبرز في كل معركة خاضها على أقرانه، وضرب لرجاله بمثاله الشخصي في الشجاعة أروع الأمثال.. وفي معركة الجسر بالذات يوم استشهاده قتل وحده من الفرس بين الستة والعشرة رجال[٣].

ولكنه كان إذا اقتنع برأي أصرَّ عليه دون الالتفات إلى الآخرين، وقد أدى إصراره على رأيه إلى الاندحار في معركة الجسر، وكأنه نسي نصيحة عمر بن الخطاب له: «أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ: وأن يشركهم في الرأي معه»، وكأنه نسي أن أمير المؤمنين أمَّره ولم يؤمِّر سليطًا؛ لأن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث.

والحق أن أبا عبيد كان جنديًّا متميِّزًا، ولكنه لم يكن قائدًا متميِّزًا؛ لأن من

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/٢٨٧- ٢٨٨).

(٢) الإصابة (٤/١٣٠)، والاستيعاب (٤/١٤٦٥).

(٣) الطبري (٢/٦٣٩).

صفات القائد المتميِّز أن يستشير ذوي الرأي من رجاله، وأن يأخذ بالسديد من آرائهم، وأن يحسب لكل شيء حسابه قبل الاندفاع إلى غمار القتال.

لقد كان من نتائج إصرار أبي عبيد على رأيه واندفاعه الشديد خسارة المسلمين في معركة الجسر أربعة آلاف شهيد بين قتيل وغريق، من بينهم قسم من كبار الصحابة، ومن بينهم أخوه الحكم بن مسعود، وابن أخيه جبر بن الحكم بن مسعود[١]، وابنه جبر بن أبي عبيد[٢].

- **أبو عبيد في التاريخ:**

ولكن من الإنصاف أن نذكر أن أبا عبيد كان مثالًا حيًّا رفيعًا للمجاهد الحق، الذي يطلب الشهادة ويتمناها على الله، وأنه بذل أغلى ما يملكه في الدنيا: روحه لإعلاء كلمة الله.

إن إقدامه البطولي مدفوعًا بحرارة إيمانه العميق، وإقدام أمثاله من المجاهدين الصادقين، هو الذي جعل الفئة القليلة من العرب المسلمين تنتصر على الفئة الكثيرة من المشركين والفرس والروم ويهود في عهد النبي ﷺ، وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم.

لقد اجتهد فأخطأ، وللمجتهد أجران إذا أصاب، وأجر إذا أخطأ.

وقد أراد بالمبادرة إلى عبور الفرات ألا يُرْمى المسلمون بالجبن، وهم لا يريدون إلا إحدى الحسنيين: النصر، أو الشهادة.

كما أراد بالمبادرة إلى العبور أن يرفع معنويات المسلمين، ويؤثر في معنويات الفرس.

ولكن أخطأ في اجتهاده، فنال أجر المجتهدين.

إنه مثال البطولة، مثال الإيمان، مثال التضحية بالنفس والأولاد في سبيل

(١) ابن الأثير (٢/٢٨٨).

(٢) الاستيعاب (٤/١٧٠٩).

العقيدة.

على الرغم من مكوث أبي عبيد مدة قصيرة قائدًا عامًّا في العراق، إلا أنه استطاع أن يترك أثرًا معنويًّا كبيرًا بين المسلمين والفرس على حد سواء.

ترك أثرًا معنويًّا بين المسلمين؛ لأنه جرَّأهم على حرب الفرس، فكان أول من أجاب دعوة عمر بن الخطاب ﷺ لجهاد الفرس، فهو من هذه الناحية كان من أوائل من جرأ المسلمين على حرب الفرس بعد المثنى بن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد في إقناع المسلمين ـ عمليًّا ـ بالاستهانة بقوة الفرس العسكرية.

وترك اندحار يوم الجسر أثرًا معنويًّا عميقًا في نفوس المسلمين، فقد بعث في نفوسهم النخوة والحمية لأخذ ثارات شهداء يوم الجسر، لقد كان هتاف القعقاع بن عمرو التميمي وهتاف المسلمين في معركة القادسية يتعالى: يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر[1].

كما ترك أثرًا معنويًّا بين الفرس أنفسهم؛ لأنه كان مثالًا فذًّا للقائد الشريف الذي لا يحنث بالعهود ويحترم المواثيق ويقاتل بشجاعة ونبل وشرف.

كما ترك أثرًا ماديًّا لفتحه منطقة كبيرة من الفرات الأوسط، تلك المنطقة التي اعتبر سكانها الفتح الإسلامي تحريرًا لهم من ظلم الإمبرطورية الساسانية واستغلالها.

لقد كان لتضحية أبي عبيد بنفسه أثرٌ كبير في إعداد العدَّة الكاملة، وإكمال أضخم حشد لقوات المسلمين في العراق لإنجاز فتحه، وبذلك يمكن اعتبار نتائج معركة الجسر فشلًا تعبويًّا للمسلمين ونصرًا سَوْقِيًّا لهم؛ لأنهم أخذوا درسهم منها، فلم يندحروا في معركة بعدها حتى شملت راية الإسلام جميع ربوع العراق.

إن التاريخ يذكر لأبي عبيد أنه مات شهيدًا في سبيل عقيدته، وأن تضحيته

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٥٢).

بروحه وتضحية رجاله بأرواحهم هي التي ثبتت الإسلام في العراق بعد المجوسية، وجعلت العرب ينتزعونه من الفرس قبل أربعة عشر قرنًا.. وإلى الأبد!

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ القائد الفاتح، المجاهد الحق، الفارس الشجاع، البطل الشهيد، أبي عبيد بن مسعود الثقفي.



(٣٤١) سيد قومه.. يوسف هذه الأمة.. وبطل من أبطال القادسية خَيْرُ ذي يمن الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه فاتح خانقين وحُلوان وقرميسين وهمذان

هو الصحابي الجليل أبو عمر جرير بن عبداللَّه بن جابر بن مالك بن نضرة بن ثعلبة البجلي، قيل: يُكنى أبا عبد الله.

قال ابن إسحاق: جرير بن عبداللَّه سيد قبيلته ـ يعني بجيلة.

- **إسلامه:**

كان إسلام جرير بن عبداللَّه قبل سنة عشر على الصحيح، لما أخرجه الطبراني عن جرير قال: قال لنا رسول اللَّه ﷺ: «إن أخاكم النجاشي قد مات...». قال ابن حجر: «فهذا يدل على أن إسلام جرير كان قبل سنة عشر؛ لأن النجاشي مات قبل ذلك» والصحيح أنه أسلم سنة تسع للهجرة، وهي سنة الوفود[١].

- **فضله:**

قال جرير بن عبداللَّه البجلي رضي الله عنه: «لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، ثم حللت عيبتي، ثم لبست حُلَّتي، ثم دخلت المسجد، فإذا النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ يخطب، فرماني الناس بالحدق. قال: فقلت لجليس: يا عبدالله، هل ذكر رسول اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ من أمري شيئًا؟ قال: نعم، ذكرك بأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته فقال: «إنه سيدخل عليكم من هذا

---

(١) الإصابة (٢٣٤/١) ـ وفتح الباري (٩٩/٧)، وطبقات ابن سعد (٣٣٧/١) ذكر ابن سعد أنه وفد على النبي ﷺ سنة عشرة مع بجيلة.

الفج من خير ذي يمن، ألا وإن على وجهه مسحة مُلك» قال جرير: فحمدت الله عز وجل»[(١)] . وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا ضحك»[(٢)] .

• جرير بن عبدالله يهدم ذي الخَلَصة[(٣)]:

وأرسله النبي ﷺ لهدم (ذي الخَلَصَة) وهي من الأصنام بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج، وكانت (بتبَالة) بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة، وكان سدنتها بنو أُمامة من باهِلَة بن أغصُر، وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم، وبجيلة، وأزد السرَاة، ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن، وذو الخلصة ـ أيضًا ـ الذي فيه هذا الصنم بيت كان يطلق عليه في الجاهلية اسم الكعبة اليمانية[(٤)] .

عن جرير قال: قال لي رسول الله ﷺ : «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» فقلت: بلى. فانطلقت في خمسين ومئة فارس من أحمس ـ وكانوا أصحاب خيل ـ، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًّا» قال: فما وقعت عن فرس بعد. قال: وكان ذو الخلصة بيتًا باليمن لخثعم وبجيلة، فيه نُصُب

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣٦٤/٤)، والنسائي في فضائل الصحابة (١٩٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣٩١).

(٢) رواه البخاري (٣٨٢٢)، ومسلم (٢٤٧٥)، والترمذي (٣٨٢٠، ٣٨٢١)، وابن ماجه (١٥٩)، وكذا رواه أحمد (٣٥٨/٤)، وفي «فضائل الصحابة» (١٦٩٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٣٩٠)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٩٧).

(٣) انظر كتاب الأصنام ـ للكلبي ص (٣٤/٣٥) وفي ذي الخلصة يقول رجل من العرب.

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا ... مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا

وكان أبو الشاعر قتل، فأراد الطلب بثأره، فأتى ذا الخلصة، فاستقسم عنده بالأزلام، فخرج السهم ينهاه عن ذلك، فقال هذه الأبيات.

(٤) انظر شرح النووي على مسلم (١٩٤/٥).

تُعبد، يُقال له: الكعبة. قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها. قال: وقدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول اللَّه ﷺ ها هنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك. قال: فبينما هو يضرب بها؛ إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها، ولتشهدن أن لا إله إلا الله، أو لأضربن عنقك. قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلًا من أحمس يُكنى أبا أرطأة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب. قال: فبرك النبي صلى على خيل أحمس ورجالها خمس مرات»[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «جرير بن عبداللَّه يوسف هذه الأمة ـ يعني في حسنه. وجرير رضي الله عنه هو الذي قال لعمر حين وجد في مجلسه رائحة من بعض جلسائه فقال عمر: عزمت على صاحب هذه الرائحة إلَّا قام فتوضأ، فقال جرير: علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم. قال: عليكم كلكم عزمت. ثم قال: يا جرير، ما زلت سيدًا في الجاهلية والإسلام»[٢].

- **أرسله النبي ﷺ إلى اليمن:**

أرسل النبي ﷺ جرير بن عبداللَّه إلى اليمن مقاتلًا[٣] وداعيًا؛ بعثه النبي ﷺ إلى ذي الكُلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسَّان بن تُبَّع، وإلى ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما وأسلمت ضُريبة بنت أبرهة بن الصباح امرأة ذي الكُلاع، وتوفي رسول اللَّه ﷺ وجرير عندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاته ﷺ فخرج جرير إلى المدينة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥٧)، ومسلم (٢٤٧٦)، وأحمد مختصر (٣٦٠/٤)، والنسائي في فضائل الصحابة مختصر (١٩٨).

(٢) الاستيعاب لابن عبدالبر على هامش «الإصابة» (٢٣٥/١ـ ٢٣٦).

(٣) فتح الباري (٦٠/٨).

(٤) طبقات ابن سعد (٢٠٣/١).

جهاده

ـ عاد جرير إلى المدينة وأخبر أبا بكر بارتداد من ارتدَّ من أهل اليمن عن دينه وبثبات من ثبت عليه[١].

ولكن أبا بكر رد جريرًا إلى اليمن ليصمد مع الثابتين على دينهم من قبيلة (بجيلة) تجاه تيار المرتدين الجارف، والشد من عزائم المسلمين القليلين لمشاغلة المرتدين الكثيرين حتى تردهم النجدات، فخرج جرير ونفذ أمر أبي بكر، فلم يصادف مقاومة تذكر إلَّا من نفر يسير قتلهم وطاردهم[٢]. فلما وصل المهاجر بن أمية اليمن من عند أبي بكر ـ وكان آخر من تحرك من المدينة لحرب المرتدين ـ حتى إذا حاذى جريرًا ضمه إليه[٣]، وكان جرير حينذاك (بنجران)[٤]، فقاتل جرير وأتباعه أهل الردة تحت لواء المهاجر بن أمية، فسار من نصر إلى نصر، حتى نزل (صنعاء).

لقد ثبت جرير على عقيدته بالرغم من ارتداد معظم قومه (بجيلة)، فكان ثباته ذا أثر كبير على إعادة (بجيلة) للإسلام، ومن العوامل المهمة لانتصار المسلمين السريع الحاسم على المرتدين من أهل اليمن.

ـ وسار جرير يجاهد تحت لواء خالد بن سعيد في أرض الشام، ولكنه استأذن خالدًا إلى أبي بكر ليكلمه في جمع قومه (بجيلة) وكانوا أوزاعًا في العرب، فلما سمع أبو بكر حديثه غضب وقال له: «ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزائهم من الأسدين: فارس والروم، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عما هو أرضى لله ورسوله! دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم اللَّه في

---

(١) الطبري (٢/٥٣٣).
(٢) ابن الاثير (٢/١٤٤).
(٣) الطبري (٢/٥٤٠).
(٤) الطبري (٢/٦١٧)، وابن الأثير (٢/١٦١).

هذين الوجهين»، فسار جرير حتى قدم على خالد بالحيرة بعد فتحها، ولم يشهد شيئًا من قبلها بالعراق[١].

ـ ولما غادر خالد بن الوليد العراق إلى الشام، استصحب معه جريرًا، وشهد كافة معارك خالد في طريقه إلى الشام، وفي معركة اليرموك برز اسم جرير أحد الفدائيين الفرسان من المهاجرين والأنصار، وهم مئة فارس، انتخبهم خالد من بين جيش المسلمين كله، كل فارس يردُّ جيشًا وحده[٢]، للتأثير بهم على معنويات الروم قبيل معركة اليرموك الحاسمة.

- **جرير البجلي بطل من أبطال معركة «البويب»:**

«وبلغ عمر بن الخطاب نتائج معركة (الجسر) في العراق واستشهاد أبي عبيد الثقفي وصحبه فيها، فندب الناس إلى المثنى بن حارثة الشيباني، كان فيمن ندب (بجيلة) في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام، فأخرجوه في جرير»[٣].

«وتجمَّعت بجيلة وعلى رأسها جرير، فقال له عمر: «أخرج حتى تلحق بالمثنى»، فقال جرير: «بل الشام»، فقال عمر: «بل العراق، فإن أهل الشام قد قووا على عدوهم»، وجعل عمر لجرير وقومه ربع خمس ما فاء اللَّه عليهم في غزواتهم»[٤].

ورأى الناس ما صنع بجيلة، فحذوا حذوهم، وكان الذين فروا من معركة (الجسر) في مقدمتهم، ثم تابعهم بنو الأزد وبنو كنانة وخلق كثير من مختلف القبائل، وساروا يريدون العراق[٥].

وقاتل جرير وقومه تحت راية المثنى بن حارثة الشيباني القوات الفارسية في معركة (البُوَيْب)[٦] أول معركة حاسمة من معارك المسلمين في العراق، ولما انهزم

---

(١) الطبري (٢/٥٦٨)، وابن الأثير (٢/١٥١).
(٢) فتوح الشام للواقدي (١/١٢٠).
(٣) ابن الأثير (٢/١٦٩).
(٤) الطبري (٢/٦٤٦).
(٥) الطبري (٢/٦٤٧).
(٦) البويب: نهر كان بالعراق موضع الكوفة، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات.

الفرس قال المثنى: «من يتبع الناس؟»، فقام جرير في قومه، فقال: «يا معشر بجيلة! إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غدًا من النفل مثل الذي لكم منه، ولكم ربع خمسه نفلًا من أمير المؤمنين، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه، ونية إلى ما ترجون، فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين: الشهادة والجنة، أو الغنيمة والجنة»[١]؛ وهكذا تطوَّعت بجيلة بقيادة جرير لمطاردة الفرس، وأرسل جرير يخبر المثنى بسلامة بجيلة، كما أخبر القادة الآخرون الذين طاردوا الفرس المثنى بسلامة قواتهم، وسألوه جميعًا أن يسمح لهم بالتغلغل عمقًا في مطاردتهم، فأذن لهم المثنى، فأغاروا حتى بلغوا (ساباط) على مرأى من المدائن، لا يخافون كيدًا ولا يلقون مانعًا[٢].

ولما انسحب المثنى بقواته إلى (ذي قار) انتظارًا للإمدادات، كان جرير على رأس بجيلة يقوم بواجب القوات الساترة (المسالح) التي تحمي قوات المسلمين الأصلية[٣] من قوات الفرس المتفوقة.

- **بطوله فائقة لجرير البجلي وبجيلة في القادسية:**

تولى سعد بن أبي وقاص قيادة المسلمين في العراق، فقاتلت بجيلة التي يقدَّر عددها بألفي مقاتل[٤] تحت راية سعد في القادسية، فكان لجرير ولبجيلة أثر ظاهر في انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة الحاسمة.

كان سعد مريضًا بالدمامل عندما كانت رحى معركة القادسية تدور، ولكن

(١) الطبري (٢/٦٥٢).

(٢) ابن الاثير (٢/١٧١).

(٣) الطبري (٢/٦٦٠) إن بعض الروايات تنص على أن جريرا اختلف مع المثنى، فقال جرير: «أنت أمير وأنا أمير»، وأعتقد أن ذلك لا يمكن أن يحدث، لأن عمر أرسل جريرا مددا للمثنى لا أميرا مستقلا. راجع الطبري (٢/٦٥٤) الذي يذكر هذه الرواية.

(٤) تاريخ الطبري (٣/٧).

رجاله لم يكونوا يعلمون بحقيقة مرضه الذي أقعده عن مباشرة القتال بنفسه كما يفعل قادة العرب في حروبهم ليكونوا مثالًا شخصيًا يحتذي بهم رجالهم؛ لذلك تذمَّر بعض رجال سعد ومن بينهم جرير وأبو محجن الثقفي، فلما عرفوا أن المرض حال دون مباشرة سعد للقتال بنفسه قبلوا عذره وتحاثوا على السمع والطاعة، وقال جرير: «أما أني بايعت رسول اللَّه ﷺ على أن أسمع وأطيع لمن ولاه اللَّه الأمر، وإن كان عبدًا حبشيًا»[1].

وفي اليوم الأول من أيام القادسية، وجه الفرس ثلاثة عشر فيلًا، وفي رواية أخرى: ستة عشر فيلًا إلى مواقع (بجيلة)، ففرَّقت بين الكتائب وأذعرت الخيل، وكادت بجيلة أن تفنى عن بَكْرَةِ أبيها بعد فرار خيلها ذعرًا من الفيلة، ولكن الرجالة (المشاة) منها صمدوا في مواضعهم صمود الأبطال، وأعانهم على الصمود تدارك سعد لهم ببني أسد الذين هاجموا الفيلة وحماتها هجومًا عنيفًا بقيادة طليحة الأسدي، فاستطاعوا بمعاونة ربيعة بقيادة الأشعث بن قيس بعد جهد جهيد أن يولوا الفيلة والقوات الفارسية التي تساندها الأدبار[2].

وتركت بجيلة كثيرًا من الشهداء في ساحة المعركة، ولكن صمودها المدهش أتاح للمسلمين تدارك الموقف الخطير الذي كان نتيجة لهجوم فيلة الفرس على قواتهم.

وفي ليلة اليوم الرابع من أيام القادسية (ليلة الهرير)، حملت بجيلة على القوات الفارسية مع من حمل عليها من القبائل غير منتظرة أمر سعد بالحملة، فعذرها سعد قائلًا: «اللهم اغفرها لهم وانصرهم»[3]، فقضوا في تلك الليلة على عدد ضخم من الفرس، وفي بلاء بجيلة بقيادة جرير قال سعد:

وما أرجو بجيلة غير أني ... أؤمل أجرهم يوم الحساب

---

(١) الطبري (٣/٤٣- ٤٤)، وابن الاثير (٢/١٨١).

(٢) الطبري (٣/٤٩)، وابن الاثير (٢/١٨٢).

(٣) الطبري (٣/٦٦)، وابن الاثير (٢/١٨٩).

فقد لقيت خيولهم خيولًا وقد وقع الفوارس في ضراب
وقد دلفت بعرصتهم فيول كأن زهاءها[١] إبل جراب

- **جرير البجلي يشارك في مطاردة الفرس حتى «ساباط» و«جلولاء»:**

لما فرَّ الفرس من ساحة المعركة وجه سعدٌ عياض بن غنم وجعل على مقدمته هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى ميمنته جرير البجلي، وعلى ميسرته زُهرة التميمي، وتخلف سعد لمرضه حتى وصلوا بمطاردتهم (ساباط) قريبًا من المدائن، فأشفق الناس أن يكون كمين للعدو، ولكن هاشم بن عتبة أمر بالتغلغل في المطاردة، حتى انتهوا بمطاردتهم إلى جلولاء[٢]، وكان بها جماعة من الفرس استطاع المطاردون تشتيتهم.

وشهد جرير مع قومه معركة فتح (المدائن) عاصمة كسرى، كما شهد معركة جلولاء تحت راية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، فلما استطاع المسلمون القضاء على القوات الفارسية في (جلولاء) ضم هاشم إلى بجيلة خيلًا كثيفة وجعلهم بقيادة جرير وأبقاهم قوة ساترة في جلولاء لتكون بين المسلمين والفرس، فهاجم جرير «خانقين»، وكان فيها فلول من الفرس فقتل بعضهم وفرَّ الباقي.

- **جرير البجلي رضي الله عنه الفاتح لخانقين[٣]، و«حلوان»[٤]، و«قَرْمِيسين»[٥]، و«همذان»:**

فتح جرير «خانقين» وأمد سعد جريرًا بنحو ثلاثة آلاف مقاتل، وأمره أن يسير لفتح (حُلوان)، فلما كان بالقرب منها هرب (يزدجرد) إلى (أصبهان) وفتح جرير

(١) الزهاء: العدد الكثير.

(٢) تاريخ الطبري (٣/٨٠).

(٣) خانقين: بلدة بالقرب من الحدود العراقية ـ الايرانية، تقع في العراق على طريق بغداد ـ همذان.

(٤) البلاذري ص (٢٦٤)، حلوان: مدينة في العراق تقع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد.

(٥) قرميسين: جاء اسمها في البلاذري ص (٢٩٩) قرماسين، وهي على طريق مكة، والصحيح ما ذكرناه أعلاه. وهي بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخًا وهي بين همذان وحلوان.

حلوان صلحًا، ثم سار إلى (قَرْمِيسين) ففتحها صلحًا أيضًا، وبقي جرير واليًا على حلوان حتى أمره عمار بن ياسر والي الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص أن يتحرك مددًا لأبي موسى الأشعري في (خوزستان)، فغادرها جرير مخلفًا عليها عزرة بن قيس البجلي، وقد نزل حلوان قوم من ولد جرير، فأعقابهم بها(١).

- **البطل في «نهاوند»:**

وبرز اسم جرير في معركة (نهاوَنْد)(٢) الحاسمة، فكان من بين أشراف العرب وأبطالهم المعدودين الذين خاضوا تلك المعركة(٣) تحت لواء النعمان بن مُقرن المزني، فأبلى جرير في هذه المعركة بلاءً أعظم البلاء.

وكان عمر بن الخطاب قد كتب إلى النعمان بن مقرن: «إن أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان، فإن أصيب فجرير بن عبدالله البجلي، فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة، ثم الأشعث بن قيس»(٤)، مما يدل على منزلته الرفيعة عند عمر بن الخطاب.

وفي رواية: أن المغيرة بن شعبة حين كان واليًا على الكوفة أرسل جريرًا لفتح (همذان)(٥)، فقاتل أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال: «احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ونوَّر لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله»، ثم فتحها على مثل صلح

---

(١) البلاذري (٢٩٩)، ومجمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ـ لابن حزم ص (٣٤٥)، ولكن الطبري يذكر أن الذي فتح حلوان وخانقين هو القعقاع ابن عمرو التميمي. راجع الطبري (١٤٠/٣).
ولا أرى اختلافًا بين ما جاء في الطبري والبلاذري، إذ أن القعقاع فتحها حقًا حين طارد الفرس، ولكن جريرا ثبت هذا الفتح بقواته الضاربة، ثم تسرب بفتحه عمقًا إلى قرميسين داخل إيران.
لا تزال في منطقة خانقين وحلوان قبيلة باسم (باجلان) وهي بمعنى (بجلى) نسبة إلى بجيلة القبيلة العربية المعروفة، لأن الألف والنون من (باجلان) علامة نسبة بهلوية كما هي الكلمة: بابكان إلى (بابك).

(٢) نهاوند: أعتق مدينة في الجبل، وهي مدينة قديمة في إيران.

(٣) ابن الاثير (٤/٣).

(٤) البلاذري ص (٣٠٠)، ومعجم البلدان (٣٢٩/٨).

(٥) همذان: مدينة من أكبر مدن إيران وأقدمها.

(نهاوند)، وغلب على أرضها قسرًا[١].

سكن جرير الكوفة وابتنى بها دارًا، وقد ولاه عثمان «قِرقِيسياء»[٢] وبقي عليها حتى توفي عثمان. وفي رواية أخرى: أن عثمان رضي الله عنه ولَّاه «همذان»، وبعد مقتل عثمان أخذ جرير البيعة لعليٍّ من أهل «همذان»، واعتزل جرير الفتنة وارتحل بأهله إلى قرقيسياء.

وفي معركة صفين كانت بجيلة كلها مع علي رضي الله عنه في صفين، واعتزل جرير الطرفين حتى وافاه الأجل سنة إحدى وخمسين للهجرة (٦٧١م).

● **القائد:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ كريم النسب عقائديًّا شجاعًا مقدامًا ذكيًّا، وكان رضي الله عنه مؤهلًا للقيادة في أحرج المواقف وأخطرها؛ ولذا وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم لتحطيم صنم «ذي الخلصة»، وهذا الواجب لم يكن سهلًا في تلك الأيام وخاصة وأن جذور الشرك لم تكن قد اجتثت تمامًا من أصولها، وأن المشركين كانوا يسترخصون أرواحهم وأموالهم في سبيل الذود عن أصنامهم؛ لهذا لم يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم لمثل هذه الواجبات غير الصفوة من أصحابه أمثال علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وجرير.

لقد كانت له قابلية فائقة على إعطاء القرار السريع الصحيح، شجاعًا مقدامًا صبورًا ذا إرادة قوية راسخة، يتحمل مسئوليته كاملة بلا تردد، بل إنه يحرص غاية الحرص على تحمل مسئوليته كاملة ولا يتهرب منها خوفًا وجزعًا، له نفسية لا

---

(١) ابن الأثير (٣/٩)، والبلاذري ص (٣٠٦)، ومجمل فتوح الإسلام ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٦). أما الطبري في (٣/٢٢٩ـ ٢٣٠)، فيذكر أن الذي فتحها هو نعيم بن مقرن المزني والقعقاع بن عمرو التميمي. ولا أرى تضاربًا بين الروايتين لأن فتح نعيم لها كان بقواته الخفيفة المطاردة، أما فتح جرير فكان بقواته الضاربة حيث ثبت فتحها وضمها نهائيًا إلى بلاد المسلمين.

(٢) بلدة على الخابور عند مصب الخابور في الفرات.

تتبدل في حالتي النصر والاندحار، وفي حالتي الرخاء والشدة، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ويثق بهم ويثقون به، ويبادلهم حبًّا بحب وإخلاصًا بإخلاص، له شخصية نافذة وقابلية بدنية ممتازة وماض ناصع مجيد.

- **جرير البجلي العالم بقدر الرجال:**

قدم جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عند سعد بن أبي وقاص، فقال له: «كيف تركت سعدًا في ولايته؟»، فقال: «تركته أكرم الناس مقدرة، وأحسنهم معذرة، هو لهم كالأم البرة، يجمع لهم كما تجمع الذرة[1]، مع أنه ميمون الأثر، مرزوق الظفر، أشد الناس عند البأس، وأحب قريش إلى الناس»[2].

قال عمر: «فأخبرني عن حال الناس»، فقال جرير: «هم كسهام الجعْبَة، منها القائم الرائش[3]، ومنها العَضِل[4] الطائش، وابن أبي وقاص ثقافها يغمز عَضِلها ويقيم ميلها، واللَّه أعلم بالسرائر يا عمر!» قال: «أخبرني عن إسلامهم»، قال: «يقيمون الصلاة لأوقاتها، ويؤتون الطاعة لولاتها»، فقال عمر: «الحمد لله إذا كانت الصلاة أوتيت الزكاة، وإذا كانت الطاعة كانت الجماعة»، وجرير هو القائل: «الخرس خير من الخلابة، والبكم خير من البذَاء»[5].

وكان ذكيًا محدثًا عالمًا بأمور دينه فقيهًا، روى مئة حديث عن رسول اللَّه ﷺ[6]، كما عدَّه العلماء من أهل الفتيا البارزين[7].

وكان كيسًا عاقلًا، وجد عمر بن الخطاب في مجلسه رائحة من بعض

---

(١) الذر: صغار النمل، واحدته: ذرة.
(٢) الاستيعاب (١/٢٣٩).
(٣) الرائش: ذو الريش، إشارة إلى كماله واستقامته.
(٤) العضل ـ بكسر الضاد ـ من السهام: المعوج.
(٥) الاستيعاب (١/٢٣٩). والخلابة أراد به القول.
(٦) أسماء الصحابة والرواة ـ ملحق بجوامع السيرة ـ لابن حزم.
(٧) أسماء أصحاب الفتيا ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ـ ص (٣١٩).

جلسائه، حين قال عمر: «عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام».

- **جرير في التاريخ:**

يذكره التاريخ في ناحيتين: عقيدته الراسخة وجهاده العظيم!

يذكر عقيدته التي لم تتبدل أبدًا منذ إسلامه، فقد ثبت على عقيدته شامخًا كالطود حين ارتد كثير من الناس، واعتزل الفتن حين اشترك فيها كثير من الناس، وبقي في كل حياته مخلصًا لعقيدته لا يتزحزح عنها قيد أنملة طلبًا لمغنم أو هربًا من مغرم، وبذلك كان النموذج الرائع للعقائدي الذي يحيا ويموت من أجل عقيدته.

ويذكر التاريخ له جهاده الفذ لأجل إعلاء كلمة الله، ولا تزال آثار فتوحاته باقية في حلوان وخانقين وقرميسين وهمذان منذ الفتح الإسلامي قبل حوالي أربعة عشر قرنًا حتى اليوم.

إن التاريخ لا ينسى جريرًا وأمثاله من قادة الفتح، ولكن هل يذكره العرب والمسلمون؟!

رَضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، المتحدث الفقيه، جرير بن عبداللَّه البجلي.



(٣٤٢) الصحابي الجليل
هاشم بن عتبة بن أبي وقَّاص
المرْقال، الأسد قاتل الأسود
فاتح محور ديالي من المدائن إلى جلولاء

هو أبو عمرو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص من بني زهرة «الشجاع المعروف بالمرقال، ابن أخي سعد بن أبي وقاص. قال الدولابي: لُقِّب بالمرقال؛ لأنه كان يُرقِل في الحرب؛ أي: يسرع، من الإرقال، وهو ضرب من العدْو... وقال الخطيب: أسلم يوم الفتح، وحضر مع عمه حرب الفرس بالقادسية، وله بها آثار مذكورة. وقال الهيثم بن عدي: عقد له عمه سعد على الجيش الذي جهزه إلى قتال يزدجرد ملك الفرس، فكانت وقعة جَلولاء»[١].

مسيرة جهاده

قاتل هاشمُ المرتدين تحت لواء خالد، فلما انتهت حروب الرِّدَّة، وسار خالد بن الوليد نحو العراق، كان هاشم معه في معاركه التي خاضها في العراق، فلمَّا توجه نحو أرض الشَّام كان هاشم من بين الذين انتخبهم خالد من جيش العراق، فشارك خالدًا في المعارك التي خاضها في طريقه إلى الشام.

- **هاشم البطل قائد الميسرة في فحل بيسان يُري الروم الأعاجيب:**

وكان هاشم قائد مَيْسرةِ المسلمين في معركة فَحْل بيسان. يقول رحمه الله: «واللَّه لقد كنَّا يومئذٍ أشْفَقْنَا على خيلنا أول النهار، ثم إن اللَّه نصرنا عليهم، فما هو إلا أن رأينا خيْلنا قد نصرها اللَّه على خيلهم، فدعوت الناس إليَّ، وأمرتهم بتقوى

(١) الإصابة (٦/٤٠٤، ٤٠٥) - دار الكتب العلمية.

الله، ونزلتُ فهززتُ رايتي ثم قلت: واللّه لا أردُّها حتى أركزها في صفِّهم، فمن شاء فليتبعني، ومن شاء فليتخلَّف عني، فوالذي لا إله إلا هو ما أعلم أن أحدًا من أصحاب رايتي تخلَّف عني، حتى انتهيت إلى صفِّهم، فنضَحُونا بالنُّشَّاب، فجثونا على الرُّكب واتَّقَيْنَاهم بالدرق، ثم دنوت بلوائي وقلت لأصحابي: شدُّوا عليهم، أنا فداؤكم، فإنها غنيمةُ الدنيا والآخرة. فشددتُ وشدُّوا معي، فاستقبلت عظيمًا منهم، وقد أقبل نحوي، فأوجزته الرُّمح فخرَّ ميتًا، وضَارَبْنَاهم بالسيوف ساعةً في صفِّهم، وحمل عليهم خالدُ بن الوليد من قِبَلِ مَيْمنتهم، فقاتلهم قتالًا شديدًا، وَنَهَدَ إليهم أبو عبيدة بالرجَّالة والناس، وأمَرَ الخيل التي كانت قِبلَه من خيل خالد، فحملت على المشركين وكانت هزيمتهم[1].

- **في اليرموك لهاشم الأثر الملموس في انتصار المسلمين:**

وفي اليرموك ولاه أبو عبيدة قيادة الرجَّالة وقال: «أوليها ـ إن شاء اللّه ـ من لا نخاف نُكوله ولا صدوره عند البأس، أوليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص. فقال له خالد: وُفِّقت ورُشِدت»[2].

«وفي معركة اليرموك برز هاشم فدائيًا وقائدًا، فقد انتخب خالد فدائيين من أبطال المهاجرين والأنصار، وعددهم مئة فارس فقط[3]، للتأثير على معنويات الروم في ابتداء معركة اليرموك، وكان هاشم أحد هؤلاء الفدائيين المنتخبين، وبعد أن فعل هؤلاء الفدائيون الأعاجيب، تولى هاشم قيادة مشاة المسلمين في قيادة معركة اليرموك في رواية الواقدي[4]، وقيادة كُرْدُوس من مشاة المسلمين في رواية الطبري[5]، وفي هذه المعركة فقد إحدى عينيه[6]، وقاتل الروم بشجاعة فائقة،

(١) الأزدي ص (١٣٥).
(٢) الحارث الأزدي ص (١٨٨).
(٣) فتوح الشام للواقدي (١/١٢٠).
(٤) فتوح الشام للواقدي (١/١٣٤).
(٥) تاريخ الطبري (٢/٥٩٣).
(٦) فتوح البلدان للبلاذري ص (١٤١).

كان لها أثر ملموس في انتصار المسلمين على عدوهم في هذه المعركة الحاسمة»[١].

- **وفي القادسية أبلى هاشم البلاء الحسن:**

أعاد عمر رضي الله عنه إلى العراق كل الرجال الذين جاءوا مددًا إلى الشام، وهم ستة آلاف، وأمَّر على هذا الجيش هاشم بن عتبة، وجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي، وعجَّله أمامه كي يدرك سعدًا قبل فوات الأوان.

وفي اليوم الثالث من أيام القادسية، وهو يوم «عماس» أدرك هاشم وجنوده رجال القعقاع، فجعل رجاله فِرَقًا، وأمرهم أن يتلاحقوا دِراكًا، فلا تسير فرقة حتى تغيب الأخرى عن نظرها، وسار هاشم على رأس الفرقة الأولى، حتى إذا خالط القلب، كبَّر وكبَّر المسلمون وهم في مصافِّهم، قال هاشم: أول القتال المطاردة ثم المراماة، وأخذ قوسَه فوضع سهمًا على كبدها، ثم نزع فيها، فرفعت فرسُه رأسها فجأة ـ وكان لا يقاتل إلا على فرس أنثى، لا يقاتل على ذكر ـ فقطع أذنها، فضحك وقال: «واسوأتاه من رمية رجل كل من رأى ينتظره، أين ترون سهمي كان بالغًا لو لم يُصب أذن الفرس؟» قالوا: كان يبلغ كذا وكذا [وفي رواية: أنه قيل: كان يبلغ العتيق] فأجال فرسه ثم نزَّقها، وقد نزع السهم ثم ضربها حتى بلغت حيث قالوا، ثم ضربها، فأقبلت به تخرقهم حتى عاد إلى موقفه. وفي رواية أخرى: أنه أجال فرسه ثم نزل وتركه وخرج إليه يضربهم، حتى بلغ حيث قالوا، وما زالت قواته تصل تباعًا[٢].

لقد كان لقدوم قوات هاشم في الوقت المناسب أثر حاسم في انتصار المسلمين على الفرس، «وأبلى ـ هاشم ـ فيها بلاءً حسنًا، وقام منه في ذلك ما لم يقم من

---

(١) قادة فتح الجزيرة والعراق لمحمود شيت خطاب ص (٣٢٢).

(٢) الطبري (٣/٥٥١) و(القادسية) لأحمد عادل كمال ص (١٦٧- ١٦٩).

أحد، وكان سبب الفتح على المسلمين»[١].

تُرَى لو لم تَصِل قواتُ هاشم إلى ساحة معركة القادسية في الوقت المناسب، فماذا كان يحدث للمسلمين في تلك المعركة؟

ولقد وصل أمرٌ من عمر بعد انتصار المسلمين في القادسية بالتوجُّه لفتح المدائن، فعبَّأ سعد جيشه بمقدمات: قَدَّم زهرة بن الحويَّة، ثم أتبعه بعبد اللَّه بن المعتم، ثم بشرحبيل بن السِّمط، ثم بهاشم الذي جعله نائبًا عنه بدلًا من خالد بن عُرْفُطة، الذي جعله على السَّاقة، فسارت قواتُ المسلمين من نصرٍ إلى نصر؛ انتصروا في بُرس، وفي بابل، وفي ساباط. وهنا لنا وقفة مع الأسد.

- **هاشم الأسد يقتل أسد كسرى في مظلم ساباط:**

تقدَّم الجيشُ إلى ساباط على ثلاثين كيلو مترًا من المدائن، بطريق بهرسير، وفي مكانٍ اسمه مظلم بضواحي ساباط، التقى المسلمون بقوةٍ مجوسية، ذكرتها الأنباء على أنها «كتيبة كسرى» أو كتائب كسرى، وحملت اسم: بوران [بنت كسرى أبرويز، وهي عمَّة يزدجرد الثالث]، وهي تمثل قوات الحرس الملكي.

«وبلغ هاشم إلى مظلم ساباط، فوقف المسلمون حتى لحق بهم سعد، وفي مظلم ساباط كانت بعضُ الحدائق الملكيَّة، وكان كسرى قد اقتنى فيها بعضَ الأسود، منها أسد اسمه المقرط، كان كسرى قد اختاره من أسود المظلم واستأنسه، واجتمعت كتائب كسرى بوران في المظلم، وكانوا يحلفون باللَّه كلَّ يوم: «لا يزول ملك فارس ما عشنا» ودارت المعركة، وبلغهم سعد وهي دائرة، فأطلق المجوس أسَدَهم المقرط على صفوف المسلمين، ونزل هاشم عن فرسه، وتقدَّم إلى الأسد بقلبٍ لا يعرف الخوف، كما تقدَّم إخوانٌ له من قَبْل إلى الأفيال بالقادسية، وضرب هاشم الأسد بسيفه حتى قتله، وسمَّى سيفه «المتن»، وقَبَّل سعدٌ

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (١٥٤٦/٤).

رأس هاشم؛ تقديرًا له ولما فعل، وانحنى هاشم حُبًّا واحترامًا لعمه وقائده حتى قبَّل قدم سعد»[١].

• **لله درهم من صالحين وأبطال لا يخافون الأُسْد:**

«نعم حكاية أبطال الأمة وصالحيها مع الأُسْد عجيبة، فسفينة مولى رسول اللَّه ﷺ يعترضه السبع بعد أن فرَّ من الأسر، فتقدم إلى الأسد وقال: يا أبا الحارث[٢] أنا مولى رسول اللَّه ﷺ، كان من أمري كيت وكيت.. فبصبص الأسد[٣] ثم سار معه حتى أوصله إلى الجيش»[٤].

«وعمرو بن عتبة بن فرقد كان يخرج إلى العدو مع الناس فلا يتحارس الناس لكثرة صلاة عمرو، ورأوه ليلة يصلي فسمعوا زئير الأسد فهربوا وهو قائم يصلي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إني لأستحي من اللَّه أن أخاف شيئًا سواه»[٥].

وشيخ الإسلام بنان الحمَّال يأمر والي مصر أحمد بن طولون بالمعروف، فيحبسه، ويجوِّع أسدًا ثلاثة أيام ويلقيه إليه، ثم فتحوا الباب بعد ذلك على الأسد وبنان، فوجدوا الأسد يشم بنان الحمَّال ولا يؤذيه... وسألوا بنان الحمَّال: أين كان قلبك والأسد يشمك؟ قال: كنت أفكر في اختلاف العلماء في سؤر السباع!!! لله درهم.. ما العيش إلا معهم.

حالتْ لفقدكم أيامنا فغدتْ سودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا

• **جلولاء:**

لم يكد المسلمون يستقرُّون في المدائن، حتى علموا بأن قوات فارس قد

---

(١) «سقوط المدائن» لأحمد عادل كمال ص (٢٠- ٢١) دار النفائس.

(٢) كُنية الأسد.

(٣) أي حرّك ذنَبه يمينًا وشمالا.

(٤) حسنه الألباني.

(٥) حلية الأولياء (٤/١٥٦، ١٥٧).

عسكرت بجلولاء، وهي مدينة على طريق خراسان شمال المدائن، فكتب عمر إلى سعد: سَرِّح هاشم بن عتبة إلى «جلولاء» في اثني عشر ألفًا، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى ميمنته مسعر بن مالك، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة، واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني[١].

وسار هاشم من المدائن أربعةَ أيام، حتى بلغوا جلولاء، فأحاط بها وحاصر المجوس فيها وطاولوه، فكانوا لا يخرجون من استحكاماتهم إلا إذا أرادوا، وكان المجوس يزاحفون المسلمين بأعدادٍ كبيرة وبجلَبَةٍ وأهاويل، وقد وقع أثناء هذا الحصار ثمانون زحفًا، كان الظَّفر فيها جميعًا للمسلمين، ويعود العَجَمُ إلى ما وراء خنادقهم، واستمر الحصار على هذه الحال سبعة أشهر أو يزيد، وكان يزدجرد يحشد من أهل الجبال من حول حلوان، ويمدُّ قواته في جلولاء بأمدادٍ جديدة في كل يوم، وكانت استحكامات الفرس عبارة عن خندق كبير متسع وعميق، حَفَره المجوس حول مواقعهم، يحوطه حزام من حَسَك الخشب، وهي خوازيق من الخشب، قد نصبوها كموانع لاندفاع الخيل، وبين الخندق ونطاق الحسك مجالٌ خالٍ، ثم جعلوا بعد ذلك حسك الحديد، وخرج المجوس في زحفٍ كبير من العَدد والعُدة، وكان هو الأخير، فقام هاشم في جنده وخطبهم فقال: «إن هذا المنزل منزل له ما بعده، أبلوا اللّه بلاءً حسنًا يتم لكم عليه الأجر والمَغْنم، واعملوا لله».

وكان الالتحام شديدًا، لم يَقْتتلوا مثله؛ رميًا بالنَّبْل، وطعنًا بالرماح، حتى تقصَّفت، فاستلُّوا السيُّوف وتجالدوا بها حتى انثنت، وانهزم المجوس، وتراجعوا، فتبعهم المسلمون يشدُّون من ضغطهم عليهم، حتى غلبوهم على خوازيق الخشب، وهم يقتلونهم قتلًا ذريعًا، حتى حجزهم الليل، والتحم مرة ثانية مع المجوس، بعد أن ألقوا أمام خندقهم حسك الحديد ليغرز في أقدام خيل المسلمين، والتحم الفريقان واقتتلوا اقتتالًا شديدًا، والظلام يسحب رداءه على الميدان، قتالًا لم يقتتلوا

---

(١) تاريخ الطبري (١٢٢/٣).

مثله إلَّا ما كان ليلةَ الهرير، وبلغ القعقاعُ وجنده مدخل الخندق فأخذ به، وقد انعزلوا عن سائر المسلمين، فأمر مُنادِيَه فنادى: «يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به، فأقبلوا إليه لا يمنعكم منْ بينكم وبينه من دخوله» ولم يَعُد المسلمون يشكُّون في أن هاشمًا في الخندق، فكيف يتركونه بين المجوس، وحمل المسلمون حملةً صادقة عنيفة، لم يصمد لها العجم، حتى أدركوا القعقاع، وهو آخذٌ بمدخل الخندق، يمنع المجوس من الانسحاب إليه.

وبدأت هزيمة المجوس، وأصاب حَسَكُ الحديد خيولهم، فنزلوا عنها وقاتلوا مشاةً، ولكن أيَّ مشاة؟! مشاة مشتتة، وتعقَّبهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلَّا من لا يُعَدُّ، يقول الرواة: إن قتلى المجوس بلغوا مئة ألفٍ، فجلَّلت المجال وما أمامه وما خلفه؛ ولذلك سمِّيت جلولاء؛ بما جلَّلها من قتلاهم، وكان مِهرانُ قائد قوات الفرس من بين القتلى، وفرَّ فيرزان إلى المرتفعات الوعرة.

وقد قُوِّمت غنائم جلولاء بثلاثين مليون درهم، وبلغ سهم الفارس بجلولاء مثل سهمه بالمدائن.

وفي رواية أخرى: في جلولاء اقتسم على كل فارس تسعة آلاف درهم، وتسعة من الدواب.

وكتب سعد إلى عمر بفتح جلولاء، وبنزول القعقاع حلوان، فلما قدموا على عمر كلَّمه زياد بن أبي سفيان، ووصف له، وأفاض في طلاقةٍ أعجبت عمر، فقال له: «هل تستطيع أن تقومَ في الناس بمثل الذي كلَّمتني به؟» قال: واللَّه ما على الأرض شخصٌ أهيب في صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك. وقام زياد في الناس، فحكى لهم عما أصابوا، فقال عمر: «هذا الخطيب المصقع» فقال زياد قولته الندية: «إن جُنْدَنَا أَطلقُوا بالفَعَال لِسَانَنَا».

رضي اللَّه عن المِرْقال هاشم، فاتح محور ديالي، من المدائن إلى جلولاء، الذي شيَّبته المعارك فقال:

يَومَ جلولاءَ ويوم رستمْ ويوم زحفِ الكوفة المُقَدَّمْ
ويوم عرض النهر المجرَّمْ من بين أيامٍ خلون صُرَّمْ
شيَّبْن أصداغي فهنَّ هُرَّمْ مثل ثَغَام البلد المحرَّمْ[(١)]

- **أيامه بعد الفتح:**

استقر هاشم في الكوفة بعد تمصيرها مع عمه سعد بن أبي وقاص، يعاونه في إدارة شئون العراق، ويدير معه الشئون العسكرية في أوج أيام الفتح الإسلامي، حتى عزل عمر سعدًا عن الكوفة سنة عشرين الهجرية[(٢)].

وقد قام هاشم بنفس الدور في معاونة عمه سعد عندما تولى الكوفة ثانية في خلافة عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين الهجرية[(٣)] حتى عزله عثمان عنها سنة ست وعشرين الهجرية[(٤)]، ولم يشارك هذا البطل النبيل في الفتنة والشغب على عثمان، بل كان كارهًا لها كرهًا شديدًا.

وكان هاشم في الكوفة لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلم يتردد أبدًا عن مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما علم بأن الناس في المدينة المنورة بايعوه، قال هاشم لأبي موسى الأشعري والي الكوفة يومذاك: «تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة علي»، فقال أبو موسى: «لا تعجل!»، فوضع هاشم يده على الأخرى قائلًا: «هذه لعلي، وهذه لي، وقد بايعت عليًّا»[(٥)]، وقال ـ رحمه الله ـ:

أبايع غير مكترثٍ عليًّا ولا أخشى أميرًا أشعريا[(٦)]
أبايعه وأعلم أن سأرضي بذاك الله حقًّا والنبيا

---

(١) «سقوط المدائن» لأحمد عادل كمال.
(٢) الكامل (٢/٢٢٠).
(٣) الطبري (٣/٣٠٦).
(٤) الطبري (٣/١١)، أما ابن الأثير في (٣/٣١) فيذكر أن سعدا عزل عن الكوفة سنة ٢٥هـ.
(٥)، (٦) الإصابة (٦/٢٧٦)، والكامل (٢/٢٠١)، والطبري (٣/١٣٥)، و(٣/١٤٠).

- **قتل هاشم في صفين:**

كان هاشم قائد المشاة في معركة صفين[١]، كما كانت معه راية علي في تلك المعركة، وقد قُتِل فيها هو وعمار بن ياسر في يوم واحد[٢]، وذلك في سنة سبع وثلاثين الهجرية بعد أن أبلى في تلك المعركة أعظم البلاء وقاتل هاشم وأصحابه قتالًا شديدًا، فأقبلت عليهم عند المغرب كتيبة لتنوخ فقاتلهم هاشم وهو يقول:

أعور يبغي أهلَه مَحَلًّا ... لا بد أن يَفُلَّ أو يُفَلَّا

قد عالج الحياة حتى مَلَّا ... يَتُلُّهُم بذي الكعوب تَلَّا

فقتل يومئذٍ تسعة أو عشرة، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوحي فطعنه، فسقط ـ رحمه الله ـ.

- **الإنسان:**

كان رضي الله عنه مثالًا حيًّا للإخلاص الشديد والشجاعة النادرة، وكان معدودًا من أبرز أبطال المسلمين حتى سمَّوه بالمرقال؛ لأنه كان يُسرع في الحروب لملاقاة عدوه، وكان كريمًا شهمًا، وفيًّا صادقًا، أِلفًا مألوفًا، ذكيًّا متزنًا، كل هذا جعله موضع ثقة المسلمين وموضع ثقة أمرائهم وخلفائهم.

وكان لا يحرص على الإمارة، فلم نعرف عنه أنه طالب أحدًا بولاية أو إمارة، وكان يعتبر ذلك تكليفًا لا تشريفًا!

ولم يذكر عنه أنه أثرى على حساب الفتح، بينما شهد معركة اليرموك والقادسية وفتح المدائن ومعركة جلولاء، وكلها معارك أفاءت على الذين شهدوها من المسلمين مالًا كثيرًا، ولعل سخاءه وكرمه لم يترك له غير الذكر الحسن، وكأن الذي قال: (الجود يفقر والإقدام قتال!!) قصده بالذات، إذ مات فقيرًا قتيلًا.

---

(١) الاستيعاب (١٥٤٧/٤).

(٢) تاريخ الطبري (٢٨/٤).

- **القائد هاشم بن عتبة في التاريخ:**

كان هاشم صحيح القرار سريعه، وذلك لذكائه واتزانه، ولاستعانته دومًا بذوي الرأي من رجاله، والعمل بمشورتهم.

وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة وشجاعة نادرة وعقيدة راسخة، يتحمَّل المسئولية، يبادل رجاله ثقة بثقة وحبًّا بحب، له ماض ناصع مجيد.

يذكر التاريخ لهاشم بأنه قضى على مقاومات الفرس على محور المدائن (جلولاء، خانقين، قصر شيرين)، وهو المحور الرئيسي لانسحاب القوات الفارسية من المدائن باتجاه فارس الذي تتيسر فيه مواضع دفاعية متعاقبة تسهل مهمة الدفاع عنه، مما يجعلنا نلمس أهمية قيادة هاشم ومقدار خدمته للفتح الإسلامي.

ويذكر له أثره الشخصي البارز في انتصار المسلمين على الروم في معركة (اليرموك) الحاسمة، وعلى الفرس في معركة (القادسية) الفاصلة، ولا يزال المؤرخون يتساءلون حتى اليوم، ترى! لو لم تصل قوات هاشم إلى ساحة معركة القادسية في الوقت المناسب، فماذا كان يحدث للمسلمين في تلك المعركة؟؟!

إن التاريخ يذكر له أنه فاتح محور نهر ديال،ي وأنه نشر الإسلام في الربوع الكائنة بين (سلمان باك)[1] الحالية وقصر شيرين في إيران عبر حدود العراق، فهل يذكره أهل تلك المنطقة؟ وهل يذكره العرب والمسلمون في كل مكان؟؟!

رَضِي اللَّه عن الفارس المغوار، والفاتح القائد والبطل العظيم، الصحابي الجليل، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص.



---

(١) سلمان باك: هي المدائن، وتقع على دجلة قريبة من بغداد.

(٣٤٣) البطل المقدام بطل اليرموك والقادسية ونهاوند.. فاتح خانقين وحلوان وهمذان، الصحابي الجليل.. القعقاع بن عمرو التميمي..

- **«لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع» [أبو بكر الصديق]:**

بطلنا هو الصحابي القعقاع بن عمرو التميمي أخو عاصم، ذكره ابن حجر في الإصابة في تراجم الصحابة[١]، وقال عنه: «كان من الشجعان الفرسان. قيل: إن أبا بكر كان يقول: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل، وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم..

وقال ابن عساكر: يُقال إن له صحبة، كان أحد فرسان العرب وشعرائهم، شهد فتح دمشق، وأكثر فتوح العراق.

استمد خالد أبا بكر لما حاصر الحيرة فأمدَّه بالقعقاع بن عمرو التميمي، وقال: لا يهزم جيش فيه مثله. وهو الذي غنم في فتح المدائن أدراع كسرى، وكان فيها درع هرقل، ودرع لخاقان، ودرع للنعمان وسيفه وسيف كسرى؛ فأرسلها سعد إلى عمر»[٢].

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: «قدم وفد تميم على النبي ﷺ في السنة التاسعة للهجرة[٣] بعد غزوة (تبوك)، فدخلت قبيلة تميم في الإسلام ومن بينهم القعقاع بن عمرو التميمي.

---

(١) الترجمة (٧١٤٢) ـ الإصابة (٣٤٢/٥ـ ٣٤٤)، وانظر أسد الغابة (ترجمة ٤٣١٥)، والاستيعاب (ترجمة ٢١٤٥).

(٢) الإصابة (٣٤٢/٥، ٣٤٣، ٣٤٤).

(٣) الطبري (٣٧٧/٢).

ولا نعرف له جهادًا في عهد الرسول ﷺ؛ لأنه أسلم متأخرًا، ولكنه نال شرف الصحبة[١] وهو شرف عظيم!»[٢].

والقعقاع الفارس المغوار النبيل .. صاحب الخوارق والشجاعة التي يعجز القلم عن وصفها في معارك الفتح... وهو بحق حيدرة الأُسُود.

جهاده

- **في الردة:**

«كان علقمة بن علاثة من بني كلب قد أسلم ثم ارتد في زمن النبي ﷺ ولحق بالشام بعد فتح الطائف، فلما توفي النبي ﷺ أقبل مسرعًا حتى عسكر في بني كلب، فبلغ ذلك أبا بكر فبعث إليه سريَّة عليها القعقاع بن عمرو ـ وقيل: بل قعقاع بن سور[٣] ـ، وقال له: لتغير على علقمة لعلك تقتله أو تستأسره.

فخرج ـ القعقاع ـ في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح إلا مستعدًا فسابقهم على فرسه فسبقهم، وأسلم أهله وولده، وأخذهم القعقاع، وقدم بهما على أبي بكر فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر عنهم أنهم فارقوا دارهم وقالوا له: ما ذنبنا فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم، ثم أسلم فقبل ذلك منه»[٤].

- **القعقاع مع خالد في العراق:**

«سير أبو بكر خالد بن الوليد إلى العراق، وكتب إليه وإلى عياض بن غنم أن يستنفرا مَن قاتل أهل الردة، وأن لا يغزون معهما مرتدًّا، ففعلا، وكتبا إليه

---

(١) الطبري (٣/٢٠٥).
(٢) قادة فتح العراق والجزيرة ص (٣٣٢).
(٣) ليس للقعقاع بن سور ذكر في الإصابة ولا أسد الغابة.
(٤) الكامل (٢/٢١٠).

يستمدانه، فأمد خالدًا بالقعقاع بن عمرو التميمي، فقيل له: أتمدُّ رجلًا قد ارفضَّ عنه جنوده برجل واحد؟ فقال: «لا يُهزم جيش فيهم مثل هذا»(١).

- **القعقاع ينقذ خالدًا من القتل في معركة كاظمة:**

كانت معركة كاظمة أول معركة كبيرة قاتل فيها جيش خالد جيش الفرس المجاورة بقيادة «هرمز» وكان سيئَ المحاورة للعرب، وكانوا يضربونه مثلًا - في الخبث - فيقولون: أكفر من هرمز.

وخرج هرمز ودعا خالدًا إلى البراز وواطأ أصحابه على الغدر بخالد، فبرز إليه خالد ومشى نحوه راجلًا، ونزل هرمز أيضًا وتضاربا، فاحتضنه خالد، وحمل أصحاب هرمز على خالد فما شغله ذلك عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو فأزاحهم، وانهزم أهل فارس، وركبهم المسلمون إلى الليل، وسميت الوقعة «ذات السلاسل»(٢).

وكان له أكبر الأثر في معركةٍ خاضها المسلمون، يقول في يوم «الولجة»:

ولم أرَ قومًا مِثْلَ قومٍ رأيتُهم   على وَلَجَاتِ البرِّ أحْمَى وأنْجَبَا
وأقْتَلَ للرَّوَّاسِ من كلِّ مجمعٍ   إذا ضَعْضَعَ الدَّهْرُ الجموعَ وكَبْكَبَا

ولما استسلمتِ «الحيرةُ» أرسل خالد قادته ومنهم القعقاع للتَّغلغُل في أرض السواد حتى دجلة، فنجح القعقاع في مهمته نجاحًا باهرًا، وأصبحت الحيرةُ القاعدةَ المتقدِّمة لجيش المسلمين، ولما أراد خالد فتح الأنبار، وعين التمر ودومة الجندل، استخلف القعقاع على الحيرة، فحمى القعقاعُ ظهر خالد، وحافظ على الحيرة قلعة المسلمين المتقدِّمة، وصدَّ هجومًا مقابلًا شنَّته الفرس وحلفاؤهم على المناطق المجاورة للأنبار.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/٥٥٤)، والكامل (٢/٢٣٨).
(٢) الكامل (٢/٢٣٩).

- **معركة الحصيد، العاشر من شعبان سنة اثنتي عشرة هجرية:**

كان قائد المسلمين القعقاع، وقائد قوات الحصيد «روزبه» على رأس قوات الفرس وحلفائهم المُتَنَصِّرة، فهاجمهم القعقاع، وكان مِثْل خالدٍ ذِكْرُه يُرعِب الأعداء، وكانت معركة ضارية، غير أن النصر في النهاية كان حليف المسلمين، وتوَّج القعقاع نصره المؤزَّر بقتْل قائد الفرس زرمهر، وَقَتَلَ عصمةُ الضبي القائد الثاني روزبه، وقُتِلَ من المجوس وحلفائهم العرب عددٌ كبير. وقال القعقاع:

أَلَا أَبْلِغَا أسماء أن حليلَها قضَى وَطَرًا من روزمهرِ الأعاجِمِ
غداة أصبْنا في حصيدٍ جموعَهُمْ بِهِنْدِيَّةٍ تَفْرِي فراخَ الجماجِمِ

وفي المصيَّخ كان القعقاعُ، وعبدُ بنُ فدكى السعدي، وأبو ليلى بن فدكى، وعروة بن جعد البارقي هُمُ القادة الذين تولَّوْا تصفيةَ القواتِ الفارسية والعربِ الموالين لهم، ومتى؟! بالليل، إي واللهِ، بالليل بعد منتصفه..!!

وفي «الفراض» يقول القعقاع:

لَقِينَا بالفِراضِ جموعَ رُومٍ وَفُرْسٍ غمَّها طولُ السَّلامِ
أَبَدْنَا جَمْعَهُم لمَّا التَقَيْنَا وَبَيَّتْنَا بجمعِ بني رزامِ

قاتل القعقاعُ تحت لواءِ خالدٍ أيضًا في كلِّ المعارك التي خاضها بعد ذلك، حتى تحرَّك خالدٌ إلى الشام، فكان القعقاعُ أحدَ الأبطال الذين اختارهم خالدٌ ليُعَاونوه في مهمَّته الشَّاقَّة، وهي فَتْحُ بلاد الشام.

وفي الطريق إلى الشام قَاتَلَ القعقاعُ تحتَ لواءِ خالدٍ في كافَّة المعارك، حتى التحقَتْ قواتُ العراق بقواتِ الشام.

وفي «فَحْلٍ» أبلى أعظمَ البلاء، قال القعقاع:

وغداةَ فحلٍ قد رأوْني مُعْلَمًا[1] والخيلُ تنحطُّ[2] والبلا أطْوارُ

---

(١) ذو علامةٍ، شأن الصناديد.

(٢) النحط: صوتُ الخيل من الثِّقَل والإعياء.

يُفدي بلائي عندها مُتَكَلِّفٌ ... سَلِسُ المياسِرِ عُودُهُ خَوَّارُ
سَلِسُ المياسرِ ما تسامَى ماقِطًا[1] ... عند الرِّهانِ مُعيَّرٌ عيَّارُ
ما زالتِ الخيلُ العرابُ تدوسهُمْ ... في حومِ فحلٍ والهَبَا[2] موَّارُ
حتى رمينَ سَراتهم عَنْ أسْرِهم ... في ردغةٍ ما بعدها استمرارُ
يومَ الرداغِ بُعَيْدَ فحلٍ ساعةً ... وخز الرِّماح عليهِمُ مُدرارُ
ولقد أبرْنا[3] في الرداغِ جموعَهُمْ ... طُرًّا ونحويَ تشخصُ الأبصارُ

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ:

نحنُ الأُولى جُسْنا العراقَ بِخَيْلِنا ... والشَّامَ جُسْنَا في ذُرَى الأشفارِ
كَمْ مِنْ قَمَامِسَةٍ[4] أبَرْنا جَمْعَهُم ... بعدَ العراقِ وبعدَ ذي الأوتارِ

- **في حِصَارِ دِمشق:**

إلى القعقاع ومذعور بن عدي وخالدٍ يعودُ الفضلُ الأكبرُ في إنهاءِ حصار دمشق وفتْحها؛ فالقعقاعُ ومذعورُ هما اللذان صَعِدَا على سلالمِ الحبال إلى أعلى السُّور، وأثبتا بقيةَ الحبال في شرف السُّور، وهاجم خالدٌ برجاله ـ وعلى رأسهم القعقاعُ ـ حُمَاةَ أبوابِ المدينة، فقتلوهم، وفتحوا الأبواب للفاتحين.

- **في اليرموك:**

كان القعقاعُ بن عمرو في القلْب على كُرْدُوسٍ من كَرادِيس أهلِ العراق من جيش خالدٍ، وكان القعقاعُ أحدَ الأبطالِ الذين اختارهم خالدٌ للتأثير على معنويَّات الروم في ابتداءِ معركة اليرموك، وكان رضي الله عنه يُهاجم الرومَ على رأس كُرْدُوسِهِ وهو يرتجزُ، ضاربًا لرجالِهِ في الشجاعة والإقدام أَرْوَعَ الأمثالِ، ولمَّا أراد خالدٌ أن يقوم بهجومِهِ المُضَادِّ، أمر خالدٌ عكرمةَ والقعقاعَ ـ وكانا على مجنبتي

(١) المأقط: المضيق في الحرب.
(٢) الهباء: الغبار شِبه الدخان.
(٣) قتلنا.
(٤) القَمَامِسَة: البطارقة؛ كبار الضباط في الروم.

القلب ـ فبدأَا الهجومَ المضادَّ الشامِلَ، وارتجز القعقاعُ يقول:

يا ليتني ألقاكِ في الطِّرادِ قبلَ اعترامِ الجحفَلِ الورَّادِ
وأنتِ في حَلْبتك الورادِ

وقال القعقاعُ بعد المعركة:

ألمْ ترنا على اليرموك فُزْنَا كما فُزْنَا بأيَّامِ العراقِ
فتحْنَا قَبْلَهَا بصْرَى وكانتْ مُحَرَّمَةَ الجَنَابِ لدى العناقِ
وَعَذْرَاءُ المدائنِ قَدْ فَتَحْنَا ومرجُ الصُفرَيْنِ على العِتَاقِ
قَتَلْنَا مَنْ أَقَامَ لنا وفِئْنَا نهابُهُم بأسيافٍ رِقَاقِ
قتلْنا الرُّومَ حتَّى ما تَسَاوى على اليرمُوك ثَفْرُوق الورَاق
فَضَضْنَا جمعَهُمْ لمَّا استحالُوا على الواقُوصِ بالبُتْرِ الرِّقَاقِ
غداةَ تهافَتُوا فيها فصارُوا إلى أمْرٍ يُعضِلُ بالذواقِ

- **في العراق ثانيةً:**

(١) في القادِسيَّة: القعقاعُ أفرسُ الناسِ بشهادةِ سعدٍ:

كان في مقدِّمة قواتِ هاشمٍ التي جاءت من الشام لِنَجْدةِ سعدٍ، فعجَّل القعقاعُ في مسيرته، حتى وصل العراقَ في صَبِيحةِ اليوم الثاني من أيَّامِ القادسية، وهو يوم «أغواث»، وقد عَهِدَ إلى أصحابه ـ وهم ألفُ رجلٍ ـ أن يكونُوا جماعاتٍ، كلُّ جماعة مُؤلَّفَةٌ من عشْرَةِ رجالٍ، ثم تقدَّم القعقاعُ مع الجماعة الأُولى فَسُرَّ الناسُ بقدومه، وبشَّرهم القعقاعُ بقدوم الجنود، قائلًا: «يَا أَيُّهَا الناسُ، إني جِئْتُكم في قومٍ ـ واللهِ ـ لو كانوا بمكانكم ثم أَحَسوكم حَسَدُوكم حَظْوَتَهَا، وحاولوا أن يطيروا بها دُونكم، فاصنعوا كما أصنع»[١]، ثم تقدَّم، فلمَّا كان بين الصَّفَّيْنِ، نادى: مَنْ يبارز؟...

لله دَرُّك يا قعقاعُ: تأتي من سفرٍ بعيدٍ مثلِ هذا، ثم تلتحم لحظةَ وصولِكَ

(١) الطبري (٣/٥٢).

وتبارز؟! وخرج ذو الحاجب «بَهْمَن» وعرَّف القعقاعَ بنفسه، فقال: إني «بَهْمَن جاذويْه»، ففارَ الدَّمُ في عروقِ القعقاع، وصاح: «يا لثاراتِ أبي عُبيدٍ وسليطٍ وأصحاب يوم الجسر!»[١]، ثم تبارزا بالسُّيوف، فقتله القعقاعُ، وكان «بهمن جاذويْه» - قائدُ قلب المجوس في القادسية، وقائدُهم يومَ «جِسْرِ المروحة» - أوَّلَ القتلى يومَ «أغواث»، وخرج القعقاعُ مرةً ثانيةً، وقال: مَنْ يُبارز؟ فخرجَ إليه «الفيرزان» قائدُ مؤخِّرتهم، فسدَّد إليه القعقاعُ ضربة سيفٍ قويةً فوقَ عنقِهِ، أَدْرَتْ برأسه، وبرزتْ فرسانُ المسلمين للمبارزة، فكان القعقاع يقول لهم: يا معاشرَ المسلمين، باشروهمْ بالسيُوفِ؛ فإنما يحصدُ الناسُ بها. وجعلتْ خيلُ القعقاع تَرِدُ جماعاتٍ، وما زالتْ تَرِدُ إلى الليل، فترتفعُ معنويات المقاتلين من المسلمين.

وَحَمَلَ بَنُو عمِّ القعقاع بجماعاتٍ مؤلَّفةٍ كلٌّ منها من عَشْرةِ رجالٍ، على إبلٍ قد ألبسوها، وهي مجللةٌ مُبرقَعَةٌ، وأمَرَهم القعقاعُ أن يُهاجموا بها خَيْلَ الفرسِ، فجفلتْ خيولُ الفرس تَفِرُّ منها، وركبتْها خيولُ المسلمين، فلمَّا رأى الناسُ ذلك فَرِحُوا أشدَّ الفرح؛ إذْ لقي الفرسُ من هذه الإبل أعظمَ مما لقي المسلمون من الفِيَلَةِ في اليوم الأَوَّل من أيام القادسية، وَحَمَلَ القعقاعُ يوم ذاك ثلاثين حملةً، كُلَّمَا طلعتْ جماعةٌ من جماعاتِهِ حَمَلَ معهم فيها، فَقَتَلَ وَحدَه يومَهَا من الفرس ثلاثين رجلًا، وبات القعقاعُ ليلته كُلَّها يُسَرِّب أصحابَه إلى المكان الذي فارقهم فيه من الأمس، قائلًا لهم: «إذا طلعتْ لكم الشمسُ فأقبلوا مئةً مئة، كلَّما توارى عنكم مئةٌ فَلْيَتْبَعْهَا مئةٌ، فإنْ جاءَ هَاشِمٌ فذاك، وإلَّا جدَّدتم للناس رجاءً وجِدًّا»[٢].

وقد نفَّذ ذلك دون علْم رجال القادسية الآخرين، وأصبح الناس على مواقعهم، فلما ذرَّ قرنُ الشمسِ، طلعتْ نواصي خيل رجالِ القعقاع، فكبَّر وكبَّر المسلمون، وقالوا: جاءَ المددُ. فلمَّا وصل آخِرُ رجالِ القعقاع، أخذتْ قواتُ هاشمٍ تتوارَد.

---

(١) الطبري (٣/٥٩).

(٢) الطبري (٣/٥٥٦).

- **القعقاعُ.. قَاتِلُ الفيلِ الأبيض بالقادسية:**

لما صنعت الفيلة في يوم «أرمات» ويوم «عماس» بالمسلمين وخيولهم ما فعلت، أرسل سعد بن أبي وقاص إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو: «اكفياني الفيل الأبيض» وقد وضعه رستم في القلب أمام بني تميم، وأوضح سعد لهما مقاتل الأفيال: المشافر والعيون، فأخذ القعقاع وعاصم رُمْحينْ أصمَّينْ ليِّنين، ودبَّا في كتيبة من خيل ومشاة، وقالا لهم: «اكتنفوه لتحيِّروه»، وهما معهم، فأطافوا به، وخالطوا حرَّاسه، والتحموا معهم، وظلَّ الفيل متخبِّطًا ينظر يمنة ويُسرة وهو متحير، فحمل القعقاع وعاصم على الفيل وهو متشاغل بمن حوله، ووضعا رُمْحيهما معًا في وقت واحدٍ في عينيه، وجلس الفيل على يديه ورجليه، ونفض رأسه، فألقى سائسه من فوقه، ودلىَّ خرطومه، فنقل القعقاع رمحه إلى يسراه، واستلَّ سيفه، فنفح الخرطوم فقطعه ورمى به على الأرض، ووقع الفيل على جنبه وقد أُعمي، وسقط من كان في التابوت فوقه، فقتلتهم كتيبة القعقاع وعاصم.

فلله در القعقاع وعاصم من جبلين قتلا الفيل الذي دوَّخ المسلمين وخيولهم، قال القعقاع في ذلك:

حَضَّضَ قومي مَضْرَحِي بن يَعْمَر ... فلله قومي حين هزُّوا العَوَاليَا
ومَا خام عنها يوم سارت جموعنا ... لأهل قُديْسٍ يمنعون المواليا
فإنْ كنتُ قاتلتُ العدوَّ فَلَلْتُه ... فإني لألقى في الحروب الدواهيا
فيولًا أراها كالبُيوت مغيرةً ... أُسمِّلُ أعيانًا لها ومآقيا[1]

قال القعقاع:

لم تَعرفِ الخيلُ العرابُ سواءَنا ... عشيةَ أغواثٍ بجنْبِ القَوَادِسِ
عشيةَ رُحْنَا بالرِّماحِ كأنَّها ... على القومِ ألوانُ الطيورِ الرَّسارِسِ[2]

---

(١) الطبري (٣/٥٥٦).

(٢) الخيل العراب: العربية الأصيلة. الرسارس: النشيطة.

ـ وفي ليلة الهرير، وكان القعقاع يتشوّق للقتال، ولمَّا أصاب سهمُ خالد بن يَعْمُر التميمي، حَمَل القعقاع بغير إذْنٍ على الجهة التي خرج منها السَّهمُ، وهو يقول:

فَأَقْسَمتُ لا ينفكُّ سيفي يَحُسُّهُم فإنْ زَحَلَ الأقوامُ لَمْ أَتَزَحَّلِ (١)

فقال سعد: اللهمَّ اغفرها له وانصرْه، قد أذنتُ له إذْ لم يستأذِنّي، واتميماهُ! سائرَ الليلة. وفعلَ الناسُ ما فعَل القعقاع، فاشتدَّ القتالُ، وَحَمِيَ وَطِيسُهُ كلَّما تقدم الليل، وما كاد الليل ينتصف، إلَّا وَسَمِعَ سعدٌ صوتَ القعقاع يهدرُ مرتجزًا:

نحنُ قتلنا معشرًا وزائِدا أربعةً وخمسةً وواحدا

نُحسَبُ فوقَ اللبدِ الأَساوِدا حتى إذا ماتُوا دعوتُ جاهِدا

اللهَ ربي واحترزتُ عامِدا

وكان صوتُ القعقاع أوَّلَ ما استدلَّ به سعدٌ على الفتح (٢).

وتنفَّس الصبحُ عن هذه الليلةِ الدامية، فسار القعقاعُ في الناس يقول: «إنَّ الدائرةَ بعد ساعةٍ لمن بدأ القومَ، فاصبرُوا ساعةً واحمِلُوا؛ فإنَّ النصر مع الصبر» (٣).

ولما انهزم الفرس، طاردَهم القعقاعُ بأمْرِ سعد وأوقع بهم خسائرَ فادِحَةً، وانتصر المسلمون في القادسية.

كتب عمر بن الخطاب إلى سعدٍ: «أيّ فارسٍ كان أفرسَ في القادسية؟» فكتب إليه سعدٌ: «إني لم أرَ مثلَ القعقاع بن عمرو؛ حمَل في يومٍ ثلاثين حَمْلةً، يقتل في كلِّ حملةٍ بَطَلًا» (٤).

(٢) في المدائن: القعقاعُ قائدُ الكتيبة الخَرْسَاء:

لما قرَّر سعدٌ عبورَ النهر على ظهور الخيل لفتْح المدائن، فكان أول من عبَر النهر

---

(١) يَحُسُّهم: يقتلهم، وزحل: يعني هرب.

(٢) الطبري (٦٧/٣).

(٣) أبن الأثير (١٨٦/٢).

(٤) الإصابة (٢٤٤/٥).

كتيبةُ الأهوالِ، على رأْسِهَا عَاصِمٌ، ثمَّ كتيبةُ القَعْقَاعِ، المسمَّاةُ بالكتيبة الخرساء.

وفي أثناء عبور القعقاع زلَّ رجل عن فرسه فثنى القعقاع عنان فرسه إليه فأخذ بيده فجرَّه حتى عبر، فقال الرجل للقعقاع: «أعجز الأخوات أن يلدن مثل القعقاع»[1].

وبعد انتصار المسلمين كان القعقاع على رأس قوَّاتهم المطارِدَةِ للفُرس، فوجد فارسيًّا يحمي انسحابَ الفرسِ فقتله، فإذا مع المقتول أحدَ عشرَ سيفًا ودروعٌ، بينها سيفُ كِسرى، وهُرْمُز، وَهِرقَل، وخاقَان، والنعمان، وغيرهم من الملوك والأمراء والقادة، فغنِمَهَا القعقاعُ[2].

- **في جَلُولاء: قَعْقَاعية جديدة، وقَتْلُهُ لمهرانَ قائدِ الفرس:**

كان القعقاعُ على مقدِّمةِ قواتِ هاشمٍ التي حاصرت القوات الفارسية، وطال الحصارُ ثمانين يومًا، وَزَحفَ القعقاعُ برجاله، حتى انتهى إلى باب خندق الفُرس، فدخل الخندق واحتلَّ قِسْمًا منه، وأمَرَ مُناديًا ينادي: «يا معاشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق، وأخذ به، فأقبلُوا إليه ولا يمنعنَّكم مَن بيْنكم وبيْنه مِن دخوله»، وقد أمَر القعقاع بذلك ليقوِّيَ معنويات المسلمين، وفعلًا حَمَلَ المسلمون، وهم لا يشكُّون أنَّ هاشمًا في الخندق، فإذا هم بالقعقاع قد احتلَّ قِسْمًا من الخندق، وبذلك انهزمَ الفرسُ[3]، ولكن القعقاعَ طاردهم حتى بلغ «خانقين»، ثم دخل «حُلوان»، وقصر «شيرين»، وأثناء المطاردة لَحِقَ القعقاع بمهرانَ القائد الأكبر في «جلولاء»، وقتله في «خانقين».

- **إلى الشام ثانيةً:**

ولما حشدَ هِرقلُ ملك الروم قواتٍ كبيرةً، وأقبلت قواتُه من الجزيرة ومن بلاده

---

(١) الطبري (٣/١٢٣).

(٢) الطبري (٣/١٢٨)، والإصابة (٥/٢٤٥).

(٣) تاريخ الطبري (٣/١٢٢)، والكامل لابن الأثير (٢/٢٠١).

برًّا، ومِن الإسكندرية بحرًا، تحرَّك القعقاعُ على رأس أربعةِ آلاف مُقاتِل لنجدة أبي عبيدة، وفرَّ الناسُ، وبقي الروم وحْدَهم، فقاتَلهم المسلمون وانتصروا عليهم، قَبْل أنْ يبلغ القعقاعُ «حمصَ» بثلاثة أيام، فكتب عمرُ إلى أبي عبيدةَ كَي يشرك أهلَ الكوفة في العطاء، قائلًا: «جزى اللَّه أهلَ الكوفة خيرًا؛ يَكفون حوزَتَهم، ويَمدُّون أهلَ الأمصار!».

وعاد القعقاعُ بجنوده إلى العراق رافعًا اسمهم عاليًا بين الفاتحين.

- **في بلاد فارس: نَهاوندُ فتْحُ الفتوح، وقتْلُ القعقاعِ للفَيْرُزانَ قائدِ الفُرس:**

- **«إن للهِ جنودًا مِن عَسَلٍ»:**

قاتل القعقاع في معركة «نهاوند» تحت لواء النعمان بن مقرن المُزَني، وكان له في هذه المعركة أثرٌ أي أثرٍ! وكان القعقاعُ على المُجَرَّدة[1]، وقد خشي المسلمون أن يطول حصارُ المدينة دون جَدْوى؛ إذ كان الفرْسُ قد تحصَّنوا داخلها، فلا يخرجون منها إلَّا إذا أرادوا الخروج، واجتمع النعمانُ بقادة جيشهِ ليجدَ حلًّا يُعينه على فتْح المدينة، فاستقرَّ الرأيُ على أن يبعث النعمانُ خيلًا لينشب القتال، ثم تنسحب الخيلُ مُظْهِرَةً الفرارَ، حتى يتعقَّبها الفرس، وعند ذلك يهاجم المسلمون، في معركةٍ تدور رَحَاها خارجَ أسوار المدينة الحصينة.

فمَن يقود الخيلَ لِتنفيذِ هذه الخطة بدقةٍ وإتقانٍ واندفاع؟

أمر النعمانُ القعقاعَ، فقاد الخيل وأنشب القتالَ، فلمَّا خرج الفرس لقتاله، نكص، ثم نكص، ثم نكص، وظنَّ الأعاجمُ أنها هزيمةٌ فاغتنموها، وخرجوا حتى لم يبقَ منهم سِوى مَن يحرسُ الأبواب، وتقهقرَ القعقاعُ بالمسلمين، حتى انقطعَ الفرسُ عن حصونهم، ثم أعاد الكَرَّة عليهم بهجوم مضادٍّ فلما هاجمهم المسلمون في العَراء، استطاعوا التغلُّبَ عليهم، وبذلك انتهتِ المعركة ـ التي أطلق عليها

(١) المجردة: هي القوات المؤلفة من الفرسان التي تتقدم أمام المقدمة لحمايتها، والمجردة: الذين لا يلبسون الدروع الحديدية.

المؤرِّخون: «فتح الفتوح»[١]- بنصر المسلمين، وكان للقعقاع في هذا النصر نصيبٌ مرموقٌ، ولما انتهتِ المعركة، كان القعقاعُ بفرسانه في مقدِّمة من طاردوا الفُلول الهاربة، وانطلق القعقاع في أثَرِ «فيرزانَ» قائِد الفُرس، حتى أدركه في ثنيَّة همذان، وتصادف أنْ كانت الثنيَّةُ مشحونةً بقافلةٍ من البغال والحمير محمَّلةً بحمولة من العَسَلِ، فَحَبَسَتْ «فيرزانَ» عن المرور، فلمَّا رأى القعقاع في أثرِه قد أدْرَكَهُ، نزل عن جَوادِه وجرى في الجبل؛ إذْ لَمْ يجدْ سبيلًا يذهب فيه، ونزل القعقاع عن جَوادِه أيضًا، فتبعَه حتى أدركه وقتله، وفي ذلك قال المسلمون مُتفكِّهين: إنَّ لله جنودًا من عسلٍ!.

ثم دخل القعقاع همذان فاتحًا مع نعيم بن مقرن المزني:

الفارج الكُرَبَ العظامَ بمثلِهَا ... والتارك المَلِكَ العزيزَ ذَليلا

نَطَقتْ بسؤْدُدِكَ الحَمامُ تغنِّيًا ... وبما تجشَّمُهَا الجيادُ صَهِيلا

ما كلُّ مَن طلَبَ المعالِيَ نافِذًا ... فيها ولا كلُّ الرجالِ فُحُولا[٢]

رحمك اللهُ يا قعقاع ... ألم تقلْ يا سيدي

بعد الفتح:

سكن القعقاع الكوفة واستقر فيها[٣]، وتولى شئون الحرب في الكوفة على عهد سعيد بن العاص، وهو منصب القيادة العامة كما نَسميّه هذه الأيام ولما كتب عثمان بن عفان إلى الأمصار يستمدهم لإنقاذه من الثائرين به، سارع القعقاع على رأس جيش من أهل الكوفة متوجهًا إلى المدينة لإنقاذ الخليفة مما أحاق به من خطر داهم، ولكن عثمان قُتل قبل أن يدركه جيش القعقاع أو تدركه جيوش الأمصار الأخرى[٤]، فعاد القعقاع أدراجه إلى الكوفة[٥].

---

(١) البلاذري ص (٣٠٢).

(٢) من ديوان المتنبي ص (١٤٥- ١٤٨) طبع دار صادر.

(٣) أسد الغابة (٤/٢٠٧).

(٤) الطبري (٣/٤٠٢).

(٥) الطبري (٣/٤٦٢).

ولقد فتحت جيوش الكوفة فتوحات كثيرة في مناطق مختلفة على عهد عثمان، وكان القعقاع على حرب الكوفة حتى قتل عثمان[1] فكان هو المسؤول الأول عن إعداد الجيش وتسييرها إلى أهدافها وإمدادها بالرجال والسلاح..

وتولى علي بن أبي طالب الخلافة، وسار إلى البصرة بعد علمه بذهاب طلحة والزبير وعائشة إليها، وكان أبو موسى الأشعري حينذاك أميرًا على الكوفة، وكان من رأيه القعود عن القتال حتى تنجلي الفتنة[2]، ولكن القعقاع قام خطيبًا فقال مخاطبًا أهل الكوفة: «إني لكم ناصح.. إنه لا بدّ من إمارة تنظّم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم، وهنا أمير المؤمنين وليّ بما ولى، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح. فانفروا وكونوا من هذا الأسر بمرأى ومسمع[3]».

وكان القعقاع أحد رجالات الكوفة الذين نفروا لنصرة علي بن أبي طالبٍ، فلما نزلوا موقع (ذي قار) حيث يعسكر علي بجيشه، دعا أمير المؤمنين إليه القعقاع وأرسله إلى أهل البصرة قائلا له: إلق هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظّم عليهما الفرقة» وقال له: «كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني؟» فقال القعقاع: «نلقاهم بالذي أمرت به فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي، اجتهدنا الرأي وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي» قال علي: «أنت لها[4]».. فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، ثم كلم طلحة والزبير كلامًا منطقيًا متزنًا اقتنعوا به جميعًا حتى أشرف الناس على الصلح[5].

وكان القعقاع مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم (الجمل)، ولكنه لم يظهر

---

(١) الطبري (٣/٤٩٩).

(٢) الطبري (٣/٤٩٩).

(٣) الطبري (٣/٤٩٩).

(٤) الطبري (٣/٥٠٢)، وابن الأثير (٣- ٩١).

(٥) تفاصيل كلام القعقاع في الطبري (٣- ٥٠٣).

فعالية تذكر في القتال. لقد كان هواه مع جميع المسلمين لا مع فريق منهم فلا يريد أن يلطخ يده بدمائهم. وقد مر في المعركة بطلحة وهو يقول: «إليّ عباد الله! البصر» فقال له: «يا أبا محمد! إنك لجريح وإنك عما تريد لعليل، فادخل الأبيات[1]».

وهذا يدل على عطفه الشديد حتى على الذين يختلفون معه في الرأي من المسلمين.

ولما قتل (الجمل) تقدم القعقاع وزفر بن الحارث وأنزلا (الهودج) عن ظهر البعير[2]، ثم كان أول من دخل على عائشة أم المؤمنين، فسلم عليها فقالت له: «إني رأيت رجلين بالأمس اجتلدا بين يَدي وارتجزا بكذا.. فهل تعرف كوفيك منهما؟» قال: ذاك الذي قال:

أعقٍّ أم نعلم!! كذب والله! إنك لأبر أم نعلم[3].

وعندما علم الامام علي بعد زيارته لعائشة، بأن رجلين أسمعاها كلامًا نابيًا، بعث القعقاع إلى باب عائشة، فأقبل بمن كان عليه من الرجال، فلما عرف الرجلين اللذين قالا ما قالا أخبر عليًا بهما، فقال: «لأنهكنهما عقوبة[4]».

شهد القعقاع مع علي بن أبي طالب معركة الجمل كما شهد معه معركة صفين.. وتوفى سنة أربعين للهجرة.

- **فارس الشعراء وشاعر الفرسان:**

شعر القعقاع الذي بين أيدينا شعر حربي يمجد البطولة والشجاعة.. يقول رحمه الله:

---

(١) الطبري (٣- ٥٢٣).

(٢) الطبري (٣- ٥٣٨).

(٣) الطبري (٣- ٥٤١).

(٤) الطبري (٣- ٥٤٤).

ولقد شهدتُ البرقَ برقَ تِهَامةَ   يـهـدي المناقِبَ راكـبًـا لـعـيـارِ
في جُنْدِ سيفِ اللهِ سيفِ محمَّدٍ   والـسـابـقـيـنَ لـسُـنَّـةِ الأحـرارِ

رحمكَ اللَّه ورضي عنك .. نجدةَ الفوارس وليثَهَا.

يدعونَ قعقاعًا لكلِّ كَريهةٍ   فيجيبُ قعقاعٌ دُعَاءَ الهاتِفِ

وكان يرتجز في القادسية[١]:

أزعجهم عمدًا بها ازعاجًا   أطعن طعنًا صائبًا تجاجًا[٢]
أرجو به من جنة أفواجًا[٣]

وقد حمل في يوم (أغواث) ثلاثين حملة، كلما حمل حملة قتل فيها رجلا من الفرس، وكان آخر من قتل (بزر جمهر الهمذاني) وفي ذلك يقول:

حبوته جياشة بالنفس   هدارة مثل شعاع الشمس
في يوم أغواث، فَلِيل الفرس   أنخس بالقوم أشد النخس
حتى تفيض معشري ونفسي[٤]

وقال في يوم دمشق[٥]:

أقمنا على دار سليمان أشهرًا   نجالد رومًا قد حملنا بصارم[٦]
قصصنا إلى الباب العراقي أشهرًا   فدان لنا مستسلمًا كل قائم[٧]
أقول وقد دارت رحانا بدارهم   أقيموا لهم حرّ الدرى بالغلاصم[٨]

(١) الإصابة (٣/٢٤٥)، والطبري (٣- ٥٥).
(٢) التجاج: منصب جدا، وثج الماء أو الدم سيله، أي أطعن طعنا يجعل الدم يسيل بغزارة.
(٣) الطبري (٣- ٥٥).
(٤) الطبري (٣- ٥٥).
(٥) انظر تهذيب ابن عساكر (١/١٥٦).
(٦) داري سليمان: اسم مكان، والمراد هنا: تدمر ودمشق لأنهما كانا دارين لسليمان عليه السلام. الجلاد: الضرب بالسيف. الصارم: السيف.
(٧) المعنى: توجهنا إلى الباب الذي يسار منه إلى العراق وهو الباب الشرقي.
(٨) دوران الرحي: كناية عن نشوب الحرب. الدرى: شيء يكون مع المرأة تصلح به شعرها. الغلاصم: رأس الحلقوم.

فلما زأدنا في دمشق نحورهم	وتدمر عضوًا منهما بالأباهم[١]

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يوم «فحل»[٢]:

كم من أبٍ لي قد ورثت فعاله	جمّ المكارم بحره تيّارُ[٣]
ورث المكارم عن أبيه وجدّه	فبنى بنائهم له استنصار
فبنيت مجدهمُ وما هدّمنه	وبنيّ بعدي إن بقوا عمّار
ما زال منا في الحروب مروّس	ملك يغير وخلفه جرّار[٤]
بطل اللقاء إذا الثغور توكلت	عند الثغور مجرّب مظفار

وقال أيضًا:

وغداة (فحل) قد شهدنا مأقطًا	ينسى الكمي سلاحه في الدار[٥]
ما زلت أرميهم بقرحة كامل	كرّ المبيح رتابة الأبسار[٦]
حتى فضضنا جمعهم بتردس	بنفي العدو إذا سما جرار[٧]
نحن الأولى جسوا العراق بخيلهم	والشام حبسًا في ذرى الأسفار[٨]

وقال في القادسية لما أصيب خالد بن يعمر التميمي:

سقى اللَّه يا خوصاء قبر ابن يعمر	إذا ارتحل السفار لم يترحّلِ
سقى اللَّه أرضًا حلها قبر خالد	ذهاب غواد مدجنات تُجلجل

---

(١) أي لما انتسبونا عليهم ولوا الادبار وهم يعضون ابهامهم.

(٢) تهذيب ابن عساكر (١/١٤٤ـ ١٤٥).

(٣) جم: كثير. والتيار: موج البحر ولبّه.

(٤) المروس: الرئيس. والجرّار صفة لمحذوف، أي جيش جرّار.

(٥) المأقط: أضيق المواضع في الحروب. والكميّ: البطل.

(٦) القرحة: بالضم الغرة في وسط الجبهة، وفي وجه الفرس ما دون الغرة. كامل: صفة لمحذوف. تقديره فرس كامل. والمعنى: ما زال يرميهم بغرة فرسه، أي أنه لم يزل مقابلا لهم. المبيح: الاسد. الرباثة: البطؤ والتأخر والابسار: كلح وجهه. والمعنى: أني ألقاهم بوجه غير كالح لأني لا أهابهم.

(٧) فضضنا: أي فرقنا جمعهم فتفرق. تردس: كناية عن الجيش. وجرار: صفته. ينفي العدو: يبدده. إذا سما: أي اعتلى ميدان الحرب.

(٨) ذرى الأسفار: أعاليها. والحبس: المس.

فأقسمت لا ينفك سيفي يحسّهم فإن زَحَلَ الأقوام لم أتزحّلِ[1]

وكان أول صوت سمعه سعد بن أبي وقاص ليلة الهرير في النصف الأخير من الليل مما يستدل به على الفتح صوت القعقاع يهدر:

نحن قتلنا معشرًا وزائدًا أربعةً وخمسةً وواحدًا

نحسَبُ فوق اللبد الأساودا حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا

اللَّه ربي واحترزت عامدًا[2]

● **الإنسان:**

كان القعقاع صادق الإيمان متين العقيدة: تمسّك بالإسلام بعد وفاة النبي ﷺ غير مكترث بردة قومه تميم، ولا بردة القبائل العربية الأخرى. وكان إيمانه العظيم من العوامل التي جعلت أبا بكر الصديق يوليه قيادة جيش من جيوش المسلمين ويرسله لقتال بعض المرتدين في أحرج الظروف.

ولا ينكر أبدًا ما كان يتحلى به القعقاع من شجاعة فائقة، ولكن الخوارق التي حققها في معارك الفتح لا تعزى إلى شجاعته فحسب بل إلى عقيدته الراسخة أولًا وإلى شجاعته الشخصية ثانيًا وإلى ما كان يتمتع به من عقلية راجحة أخيرًا.

لقد كان بإمكانه أن يبرز في معارك الفتنة الكبرى كما برز في معارك الفتح، ولكن عقيدته كانت دائمًا له بالمرصاد، فهي التي جعلته يقدم إقدامًا مدهشًا في قتال غير المسلمين، وهي التي جعلته لا يقدم نفس إقدامه الأول في قتال المسلمين.

لقد كان إداريًا أثبت كفاءة ممتازة حين كان واليًا على حلوان[3]، وكان راجح العقل بعيد النظر، كريمًا مضيافًا شهمًا غيورًا صادقًا وهب نفسه لعقيدته فعاش عيش الكفاف ولم يترك بعد موته عقارًا ولا أموالًا مما يدل على أنه لم يثر على

---

(١) الطبري (٣/٦٥).

(٢) الطبري (٣/٦٧).

(٣) الكامل لابن الأثير (٢/٢٠٤).

حساب الفتح والغنائم.

- **القائد**

كان القعقاع جنديًا من أخمص قدمه إلى قمة رأسه، كرّس حياته للجندية ولمتطلباتها، فكانت أعماله في الجهاد مشرفة لكل جندي يفهم الجندية على أنها شرف ما بعده من شرف.

ولعل من الحديث المعاد أن نذكر أنه شجاع مقدام، فقد كان مثالًا رفيعًا للشجاعة الأصيلة، ولكن لا بد لنا أن نشير إلى أنه كان يؤمن بالضبط والنظام كأساسين للجندية الحقة ولا جندية بدون ضبط ونظام.

ولقد كان يتلقى الأوامر من رؤسائه ويحرص على تنفيذها برحابة صدر، وكان يخلص إخلاصًا كاملًا لذوي الأمر من الخلفاء والأمراء ما داموا على الحق، وكان يعتقد بأن أمرالناس بدون خليفة هو الفوضى، وأنه لا بد من النظام ليشيع الأمن والاطمئنان بين الناس.

وكان في جهاده جنديًا وقائدًا يؤمن بأن سرعة الحركة والاندفاع بإقدام بعد إعداد العدّة عاملان من عوامل الظفر في الحرب.

لقد كان لا يعرف للتردد والخور معنى، لذلك كان أبو بكر والمسلمون يجزمون أن الجيش الذي يقاتل معه القعقاع لا يقهر أبدًا..

وما أبلغ وصف أبي بكر للقعقاع: «لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل».

كان سريع القرار صائبه، يثق بنفسه ورجاله ثقة لا حدود لها، ويثق به المسلمون ثقة لا حدود لها أيضًا، كما كان محبوبًا ذا شخصية جبارة ونفسية عالية لا تتبدل، وماضٍ ناصع مجيد، وكان في قتاله يعتمد اعتمادًا كبيرًا على تطبيق مبدأ (المباغتة)، ومبدأ (التعرض)، فكانت معاركه كلها معارك تعرضية، كان لعنصر

المباغتة فيها نصيب كبير.

- **القعقاع في التاريخ**

هناك قادة صمدوا للمرتدين كما صمد القعقاع، وهناك قادة لم يخسروا معركة في حياتهم كلها كما لم يخسر القعقاع معركة واحدة في حياته، وهناك أبطال يذكرون حين يذكر القعقاع، ولكنني لا أعرف قائدًا غير القعقاع قاتل في كل معارك الفتح الإسلامي الثلاثة الحاسمة: القادسية واليرموك، ونهاوند، وأبلى فيها كلها بلاءه!

لقد فتحت معركة القادسية أبواب العراق للمسلمين، وفتحت معركة اليرموك أبواب أرض الشام، وفتحت معركة نهاوند أبواب بلاد فارس للإسلام، وكان للقعقاع في هذه المعارك كلها أثر شخصي بارز يذكره له التاريخ بالفخر والإعجاب.

لقد ضرب القعقاع رقمًا قياسيًا في عدد المعارك التي خاضها في العراق وبلاد الشام وفارس، وكانت له في كل معركة خاضها قصة مشرفة خالدة، وقد حاولت أن أحصي عددها فوجدتها إحدى عشرة معركة كبيرة: سبع منها في العراق وثلاث في سورية وواحدة في إيران، فإذا أحصى له التاريخ هذا العدد الكبير من المعارك الكبيرة، فكم هي المعارك الثانوية التي لم يذكرها له التاريخ.

رضِي اللَّه عن القعقاع بن عمرو التميمي القائد الفاتح، المؤمن، الحق، بطل الإسلام وفارس العرب.



(٣٤٤) الصحابي البطل فاتح ما بين القادسية والمدائن، الشهيد قتيل الخوارج زهرة بن حَوِيّة التميمي رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل زهرة بن حوية بن عبدالله بن قتادة التميمي السعدي رضي الله عنه:

● إسلامه:

أرسل رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك هجر[١] بعد انصرافه من الحديبية سنة ست هجرية وكتب إليه رسول الله ﷺ كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام[٢] فاسلم المنذر، وأوفد المنذر بعد إسلامه زهرة بن حوية على النبي ﷺ فأسلم زهرة[٣]، وكان من وجوه البحرين، وموضع ثقة ملكها. قال الطبري «كان ملك هجر قد سوّده في الجاهلية، وأوفده على النبي ﷺ»[٤].

نال زهرة شرف الصحبة[٥]، ولم ينل شرف الجهاد مع رسول الله ﷺ.

جهاده

● (أ) قبل القادسية:

ثبت زهرة على دينه مع من ثبت من أهل (البحرين) عند ارتداد أهل (البحرين) عن الإسلام وبذل جهده في محاربة المرتدين حتى عادوا إلى الإسلام. والدليل على ثباته على الإسلام، أنه قد تولى قيادة الجيوش في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) قادة فتح العراق ص (٣٥١- ٣٥٥).

(٢) هجر هي قصبة البحري والجزيرة. وانظر ترجمة المنذر في الإصابة (١٣٩/٦)، وأسد الغابة (٤١٧/٤) والاستيعاب (١٤٤٨/٤).

(٣) الطبري (٥٨٩/٢)، وطبقات ابن سعد (٣٦٣/١).

(٤) الإصابة (٥٣٤/١)، وأسد الغابة (٢٠٦/٢).

(٥) الطبري (٨/٣)، الكامل (١٧٤/٢).

ولم يتولى قيادة الجيوش غير الصحابة[1]، كما لم يتولاها المرتدون على الرغم من توبتهم واشتراكهم في الجهاد أيام عمر بن الخطاب[2].

برز زهرة لأول مرة قائدًا للمقدمة[3] في مسير الاقتراب من (شَرَاف)[4] إلى (القادسية)، فتحرك بالمقدمة بعد الإذن من (شَرَاف) إلى (العُذَيْب)[5]، فوصلها وعسكرت قواته هناك حتى وصلت قوات سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فتقدم زهرة على رأس المقدمة حتى نزل (القادسية)[6].

وكان في (العُذَيْب) جندي فارسي يستطلع حركات أرتال المسلمين، فخرج راكضًا نحو (القادسية) ليخبر الفرس عن قوة المسلمين واتجاه تقدمهم، فلما علم زهرة بأمره اتبعه وقتله بعد أن عجز أصحاب زهرة عن إلقاء القبض عليه[7]، وكان زهرة قد وجد في (العذيب) رماحًا ونشّابًا وأسفاطًا من جلود وغيرها، فانتفع بها المسلمون، كما انتفعوا من الأموال الكثيرة التي حصلت عليها سرية بعثها زهرة للغارة على (الحيرة)[8]، وبذلك انتعش المسلمون من الناحية الإدارية بهذه الغنائم.

وأكمل سعد بن أبي وقاص حشد قوات المسلمين في القادسية، وكان زهرة يقوم بواجب حماية تحشد المسلمين خوفًا من مباغتة الفرس لهم، فكانت طلائع

---

(١) الإصابة (٣٠٩/١) و(١٩٤/٢)، و(٢٣٥/٤).

(٢) الطبري (٦٣٤/٣) وأول من ندب أهل الردة هو عمر، وكانوا في أيام أبي بكر الصديق محرومين من الجهاد، وقد استخدمهم عمر جنودًا فقط، ولم يتول أي مرتد أية قيادة أبدًا.

(٣) الطبري (٨/٣) وابن الأثير (١٧٤/٢) وهذا يدل على أنه بذل جهودا مشرفة في الجهاد قبل ذلك حتى أصبح موضع ثقة عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص لتولي قيادة الرجال.

(٤) شراف: ماء بنجد... انظر «معجم البلدان» (٢٤٦/٥).

(٥) العذيب: ماء على بعد أربعة أميال من القادسية يمر بها القادم من نجد قبل وصوله القادسية.

(٦) الطبري: (١٢/٣) والقادسية موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخًا، وبينه وبين العذيب أربعة أميال.

(٧) الطبري (١٢/٣).

(٨) الطبري (١٣/٣)، وابن الاثير (١٧٥/٢)، والحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة في موضع يقال له النجف.

الفرس تصطدم أول ما تصطدم بقوات زهرة[١]، وعندما أراد (رستم) قائد الفرس في القادسية أن يبعث له المسلمون برجل منهم يفاوضه، أخبر زهرة سعدًا بهذا الطلب، فأرسل سعد إلى (رستم) المغيرة بن شعبة[٢].

● **زهرة قائد الميسرة يوم القادسية بطل عظيم من أبطالها:**

لما نشب القتال بين الفرس والمسلمين، اندمجت قوات المقدمة التي كان يقودها زهرة بالقطعات المقاتلة الأخرى، لذلك سلّم سعد قيادة الميسرة لزهرة مكان شرحبيل بن السمط الكندي[٣]، فكان زهرة قائدًا للميسرة في معركة القادسية الحاسمة[٤]، وكان لبلاء زهرة وثباته أثر كبير في انتصار المسلمين على الفرس في تلك المعركة، لذلك كان من بين خمسة وعشرين بطلا فضّلهم سعد في العطاء لبلائهم في القادسية[٥] بلاءً مشرفًا!

● **زهرة يطارد الفرس ويقتل الجالينوس:**

ولما انكشف أهل فارس، أمر سعد زهرة بمطاردتهم، فخرج على رأس المقدمة في ثلاث مئة فارس، ثم أدركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف، وعادوا ومعهم الأسرى فرؤي شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلًا أسرى من الفرس،

---

(١) البلاذري ص (٢٥٨).

(٢) الطبري (٣٢/٣).

(٣) شرحبيل بن السمط الكندي: أدرك النبي ﷺ وروى عنه حديثًا واحدا هو: «لا تزال أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها» وقد شهد القادسية وكان أميرا على حمص لمعاوية ثم مات سنة أربعين للهجرة، راجع طبقات ابن سعد (٤٤٥/٧)، والإصابة (١٩٩/٣)، وأسد الغابة (٣٩١/٢)، والاستيعاب (٦٩٩/٢)، وجاء في الطبري (٩/٣) في وصفه عند الحديث عن معركة القادسية ما يلي: «وكان غلامًا شابًا، وكان قد قاتل أهل الردة ووفى الله، فعرف ذلك له، وقد غلب الأشعث بن قيس الكندي على الشرف».

(٤) الطبري (٤٣/٣).

(٥) ابن الأثير (١٨٧/٢).

واستكثر سعد سلب الجالينوس، فكتب فيه إلى عمر، فكتب عمر إلى سعد: «تعمد إلى مثل زهرة، وقد صَلى بمثل ما صَلى به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي، تكسر قرنه وتفسد قلبه! امض له سلبه، وفضَّله على أصحابه عند عطائه بخمس مئة»[(١)] فدفعه سعد إلى زهرة، فباعه زهرة بسبعين ألف درهم[(٢)].

لله در زهرة قاتل الجالينوس وهو ملك من ملوك الفرس وأحد قادتهم الكبار.

- **زهرة الفاتح مبيد كتيبة الفرس وقاتل بصهبرا قائد الفرس:**

يوم بُرس وبابل وكوثى وبهرسير:

لما فرغ سعد من أمر القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين، وكاتب عمر فيما يفعل، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى «المدائن» وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق، وأن يجعل معهم جندًا كثيفًا، وعهد إليه أن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم، ففعل ذلك، وسار من القادسية، سيّر مقدمة جعل عليها زهرة بن حوية، وعبدالله بن المعتم، وشرحبيل بن الصمت، ولما وصلت مقدمة المسلمين «بُرس»[(٣)] لقيهم بها بصهبرا في جمع من الفرس فهزمه زهرة والمسلمون ومن معه إلى بابل، وبها فالة القادسية وبقايا رؤسائهم النخيرخان ومهران الرازي، والهرمزان وأشباههم، وقد استعملوا عليهم الفيرزان وقدم بصهبرا منهزمًا من بُرس فوقع في النهرومات من طعنة كان طعنه زهرة.

ولما هزم بصهبرا أقبل بسطام دهقان برس فصالح زهرة وعقد له الجسور وأخبره بمن اجتمع ببابل فأرسل زهرة إلى سعد يُعرِّفه ذلك، فقدم عليه سعد ببرس، وسيّره في المقدمة واتبعه عبدالله، وشرحبيل، وهاشما المر قال واتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل، وقد قالوا: نقاتلهم قبل أن نفترق فافتتلوا فهزمهم المسلمون في أسرع من

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢٣١/٢).

(٢) الطبري (٧١/٣)، وفتوح الشام للواقدي (١٢٥/٢).

(٣) موضع بأرض بابل.

لفت الرداء (١).

انطلق الفرس على وجهينْ: فسار الهرمزان نحو الأهواز فأخذها فأكلها، وخرج الفيرزان نحو نهاوند فأكلها وبها كنوز كسرى، وأكل الماهين، وسار النخيرخان، ومهران إلى المدائن وقطعا الجسر وأقام سعد ببابل أيامًا وبلغه أنّ النخيرخان قد خلف شهريار دهقانا من دهاقين الباب بكوثى في جمع، فقدّم زهرة بين يديه بكير ابن عبدالله الليثي، وكثير بن شهاب السعدي حتى عبرا الصَّراة (٢) فلحقا بأخريات القوم، وفيهم فيومان، والفرّخان هذا بيساني وهذا أهوازي، فقتل بكير الفيرخان، وقتل كثير فيومان بسورا، وجاء زهرة فجاز سورا ونزل، وجاء سعد وهاشم والناس ونزلوا عليه، وتقدّم زهرة نحو الفرس ـ وكانوا قد نزلوا بين الدير وكوثى، وقد استخلف النخيرخان ومهران على جنودهما شهريار دهقان الباب، فنازلهم زهرة فبرزوا إلى مثاله، وخرج شهريار يطلب المبارزة، فأخرج زهرة إليه أبانباته نايل بن جعشم الأعرجي فقتله، وأخذ فرسه وسواريه وسلبه.

وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فقدم إليه نايلا وألبسه سلاح شهريار وسواريه وأركبه برذونه، فكان أول أعرجي سور بالعراق (٣).

● **فتح زهرة لبَهرَسير(٤) وهي المدينة العتيقة، وهي المدائن الدنيا من الغرب:**

قدّم سعد زهرة إلى بَهرسيْر، فتلقاه شيرزاد دهقان «ساباط» بالصلح فأرسله إلى سعد فصالحه على تأدية الجزية. ولقى زهرة كتيبة بنت كسرى التي تُدعى بوران، وكانوا يحلفون كل يوم أن لا يزول ملك فارس ما عشنا فهزمهم، وقتل هاشم بن عتبة المقرط وهو أسد كان لكسرى قد ألفه فقبّل سعد رأس هاشم، وقبّل هاشم قدم

---

(١) الطبري (١١٤/٣)، والكامل لابن الأثير (٣٥٣/٢).

(٢) الصراة: نهران ببغداد الصراة الكبرى والصراة الصغرى.

(٣) الكامل (٣٥٣/٢ـ ٣٥٤).

(٤) بهرسير: مدينة من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، بل هي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن.

سعد، وأرسله سعد في المقدمة إلى بهرسير فنزل إلى المظلم وقرأ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾.

● **زهرة بن حوّية كريمٌ على الله... وآية ذلك في بهرسير:**

انتظر زهرة تجمّع قوات المسلمين حول «بهرسير» الواقعة على ضفة دجلة اليمنى مقابل «المدائن» التي تقع على ضفة النهر اليسرى، فحاصرها سعد وضربها بالمنجنيقات ودبّ إليها جنوده بالدبابات، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا.

وكان آخر ما خرجوا ـ أي الفرس ـ متجردين للحرب وتبالغوا على الصبر، فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم.

وكان على زهرة بن الحويّة درع مفصوم، فقيل له: لو أمرتَ بهذا الفصم فسرد، فقال لهم: ولم؟ قالوا: نخاف عليك منه. قال: إني على اللَّه لكريم إن ترك سهم فارس الجند كله ثم أتاني من هذا الفصم حتى يثبت فيّ! ولكنه أصيب بسهم، فكان أول رجل من المسلمين يومئذ هو بنشابة من ذلك المفصم، فقال بعضهم: انزعوها عنه، فقال دعوني، فإن نفسي معي ما دامتْ فيّ لعلي أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة، فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهريار من أهل إصطخر فقتله وأحيط به فقُتِل وما انكشفوا[(١)].

واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية (بهرسير) حتى أكلوا السنانير والكلاب، مما اضطرهم على الانسحاب إلى المدائن عبر النهر، فدخل المسلمون (بهرسير) فاتحين[(٢)].

وشهد زهرة فتح المدائن، وكان على رأس قوة لمطاردة الفرس بعد فتح المدائن، فأدرك جماعة من الفرس على جسر (النهروان) فازدحموا عليه، فوقع منهم بغل في الماء، فعجلوا وكبوا عليه، فقال بعض المسلمين: «إن لهذا البغل لشانًا» فجالدهم

---

(١) الطبري (٣/١١٧ـ ١١٨)، وابن الأثير (٢/٣٥٦ـ ٣٥٧).

(٢) الطبري (٣/٧١).

المسلمون عليه حتى أخذوه وفيه حلية كسرى وثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر».

● **الاختلاف حول مقتله:**

ذهب الطبري (٣/١١٧- ١١٨) وابن الأثير (٢/٣٥٧) والواقدي في «فتوح الشام» (٢/١٢٧) أن زهرة قتل في معركة «بهرسير» والصحيح أنه عاش إلى عهد الحجاج بن يوسف الثقفي وقُتل على يد الخوارج كما سنُبيِّن، وقد استدرك ذلك الطبري وابن الأثير.

● **زهرة الإنسان:**

لقد كان زهرة سيدًا في الجاهلية سيدًا في الإسلام، لرجاحة عقله ومتانة أخلاقه وحسن تصرفه في الأمور.

وكان تقيًا ورعًا، قال عنه عمر بن الخطاب في رسالة بعث بها إلى سعد: «أنا أعلم بزهرة منك، وإن زهرة لم يكن ليغيّب من سلب سلبه شيئًا![1]».

وكان وفيًا صادقًا شهمًا غيورًا محبًا للخير، وكان لا يدخر وسعًا للعمل في سبيل جمع شتات المسلمين وفي سبيل القضاء على عوامل التفرقة والفتن بينهم، ومن أجل ذلك ضحى بحياته وهو شيخ كبير.. فقد عاش شبيب الخارجي[2] في

---

(١) الطبري (٣/٧١).

(٢) شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي: كان خروجه في خلافة عبدالملك بن مروان، والحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق يومئذ، فبعث إليه الحجاج خمسة قواد، فقتلهم واحدا بعد واحد. دخل شبيب الكوفة فتحصن الحجاج في قصر الإمارة، ودخلها معه أمه جهيزة وزوجته غزالة عند الصباح، وكانت غزالة قد نزرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران، فأتوا الجامع في سبعين رجلا، فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرها، فعير الحجاج بعض الشعراء بقوله:

أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم مات شبيب غرقًا بعد هزيمته سنة ٧٧هـ «وفيات الأعيان» (٢/١٦٤).

الأرض فسادًا وزاد خطره في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي وقضى على كثير من قواته، فأظهر الحجاج تذمره من إخفاق أهل الكوفة في القضاء على شبيب، ولكن زهرة قال للحجاج: «إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطعين، فاستنفر الناس إليهم كافة، فلينفر إليهم الناس كافة، وابعث عليهم رجلًا ثبتًا شجاعًا مجرِّبًا للحرب، ممن يرى الفرار هضمًا وعارًا والصبر مجدًا وكرمًا، فقال الحجاج: «فأنت ذاك، فاخرج!»، فقال زهرة: «إنما يصلح للناس في هذا رجل يحمل الرمح والدرع ويهزّ السيف ويثبت على متن الفرس، وأنا لا أطيق من هذا شيئًا، وقد ضعف بصري وضعفت، ولكن أخرجني في الناس مع الأمير، فإني إنما أثبت على الراحلة، فأكون مع الأمير في عسكره، وأشير عليه برأيي». فقال الحجاج: «جزاك اللَّه عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيرًا، وجزاك اللَّه عن الإسلام في آخر الإسلام خيرًا، فقد نصحت وصدقت، وأنا مخرج الناس كافة، ألا فسيروا أيها الناس».

وسار الناس حتى وصلوا منطقة (ساباط) حيث دارت رحى معركة طاحنة بينهم وبين الخوارج بقيادة شبيب الخارجي، وكان زهرة يجلس مع قائد أهل الكوفة في القلب، فاستطاع الخوارج دحر أهل الكوفة، فتجلّد قائدهم، فقال له زهرة يشجّعه: «أحسنت! فعلت فعل مثلك!! واللَّه لو منحتهم كتفك ما كان بقاؤك إلا قليلًا! أبشر، فإني أرجو أن يكون اللَّه قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا». وثبت قائد أهل الكوفة بعد أن انفض عنه رجاله، فمات بطلا، وكان اسمه عتاب بن ورقاء الرياحي[1]. أما زهرة فقد وطئته الخيل، فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم، وهكذا قتل هذا الشيخ وهو ثابت الجنان صامدًا لا يخاف الموت وذلك في سنة سبع وسبعين الهجرية (٦٩٦م).

ولما رأى شبيب قائد الخوارج زهرة صريعًا، أبنه بقوله: «لرب يوم من أيام

---

(١) عتاب بن ورقاء الرياحي التميمي ولاه مصعب بن الزبير إمارة أصبهان ثم انتدبه الحجاج لقتال شبيب الخارجي فقتل سنة سبع وسبعين للهجرة.

المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك، ولرب خيل للمشركين قد هزمتها وسرية لهم قد أغرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها.. إلخ[1] » وهذا أبلغ وأروع ما يمكن أن يرثي به عدو عدوه، وقديمًا قالوا: والفضل ما شهدت به الأعداء..

- **الشهيد:**

صدق زهرة اللَّه فصدقه، وأهدى إليه الشهادة كما قال عند فناء عمره قتله رجل من الخوارج يُقال له الفضل بن عامر الشيباني[2].

ومَن قتله الخوارج فهو شهيد

فعن الفرزدق الشاعر، أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد، وسألهما فقال: إني رجل من أهل المشرق، وإن قومًا يخرجون علينا يقتلون من قال: لا إله إلا الله، ويؤمِّنون من سواهم، فقالا لي: سمعنا النبي ﷺ يقول: «مَن قتلهم فله أجر شهيد، ومَن قتلوه فله أجر شهيد»[3].

كان زهرة شاعرًا ارتجز عند استيلائه على حلية كسرى وثيابه وخرزاته ووشاحه ودروعه التي كان فيها الجوهر قائلا:

فدى لقومي اليوم أخوالي وأعمامي ... هم كرهوا بالنهر خذلاني وإسلامي
هم فلجوا في البغل من الحضام ... لكل قطّاع شؤون الهام
وضرّعوا الفرس على الآكام ... كأنهم نعمٌ من الانعام[4]

- **القائد**

يمكن اعتبار زهرة من ألمع قادة الفتح الإسلامي عندما يتولى قيادة المقدمات وقوات

---

(١) الإصابة (١/٥٣٤).
(٢) الكامل (٤/١٧٢).
(٣) سنده جيد: رواه الطبراني في الأوسط، وقال الحافظ في الفتح «١٢/٣١٦» بسند جيد.
(٤) الطبري (٣/١٢٦).

المطاردة، فقد نجح في قيادته هذين الواجبين نجاحًا باهرًا يدعو إلى الاعجاب الشديد.

إن هذين الواجبين يحتاجان إلى قائد شجاع، وكان زهرة يتحلى بشجاعة بطولية نادرة تجعله في مصاف أبطال الحروب في التاريخ.

ولم تكن شجاعته الشخصية الفذة تجعله يزج بقطعاته في المخاطر والمهالك، بل كان يحرص كل الحرص على أن تبقى قطعاته في أمان، بينما يعرِّض نفسه هو للمخاطر من أجل سلامتها..

لقد كان شجاعًا من غير تهور، يؤمن بفائدة الاستطلاع ولا يدخر وسعًا في سبيل إنجازه، ويحرص على حماية قطعاته من مباغتة العدو لها، ولا يتقدم إلا على هدى وبصيرة: يحصل على المعلومات عن العدو وحركاته، ويؤمّن القوات الكافية للتقدم.

كما كان مندفعًا يتحمَّل المشاق ولا يكل من التعب، وأعانه على ذلك شبابه وحيويته وصبره.

كل تلك المزايا جعلت زهرة قائدًا ألمعيًا في معارك المقدمات والمطاردة وجعلت سعدًا يحرص على تكليفه بإنجاز هذين الواجبين!.

لقد وصف زهرة مزايا في القيادة بصورة غير مباشرة في حديثه مع الحجاج عن حرب شبيب الخارجي، فنصحه أن يحشد قواته كلها لضرب عدوه، ولا يرسلها متفرقة، وأن يؤمّر عليها قائدًا ثبتًا شجاعًا مجرِّبًا للحرب يرى الفرار هضمًا وعارًا والصبر مجدًا وكرمًا، يحمل الرمح والدرع ويهز السيف ويثبت على صهوة الفرس..

ذلك موجز ما قاله زهرة للحجاج وهو ينصحه، ولست أجد وصفًا ينطبق تمام الانطباق على مزايا قيادة زهرة مثل هذا الوصف الموجز البليغ.

لقد كانت لزهرة قابلية متميزة لإعطاء القرار السريع الصحيح، وكان شجاعًا ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمل المسؤولية بلا تردد، يعرف مبادئ الحرب عن تجربة وممارسة، له نفسية لا تتبدل في حالتي النصر

والاندحار.

يتمتع بمزية سبق النظر، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم، ويثق بقطعاته ويحبها وتثق به وتحبه نظرًا لشخصيته القوية وممارسته للحرب جنديًا وقائدًا ولماضيه الناصع المشرف.

وعن تطبيق أعماله العسكرية على مبادئ الحرب، نجد أنه (يختار مقصده ويديمه) وكان مقصده دائمًا القضاء بنفسه على قائد العدو لتتفرق قطعاته عنه؛ كل معاركه (تعرضية)، يعمل على (مباغتة) خصمه في الزمان والمكان والأسلوب، ويبذل غاية جهده (لحشد قوته) قبل البدء بالقتال ويوفر لها الحماية اللازمة وذلك بالحصول على المعلومات عن العدو ومنع العدو من الحصول على المعلومات من قطعاته وبالكتمان الشديد، وبذلك جعل رجاله في (أمن) قبل القتال وأثناءه وبعده.

وكانت خططه العسكرية تتسم بطابع (المرونة)، يضع نصب عينه عند إعدادها تأمين (التعاون) بين صفوف قطعاته من جهة، وبينها وبين قطعات المسلمين التي يقوم بحمايتها من جهة أخرى، كما أنه يعمل على (إدامة المعنويات) وإنجاز كل متطلبات (الأمور الإدارية) لرجاله خاصة ولقوات المسلمين عامة.

إن زهرة قائد عبقري بحق، أثبت جدارة فائقة في قيادة الرجال خلال فترة قصيرة من أعماله العسكرية، ولست أشك في أن هذه الفترة لو طالت لنافس زهرة في شهرته المثنى بن حارثة الشيباني، وخالد بن الوليد المخزومي، لأن قابلياته في القيادة ومزاياه العسكرية تشابه قابلياتهما ومزاياهما إلى حد بعيد!

• زهرة في التاريخ

يذكر التاريخ لزهرة ثباته الراسخ على عقيدته في أيام ردة أهل البحرين، ويذكر له انتصاره لعقيدته ودفاعه عنها دفاع المستميت، حتى عادت رايات الإسلام ترفرف ثانية في ربوع بلاده.

ويذكر له نجاحه في حماية قوات المسلمين عند حركتها من منطقة حشدها في (شراف) حتى وصولها القادسية، ويذكر له حمايته لحشد قوات المسلمين في القادسية، ويذكر له مواقفه البطولية وقيادته الحكيمة للميسرة في أيام القادسية.

ويذكر له مطاردته الشديدة التي حطّمت كثيرًا من قوات الفرس بعد القادسية، مما سهل انتصار المسلمين عليهم فيما بعد، ويذكر له قيادته الناجحة للمقدمة بعد القادسية حتى وصول المسلمين (المدائن) عاصمة كسرى.

إن زهرة من أبرز القادة الذين كان لهم أثر حاسم في انتصار المسلمين على الفرس في معركة القادسية الحاسمة، وفي انتصارهم بعد تلك المعركة حتى دخولهم (المدائن).

وأخيرًا يذكر التاريخ تضحيته بنفسه في سبيل جمع كلمة المسلمين ووحدتهم، وترفعه عن كل أسباب إشاعة الفوضى وتفرقة الصفوف.

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد البطل، زهرة بن الحوية التميمي[1].



(١) قادة فتح العراق والجزيرة (٣١٤- ٣١٨).

(٣٤٥) الصحابي البدري
عُتبة بن غزوان المازني رضي الله عنه
فاتح جنوب العراق والأهواز
وأوّل من مصّر البصره
ورزقه اللَّه الشهادة بداء البطن

هو الصحابي البدري أبو عبداللَّه عُتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نُسيَب المازني، خليف بني عبد شمس، أو بني نوفل.

من السابقين الأول وهو قديم الإسلام، هاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية روى له مسلم من حديثه: «لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول اللَّه ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر». نزل عتبة وخباب مولاه حين هاجر إلى المدينة على عبداللَّه بن سلمة العَجْلاني[١]، وآخى رسول اللَّه ﷺ بين عتبة وأبي رجانة. وشهد بدرًا وما بعدها[٢] وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول اللَّه ﷺ[٣].

- **جهاده مع النبي ﷺ**

بعث النبي في السنة الثانية للهجرة ثمانية فرسان من المهاجرين بقيادة عبداللَّه بن جحش الأسدي، كان أحدهم عتبة[٤]، وكان هؤلاء من الفدائيين (المغاوير)، لذلك اختارهم الرسول من أبطال المهاجرين المعروفين، لأن واجبهم كان خطيرًا وخطرًا للغاية.

وقاتل عتبة تحت لواء النبي في غزوة بدر الكبرى وأبلى فيها أحسن البلاء، كما

(١) من الأنصار، شهد بدرا وأحدا، واستشهد يوم أحد.
(٢) الإصابة (٤/٣٦٤).
(٣) الطبقات الكبرى (٣/٩٩).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/٣٢٧).

قاتل تحت راية النبي في كل غزواته[١]، فكان من المسلمين الأولين الذين شاركوا النبي في جهاده وأعانوه على حماية حرية انتشار الإسلام.

❑ في الفتح:

(أ) الغازي:

بذل عتبة أقصى جهده في مقاتلة المرتدين، فلما عادت رايات المسلمين ترفرف على كافة البلاد العربية داخل شبه الجزيرة العربية، سار عتبة إلى العراق لجهاد الفرس، فقاتل تحت لواء سعد بن أبي وقاص في القادسية وفي المعارك الأخرى حتى تم للمسلمين فتح المدائن ووصلت خيولهم إلى حلوان على محور ديالي وإلى شمال الموصل على محور دجلة وإلى قرقيسياء على محور الفرات[٢]، عند ذاك كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: أن يبعث عتبة بن غزوان إلى منطقة البصرة[٣]، وقال عمر عن عتبة: «فإن له من الإسلام مكانًا، فقد شهد بدرًا وقد رجوت جزءه من المسلمين[٤]»، فدعا سعد بن أبي وقاص عتبة وأخبره بكتاب عمر، فخرج من الكوفة في ثمان مئة رجل[٥]، فساروا حتى نزلوا البصرة حيث ضربوا أخبيتهم وخيامهم وأخذ عمر يوالي إرسال الامدادات إلى عتبة، فلما كثر المسلمون بني رهط منهم بيوتًا من لبن[٦] في موضع البصرة الحالي.

(ب) الفاتح:

حين وجه عمر عتبة إلى منطقة البصرة، أوصاه: «يا عتبة! إني قد استعملتك على أرض الهند[٧]، وهي حومة من حومة العدو أرجو أن يكفيك اللَّه ما حولها

---

(١) أسد الغابة (٣/٣٦٤).

(٢) الطبري (٣/٩٠).

(٣) ابن الاثير (٢/١٨٨).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/٦).

(٥) طبقات ابن سعد (٧/٦)، ويذكر الطبري في (٣/٩٠) أن عددهم كان خمس مئة رجل.

(٦) طبقات ابن سعد (٧/٦).

(٧) منطقة البصرة يومذاك كان يطلق عليها (أرض الهند) راجع ابن الأثير (٢/١٨٨).

ويعينك عليها، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة ابن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو، فإذا قدم عليك فاستشره، وادع إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبي فالجزية، وإلا فالسيف»[١]، فلما وصل عتبة إلى منطقة البصرة، أقام فيها نحو شهر، ثم خرج إليه أهل (الابُلّة)[٢] فقاتلهم، وجعل قطبة بن قتادة السدوسي[٣] وقسامه بن زهير المازني[٤] في عشرة فوارس، وقال لهم: «كونا في ظهرنا، فتردان المنهزم، وتمنعان من أرادنا من ورائنا» ولكن المعركة بين المسلمون والفرس لم تستمر غير وقت قصير حتى انهزم الفرس، فدخل المسزون (الأبلة) وأصابوا فيها متاعًا وسلاحًا ومالًا كثيرًا[٥].

وعلم عتبة بتحشد أهل (دَسْتُميسَان)[٦] لقتال المسلمين، فبادر إلى قتالهم وهزمهم وأسر قائدهم[٧]، كما أنه فتح (مَيْسَان) أيضًا[٨].

وتحرج موقف قوات العلاء بن الحضرمي في الأهواز، إذ طوق الفرس قوات المسلمين فلم يستطيعوا الانسحاب عن طريق البحر إلى قاعدتهم في (البحرين)، فأرسل عمر إلى عتبة بأمره بإنفاذ جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا،

---

(١) الطبري (٣/٩٢)، وابن الأثير (٢/١٨٨)، والاستيعاب (٣/١٠٢٧).

(٢) الأبلة: مدينة كانت مرفأ للسفن القادمة من الصين، وهي واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة أبي الخصيب الخالية بنحو ميلين.

(٣) قطبة بن قتادة: صحابي جليل وفد على الرسول ﷺ وبايعه. استخلفه خالد بن الوليد على منطقة البصرة سنة اثنتي عشرة للهجرة ولم يزل بأرض البصرة حتى قدم عليه عتبة بن غزوان راجع الاستيعاب (٢/١٢٨٢)، وأسد الغابة (٤/٢٠٦).

(٤) قسامة بن زهير: صحابي جليل كما جاء في الإصابة (٤/٢٠٤) ومن التابعين كما جاء في طبقات ابن سعد (٧/١٥٢) وكان ثقة توفي في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٥) الطبري (٣/٩٣)، والبلاذري ص (٣٣٧).

(٦) دستميسان: كورة جليلة بين واسط البصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب، وقيل دستميسان كورة قصتها الأبلة: فتكون البصرة من هذه الكورة.

(٧) طبقات ابن سعد (٧/٧).

(٨) ميسان كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة وواسط.

فأرسل عتبة جيشًا كثيفًا في اثني عشر ألف مقاتل فيهم عاصم ابن عمرو التميمي وعرفجة بن هرثمة البارقي والأحنف بن قيس وغيرهم، فخرجوا على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم، فسار بالناس يساحل بهم حتى التقى بقوات الفرس، فهزمهم وأنقذ جيش العلاء بن الحضرمي وعاد بقواته إلى البصرة سالمًا غانمًا [(١)].

ولكن عتبة عاد وأرسل قوات إلى منطقة الأهواز واستمد سعد بن أبي وقاص، فأمده بنُعَيْم بن مقرن المزني ونعيم بن مسعود، وبذلك استطاع عتبة فتح منطقة الأهواز.

جاء في كتاب عمر إلى عتبة حين وجهه:

«... واتق اللَّه فيما وليت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر مما يفسد عليك أخوّتك، وقد صحبت رسول اللَّه ﷺ فعزرت به بعد الذلة، وقويت به بعد لضعف، حتى صرت أميرًا مسلطًا وملكًا مطاعًا، تقول فيُسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيالها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك، واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم أعيذك باللَّه ونفسي من ذلك. إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرِد اللَّه ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين.

انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا فسار عتبة ومن معه حتى إذا كانوا بالمربد تقدّموا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير فنزلوا، فبلغ صاحب الفرات خبرهم فأقبل في أربعة آلاف فالتقوا فقاتلهم عتبة بعد الزوال وكان في خمس مئة فقتلهم أجمعين ولم يبق إلا صاحب الفرات فأخذه أسيرا.

ثم خطب عتبة أصحابه وقال: «إن الدنيا قد تصرّمت وولت جدا ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، ألا وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار فانتقلوا بخير ما يحضر بكم، وقد ذكر لي لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم لهوت سبعين خريفًا

---

(١) الطبري (٣/١٧٣).

ولتملأنه، أو عجبتم؟ ولقد ذُكِر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين خريفًا وليأتين عليه يوم وهو كظيظ، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبي ﷺ مالنا طعام إلا ورق السمر حتى تقرّحت أشداقنا، والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد، فما منا أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الأمصار، وسيجربون الناس بعدنا[١]. وفي الكامل لابن الأثير أيضًا أن عتبة لما نزل البصرة أقام نحو شهر فخرج إليه أهل الأُبلّة وكان بها خمس مئة أسوار يحمونها وكانت مرفأ السفن من الصين فقاتلهم عتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة ورجع عتبة إلى عسكره، وألقى اللَّه الرعب في قلوب الفرس فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خف وعبروا الماء وأخلوا المدينة ودخلها المسلمون فاصابوا متاعًا وسلاحًا وسبيا فاقتسموه وأخرج الخمس منه، وكان المسلمون ثلاث مئة وكان فتحها في رجب أو شعبان وجمع لهم أهل دستميسان يقاتلونهم، فلقيهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيرا، وأخذ قتادة منطقته فبعث بها مع أنس بن حجنة إلى عمر»[٢].

❑ تمصيره البصرة:

مصّر عتبة البصرة واختطها وبنى المسجد بقصب[٣] وأسكنها من تيم والأزد[٤]، ومن كافة القبائل العربية الأخرى، وقد تم بناء البصرة سنة سبع عشرة للهجرة[٥] اختط عتبة البصرة للناس، ولكنه لم يختط لنفسه فيمن اختط من المهاجرين[٦] فمات وهو لا يملك دينارًا ولا دارا.

قال ابن حجر: «قال ابن سعد وغيره: قدم على عمر يستعفيه من الإمرة، فأبى، فرجع في الطريق بمعدن بني سليم[٧] سنة سبع عشرة وعاش سبعًا وخمسين سنة

---

(١) الكامل (٢/٣٣٤- ٣٣٥).
(٢) الكامل (٢/٣٣٥- ٣٣٦).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/٩٩)، و(٧/٥).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/٦).
(٥) مجمل فتوح الإسلام لابن حزم ملحق بجوامع السيرة ص (٣٤٥).
(٦) الطبري (٣/١٧٩).
(٧) من أعمال المدينة على طريق نجد.

ودعا اللَّه فمات»[١].

قال ابن سعد في الطبقات: «أصابه بطن فمات بمعدن بني سُلَيم»[٢].

والمبطون أو من أصابه داء البطن شهيد بنص حديث رسول اللَّه ﷺ، فتوج اللَّه نهاية حياة ذلكم الصحابي الجليل بشهادة يرفع اللَّه بها درجته يوم القيامة.

- **القائد**

كان عتبة من القادة الذين يتحينون الفرص المناسبة للقتال، ولا يزجون قواتهم في قتال غير مأمون العواقب ولا مضمون النتائج، لذلك كانت كل معاركه معارك فرص مؤاتية اهتبلها، أو بطلب من الخليفة نفذ فيها الأوامر حرفيًا.

إنه قائد متبع لا مبتدع، دفاعي لا تعرضي، لهذا كانت خسائره قليلة جدًا بالنسبة للفتوحات التي أجراها في أيامه القصيرة عند توليه إمارة البصرة.

لقد كان قائدًا عقائديًا يعمل لعقيدته ويخاف اللَّه عليها ويبالغ بهذا الخوف.. وكان يعتبر منصبه قائدًا وأميرًا تكليفًا له يتحين الفرص للتخلص منه، ولا يعتبره تشريفًا يباهي به ويحرص عليه.

ولولا شدة خوفه من اللَّه أن يقصر في عمله، ولولا شدة حرصه على أرواح المسلمين لكان من أبرز قادة الفتح الإسلامي، لأنه كان يتمتع بقابلية إصدار القرارات الصحيحة السريعة، وكان شجاعًا مقدامًا له إرادة قوية ونفسية لا تتبدل. يثق به رجاله ويثق بهم ويحبونه ويحبهم، له شخصية قوية نافذة وماض ناصع مجيد.

- **عتبة في التاريخ**

يذكر التاريخ لعتبة جهاده المرتدين، وجهوده المشرفة في الفتح الإسلامي.

فقد كان له أثر كبير في إعادة المرتدين من أهل عمان ومهرة إلى الإسلام، تلك

---

(١) الإصابة (٣٦٤/٤).

(٢) الطبقات (٩٩/٣).

البلاد العربية التي أصبحت قاعدة عسكرية متقدمة لإمداد الفاتحين بالرجال والمواد.

وهو الذي فتح العراق الجنوبي والأهواز، فنشر فيها رايات الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا... وإلى الأبد.

ولكن عتبة يذكر دائمًا عندما تذكر مدينة (البصرة) التي كان أول من مصرها، فأمدت العالم الإسلامي منذ مصّرها حتى اليوم بسيول جارفة من قادة الفكر والعلماء والأدباء والمفكرين وأصحاب الورع والتقوى، فكانت هذه المدينة من أعظم قواعد الفتح الإسلامي، ومن أغزر مصادر الفكر العربي والتراث الإسلامي.

رضِي اللَّه عن القائد الورع الصحابي الجليل عتبة بن غزوان المازني[١].



(١) قادة فتح العراق والجزيرة (٤٢٩- ٤٣٠).

(٣٤٦) الصحابي الجليل والقائد الثاني بعد المثنى الذي جرّأ العرب على قتال الفرس، وفاتح خفان[١] والنمارق[٢] من أرض الكوفة، وبطل عظيم من أبطال اليرموك و«أُلَّيْس»

مذعور بن عدي العجلي رضي الله عنه

وفد مذعور بن عدي العجلي هو والمثنى بن حارثة الشيباني على النبي ﷺ سنة تسع هجرية مع وفد قومهما بكر بن وائل[٣]، وصحباه ونال مذعور شرف صحبة النبي ﷺ ولم ينل شرف الجهاد معه.

جهاده

ثبت البطل مذعور في قتال المرتدين وله في ذلك الصفحات البيضاء اللامعة.

وحارب الفرس هو والمثنى بن حارثة في العراق.

قدم المثنى بن حارثة ومذعور على أبي بكر، فاستأذناه في غزو أهل فارس وقتالهم، وأن يتأثرا على مَن لحق بهما من قومهما، فأذن لهما[٤].

«وكان مذعور بن عدي العجلي قد كتب إلى أبي بكر يعلمه حاله وحال قومه ويسأله توليته قتال فارس، فكتب إليه يأمره بأن ينضمّ إلى خالد فيقيم معه إذا قام

(١) خفان: موضع قرب الكوفة.

(٢) النمارق: موضع قرب الكوفة.

(٣) انظر الإصابة (٦/٥١) ترجمة (٧٨٧٩)، وأسد الغابة (٤/٢٩٩) ترجمة (٤٨١٧)، والاستيعاب (٤/١٤٥٦).

(٤) الإصابة (٦/٥١).

ويشخص إذا شخص[١] ويلحق به بالأبلة.

وكان مذعور في أربعة آلاف من بكر بن وائل وضبيعة وعنزة فغلب على جنان (خفان) والنمارق وفي ذلك يقول مذعور.

غلبنا على جِنّان[٢] بيدًا مشيحة إلى النخلات السُّحْقِ فوق النمارقِ

وإنا لنرجو أن تجول خُيولُنا بشاطئ الفُراتِ بالسيوف التوارقِ

مذعور أشد الناس حنقا على نصارى قومه في معركة «أليس»:

شهد مذعور تحت لواء خالد بن الوليد كافة معارك فتح العراق، وأعان نصارى بكر بن وائل الفرس، وكاتبوا الفرس، واجتمعوا على أُليس، وعليهم عبد الأسود العجلي، وكان مسلمو بني عجل[٣] منهم عتيبة بن النهاس، وسعيد بن مرة، وفرات بن حيان، ومذعور بن عديّ، والمثنى بن لاحق أشد الناس، على أولئك النصارى[٤]، وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه، وهو بقسيناثا يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأليس، فقدم بهمن جاذويه جابان إليهم وأمره بالتوقف عن المحاربة إلى أن يقدم عليه، ورجع بهمن جاذويه إلى أردشير ليشاوره فيما يفعل، فتوقف عليه، فاجتمع على جابان نصارى عجل، ويتم اللات، وضبيعة، وجابر بن بجير، وعرب الضاحية من أهل الحيرة، وكان خالد لما بلغه تجمع نصارى بكر، وغيرهم سار إليهم ولا يشعر بدنوجابان وليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية ونصاراهم فأقبل، فلما طلع جابان بأليس قالت العجم له: أنعاجلهم أم نغدي الناس، ولا نريهم أنا نحفل بهم، ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟. فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٤٢).

(٢) هكذا في «الإصابة» (٥١/٦) وذكر اللواء محمود شيت خطاب «في كتابه ص (٤١٠) «خفان» بدلا من جنان، و«السمر» بدلا من «السحق» وفي معجم البلدان أن هذا الشعر للمثنى.

(٣) بنو عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر... بن وائل... انظر جمهرة أنساب العرب ص (٣١٢).

(٤) انظر تاريخ الطبري (٥٦٠/٢) والكامل لابن الأثير (٢٤١/٢).

فعصوه، وبسطوا الطعام، ووضعوا الأطعمة وتداعوا إليها، وتوافوا إليها، وانتهى خالد إليهم، وحطّ الأثقال، فلما وضعت توجه إليهم وطلب مبارزة عبدالأسود، وابن أبجر، ومالك بن قيس فبرز إليه مالك من بينهم، فقال له خالد: يا ابن الخبيثة ما جرّأك عليَّ من بينهم وليس فيك وفاء، فضربه فقتله خالد، وأعجل الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا، فقال لهم جابان: ألم أقل لكم والله ما دخلتني من مقدم جيش وحشة إلا هذا؟

وقال لهم: حيث لم تقدروا على الأكل فسُمُّوا الطعام، فإن ظفرتم فأيسرها لك، وإن كانت لهم هلكوا بأكله، فلم يفعلوا، واقتتلوا قتالًا شديدًا، والمشركون يزيدهم كَلبًا وثبوتًا توقعهم قدوم بهمن جاذويه فصابروا المسلمين، فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعليّ أن لا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجرى من دمائهم نهرهم، فانهزمت فارس، فنادى منادي خالد الأسراء الأسراء إلا من امتنع فاقتلوه، فأقبل بهم المسلمون أسراء ووكل بهم من يضرب أعناقهم يومًا وليلة.

فقال له القعقاع وغيره: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، فأرسل عليها الماء تبر يمينك، ففعل وسمى نهر الدم، ... وبلغ عدد القتلى سبعين ألفًا[١].

ولما قصد خالد أرض الشام، كان مذعور من جملة من اختارهم ليكون معه في جهاد الروم، فشهد مع خالد معاركه في طريقه إلى الشام.

وفي معركة اليرموك: تولى البطل مذعور العجلي قيادة كردوس من كراديس المسلمين التي كانت ما بين ستة وثلاثين كردوسًا إلى الأربعين. وكان على كل كردوس رجلا من الشجعان[٢] وأبلى مذعور في يوم اليرموك بلاءً عظيمًا.

---

(١) الكامل (٢/٢٤١- ٢٤٢).

(٢) الكامل (٢/٢٥٩، ٢٦٠)، والكردوس هو القطعة من الخيل العظيمة، والظاهر أن كردوس المسلمين في هذه الوقعة لا يزيد على ألف مقاتل إلا قليلا.

- **في فتح دمشق برز مذعور بطلا عظيمًا:**

في حصار دمشق كان خالد بن الوليد لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمر الروم شيء عيونه ذاكية، وهو مَعْنِيٌّ بما يليه، وكان قد اتخذ حبالًا كهيئة السلاليم، وأوهاقا، فلما أمسى ذلك اليوم نهض هو ومَن معه من جنده الذين قدم عليهم، وتقدّمهم هو والقعقاع بن عمرو، ومذعور بن عدي، وأمثاله، وقالوا: إذا سمعتم تكبيرًا على السور فأرقوا إلينا، واقصدوا الباب.

فلما وصل هو وأصحابه إلى السور ألقوا الحبال فعلق بالشرف منها حبلان، فصعد فيهما القعقاع ومذعور وأثبتا الحبال بالشرف، وكان ذلك المكان أحصن موضع بدمشق، وأكثره ماء وأشده مدخلا، فصعد المسلمون، ثم انحدر خالد وأصحابه، وترك بذلك المكان من يحميه، وأمرهم بالتكبير فكبّروا، فأتاهم المسلمون إلى الباب وإلى الحبال، وانتهى خالد إلى من يليه فقتلهم، وقصد الباب فقتل البوابين، وفتح خالد الباب، وقتل كل من عنده من الروم، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة، وبذلوا له الصلح، فقبل منهم[(١)].

وشهد مذعور قتال الروم بأرض الشام ومصر، ولم يعد إلى وطنه مع العائدين من أهل العراق. وعظم شأن مذعور بمصر[(٢)].

- **مذعور القائد في التاريخ:**

كان مذعور سيدًا من سادات بني عجل، وهو بطل بني عجل وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «بصيرا بتدبير الحرب ومواضعها ومواضع الفرص والحيل والمكايدة، حسن التعبئة لأصحابه في أحوال التعبئة.. يسيرهم أوان المسير وينزلهم أوان النزول، ويدخل الأمن عليهم والخوف على عدوهم، مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو، وكان حسن السيرة عفيفًا صارمًا حذرًا متيقظًا شجاعًا مقدامًا.

---

(١) الكامل (٢/٢٧٩).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٢/٥٥٢).

لقد كان مذعور قائدًا ممتازًا.

يذكر التاريخ لمذعور موقفه المشرف في قتاله المرتدين ودوره المؤثر في إعادتهم إلى الإسلام.

ويذكر له أنه كان الرجل الثاني بعد المثنى بن حارثة الشيباني الذي جرّأ العرب المسلمين على مهاجمة الفرس، فمهّد بذلك لفتح العراق والمشرق.

ويذكر له جهاده الطويل في ميادين قتال العراق وأرض الشام ومصر.

ويذكر له، أنه فتح خفان والنمارق في منطقة الكوفة من أرض العراق. رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، المجاهد البطل، القائد الفاتح، مذعور بن عدي العجلي [١].



(١) قادة فتح العراق والجزيرة (٤١٣).

(٣٤٧) الصحابي الجليل.. أبو عيسى وأبو محمد هادم اللّات مغيرة الرأي المغيرة بن شعبة الثقفي فاتح ميسان[١]، ودستميسان[٢] وأبزقباذ[٣] من جنوب العراق

هو الصحابي الجليل: «المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي أبو عيسى أو أبو محمد. وقال الطبري: يُكنّى أبا عبدالله.. أسلم قبل عمرة الحديبية، وشهدها وبيعة الرضوان، وله فيها ذكر».

وهو ابن أخُ عروة بن مسعود أحد رؤساء ثقيف البارزين.. وكان من سدنة «اللات»[٤] كان إسلامه عام الخندق[٥]، وكانت الحديبية أول مشاهده[٦].

قال ابن سعد: كان يُقال له مغيرة الرأي، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق. وقال الشعبي: كان من دهاة العرب، وكذا ذكره الزهري.

وقال قبيصة بن جابر: صحبت المغيرة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها، وولّاه عمر البصرة، ففتح ميسان وهمذان وعدّة بلاد.

قال الطبري: كان لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجًا ولا يلتبس عليه أمران إلا

---

(١) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة ومدينة واسط.
(٢) دستميسان: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب، وقيل: دستميسان كورة قصبتها الأبلة.
(٣) أبزقباذ: موضع يجاور ميسان ودستميسان.
(٤) اللات: صخرة مربعة كانت قريش وجميع العرب تعظمها، وكان سدينها من ثقيف.
(٥) أسد الغابة (٤/٤٠٦)، وشذرات الذهب (١/٥٦).
(٦) طبقات ابن سعد (٦/٢٠).

ظهر الرأي في أحدهما.

وقال الطبري أيضًا: كان مع أبي سفيان في هَدْم طاغية ثقيف بالطائف، وبعثه أبو بكر الصديق إلى أهل النُّجَير، وأصيبت عينه باليرموك، ثم كان رسول سعد إلى رستم.

وفي صحيح البخاري في قصة النعمان بن مُقَرن في قتال الفرس أنه كان رسول النعمان إلى امرئ القيس، وشهد تلك الفتوح(١).

فتعال معي نعود أدراجنا مع البطل الداهية من بداية إسلامه حتى وفاته سنة خمسين الهجرية(٢).

- **حب المغيرة بن شعبة البالغ للنبي ﷺ وآية ذلك في الحديبية:**

كان المغيرة رضي الله عنه من أهل بيعة الرضوان، ويوم الحديبية كان واقفًا على رأس النبي ﷺ بالسيف، أي أنه كان من حرس الرسول ﷺ، وفي تلك الغزوة بعثت قريش عُرْوَة بن مسعود عم المغيرة ليفاوض النبي ﷺ، فجعل عروة يتناول لحية النبي ﷺ وهو يكلمه(٣)، وجعل المغيرة يقرع يد عروة إذا تناول لحية رسول اللَّه ﷺ وهو يقول: «أكفف يدك عن وجه رسول اللَّه ﷺ قبل أن لا تصل إليك!» فقال عروة: «ويحك ما أفظك وأعظمك!!»، فتبسم الرسول ﷺ، فقال له عروة: «من هذا يا محمد؟»، فقال: «هذا ابن أخيك المغُيرة بن شُعْبَة»، قال: «أي غُدر! وهل غسلت سوأتك إلّا بالأمس؟»(٤).

أي حب كان يحمله المغيرة بين جنبيه لرسول اللَّه ﷺ ويصور أحمد محرم هذا

---

(١) الإصابة (١٥٦/٦، ١٥٧).

(٢) قال ابن حجر: نقل الخطيب فيه الإجماع الإصابة (١٥٧/٦).

(٣) وهذا على عادة العرب.

(٤) كان عروة قد ورى ثلاثة عشر رجلا من ثقيف قتلهم المغيرة، فلما تهايج الحيان من ثقيف بني مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاثة عشرة دية وأصلح ذلك الأمر، وهذا ما أراد عروة بقوله: «هل غسلت سوأتك إلا بالأمس».

شعرًا فيقول:

أهوى على يده المغيرةُ ضارِبًا لولا الأَناةُ لطار منها المِعْصَمُ
ما انفكَّ يضربُه بمقبض سيفهِ والسَّيفُ يُغضِي، والمنيّة تحلمُ
أسرفت عُروة فاقتصِدْ، واقبض يَدًا رِيعَ السِّماكُ لها، وغيظ المِرْزَمُ[١]
كيف ارتقيت إلى محلٍّ مالَه راقٍ، ولو أنّ الكواكبَ سُلَّمُ؟
أبلجْيَة المختار تُمسكُ؟ إنها لتُصانُ في حَرَم الجلالِ وتُعصَمُ

وأثر موقف المغيرة في عمه عروة بن مسعود، فلما رجع عروة إلى قريش قال لقريش: «يا معشر قريش! إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه؛ وإني والله ما رأيت مَلِكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه: لا يتوضأ إلا ابتدروا[٢] وضوءه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإنهم لن يسلموه لشيء أبدًا، فروا رأيكم[٣]»، وكان للمغيرة أثر معنوي كبير على نفسية عمه الذي عكس شعوره بصراحة لقريش.

وشهد المغيرة بعد الحديبية كافة غزوات الرسول ﷺ وكان معه في غزوة حنين وحصار الطائف. وقتال المغيرة لقومه ثقيف يدل على شدة إخلاصه للإسلام.

- **هدم المغيرة للَّلات في رمضان سنة ٩ هجرية:**

لما قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ وكانوا بضعة عشر رجلًا سألوه عن الربة!! «اللات» ما هو فاعل بها؟ قال: «اهدموها»، فسألوه أن يترك لهم اللات ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى الرسول ﷺ ذلك، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ذلك، حتى سألوا شهرًا واحدًا، فأبى عليهم أن يدعها شيئًا مسمًّى، وأصرَّ على هدمها، فسألوه ألا يهدموها بأيديهم، وقالوا: «لو تعلم الرَّبة أنك تريد أن تهدمها قَتَلَتْ

(١) السماك نجم، والمرزم نجم من نجوم المطر.
(٢) ابتدروا أمرًا: بادر بعضهم بعضًا إليه، أيهم يسبق.
(٣) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٣).

أهلها»، فقال عمر بن الخطاب: ويحك يا ابن عبد ياليل ما أجهلك، إنما الربة حجر. فقالوا: إنا لم نأتك يا ابن الخطاب. ثم قالوا: يا رسول اللَّه ﷺ تولَّ أنت هدمها، أما نحن فإنا لن نهدمها أبدًا. فقال: «سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها»، فكاتبوه على ذلك، فبعث إليهم رسول اللَّه ﷺ أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، فلما بلغا «الطائف» خرجت نساء ثقيف حُسَّرًا يبكين آلهتهنَّ، ويندبنها ويزرين على رجالهن الذين أسلموها، ولما همَّ المغيرة بهدمها قال لأبي سفيان: ألا أضحكك من ثقيف؟ قال: بلى. فأخذ الفأس وضرب به «اللات» ضربة واحدة، ثم صاح وخرَّ على وجهه كأنه صُعِق، فارتجت الطائف بالصياح سرورًا بأن اللات قد صرعت المغيرة، وأقبلوا عليه يقولون: ويحك، كيف رأيتها؟.. إنها تهلك من عاداها. فقام المغيرة يضحك من القوم، فقام المغيرة يضربها بالفأس ونساء ثقيف يبكين عليها ويقلن: لنبكين دفاع، أسلمها الرِّضاع[1]، لم يُحسنوا المصَاع[2].

والمغيرة يقول: إنما هي لكاع حجارة ومدر. وأبو سفيان يقول ـ والمغيرة يضربها بالفأس ـ: «واهًا لك واهًا لك»[3].

ثقيفُ اجْمعي للَّات من شِئتِ من عَزْمِ ... ولا تُسلميها للمعاول والهَدْمِ

أتاها أبو سفيان يرمِي كيانها ... بخَطْب يزيد الكُفْر رغمًا على رَغْم[4]

وإنَّ لها عند المغيرةِ هِمَّةً ... تبيتُ لها الكفَّارُ صَرعى من الهَمِّ

علاها بنَعْليه وألْقَى بنفسِه ... يُخادعُ من لا يستفيقُ من الوَهْمِ

ظننتُم به شَرًّا وقلتم أصابه ... من اللاتِ ما يُغني الغَوِيَّ عن الإثمِ

ألا فانظروها كيف أضْحتْ صخُورها ... تطيرُ فُضاضًا[5] من صلابٍ ومِن صُمِّ

---

(١) الرضاع: اللئام.

(٢) المصاع: الضرب.

(٣) البداية والنهاية (٥/٢٦ـ ٣٠).

(٤) الرَّغْم: الذل.

(٥) الفضاض: ما تفَرّق من الشيء عند كَسْره، وتطير فضاضا أي قطعًا متفرقة.

تُهَدُّ وتبكيها العقائلُ[١] حُسَّرًا   فهلْ عندها بالمأتم الضخم من عِلْمِ
وهل مَنعتْ أسلابها إذْ أصابها   رسولُ هُدًى يزداد غُنمًا على غُنْمِ
عَلَتْ قُبَّةُ الإسلامِ واعتزَّ جندُه   فمِنْ شَرَفٍ وافٍ ومن سُؤدد جَمٍّ[٢]

جهاده

قاتل المغيرة في حروب الردة تحت لواء خالد، وشهد معركة اليمامة[٣]، وتوجه مع خالد إلى العراق فقاتل تحت لوائه، ولمَّا نُقل خالد من العراق إلى أرض الشام كان المغيرة معه، وشهدها المغيرة وفيها أصيبت عينه وذهبت[٤]، وشهد بعض فتوح الشام[٥].

- **البطل في جبهة العراق:**

قُبيل معركة القادسية كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يستمدُّه، فبعث إليه عمر المغيرة على رأس أربع مئة رجل مددًا من المدينة[٦]، فلما وصل العراق أرسله سعد على رأس خمس مئة رجل إلى منطقة (الأُبُلَّة)[٧] ليكون قوة ساترة تحمي تحشد المسلمين من خطر عدو يهددها من تلك المنطقة، ولكن سعدًا سحب المغيرة وقوته وضمَّها إلى قواته الأصلية قبيل معركة (القادسية).

---

(١) العقائل: جمع عقيلة من النساء الكريمة المخدّرة.

(٢) ديوان مجد الإسلام ص (٥٦٤- ٥٦٥).

(٣) الإصابة (١٥٦/٦).

(٤) الإصابة (١٥٧/٦)، وأسد الغابة (٤٠٧/٤).

(٥) الإصابة (١٥٦/٦).

(٦) الطبري (٧٥/٣)، وفي البلاذرى (٢٥٦) أن المغيرة كان بالبصرة، فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري يأمره بإمداد سعد، فأمده بالمغيرة في ثمان مئة ويقال في أربع مئة فشهد القادسية ثم شخص إلى المدينة.

(٧) الأبلة: مدينة كانت مرفأ للسفن القادمة من الصين. راجع الطبري (٩٣/٣) وهي واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة أبي الخصيب الحالية بحوالي ميلين.

- **المغيرة داهية العرب ورستم قائد الفرس:**

وقاتل المغيرة تحت لواء سعد في معركة القادسية[١]، وكان له أثر بطولي في هذه المعركة ـ ولكن من نوع آخر ـ هو الإفادة من عقليته الراجحة وتفكيره الناضج في مفاوضة كسرى وقادته[٢]، تلك المفاوضات التي أمَّنت انتصارًا معنويًّا باهرًا للمسلمين على الفرس قبل نشوب القتال.

فقد أرسله سعد مع نفر من ذوي المنظر والمهابة والرأي إلى كسرى[٣]، ولما عاد هذا الوفد المفاوض، أرسله سعد وحده إلى رستم القائد العام للقوات الفارسية، «فأقبل ـ المغيرة ـ إليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبُسُطهم على غلوة لا يُوصل إلى صاحبهم حتى يُمشَى عليها، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره، فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه، وقال: «قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قومًا أسفة منكم، إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضًا إلَّا أن يكون محاربًا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد، وإني لم آتكم ولكن دعوتموني، اليوم عَلِمتُ أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن مُلْكًا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول».

فقالت السِّفلة: صدق واللَّه العربي. وقالت الدهاقين: واللَّه لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل اللَّه أوَّلينا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغِّرون أمر هذه الأمة.

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظَّم أمرهم، وقال: لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء، أشرافًا في الأمم، فليس لأحد مثل عِزِّنا وسلطاننا، ننصر

(١) الطبري (٣/٨).
(٢) المعارف ص (٢٩٥).
(٣) ابن الأثير (٢/١٧٥).

عليهم ولا يُنصرون علينا إلا اليوم، واليومين، والشهر للذنوب، فإذا انتقم اللَّه منا ورضى علينا رَدَّ لنا الكرة على عدونا، ولم يكن في الأمم أمة أصغر عندنا أمرًا منكم، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئًا، وكنتم تقصدوننا إذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشيء من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمتُ أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم؛ فأنا آمر لأميركم بكسوة ونعل، وألف درهم، وآمر لكل منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم.

فتكلم المغيرة فحمد اللَّه وأثنى عليه وقال: إن اللَّه خالق كل شيء ورازقه، فمن صنع شيئًا فإنما هو بصنعه، وأمَّا الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه، فاللَّه صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ولسنا ننكره، واللَّه ابتلانا به والأيام دُوَل، ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه، ولم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصيروا إليها، ولو شكرتم ما آتاكم اللَّه لكان شكركم يقصر عما أوتيتم، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغيُّر الحال، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل الكفر لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبًا من اللَّه رحمة ورأفة علينا، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه أو كنتم تعرفوننا به، إن اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ بعث فينا رسولًا ـ ثم ذكر الإسلام، والجزية، والقتال ـ. وقال له: وإن عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا: لا صبر لنا عنه.

فقال رستم: إذًا تموتون دونها. فقال المغيرة: يدخل من قُتِل منا الجنة، ومَن قُتِل منكم يدخل النار، ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم.

فاستشاط رستم غضبًا، ثم حلف بالشمس أن لا يرتفع الصبح غدًا حتى نقتلكم أجمعين.

وانصرف المغيرة، وخلص رستم بأهل فارس، وقال: أين هؤلاء منكم! هؤلاء

واللَّه الرجال ـ صادقين كانوا أم كاذبين ـ، واللَّه لئن كان بلغ من عقلهم وصوْنهم لسرِّهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ لما أرادوا منهم، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء. فلجُّوا وتجلدوا، وقال: واللَّه إني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول وأن هذا منكم رئاء.

فازدادوا لجاجة، فأرسل رستم رسولًا خلف المغيرة، وقال له: إذا قطع القنطرة ووصل إلى أصحابه، فأعلمه أن عينه تُفقأ غدًا. فأعلمه الرسول ذلك، فقال المغيرة: بشَّرتني بخير وأجر، ولولا أن أجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيت أن الأخرى ذهبت ـ أيضًا ـ. فرآهم يضحكون من مقالته ويتعجبون من بصيرته، فرجع إلى رستم فأخبره، فقال: أطيعوني يا أهل فارس، إني لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها[(١)].

لله در المغيرة.. وما أطيب قوله.. واللَّه إن كلامه مع رستم لأشد فتكًا من السيوف؛ إذ أنه أثار العامة والسوقة من الفرس، وفرّق كلمة الفرس، وقبل نشوب القتال بين المسلمين والفرس في القادسية، أرسل سعد إلى الذين انتهى إليهم رأي الناس والذين انتهت إليهم نجدتهم، فكان منهم من ذوي الرأي المغيرة، وقال سعد لهم: «انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس، فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس فذكِّروهم وحرِّضوهم على القتال»، فكان المغيرة أحد البارزين الذين حرَّضوا الناس على القتال ودفعوهم إلى التضحية والفداء يومذاك.

- **المغيرة بن شعبة الفاتح:**

قاتل المغيرة تحت لواء عتبة بن غزوان في جنوب العراق لتطهيره من الفرس[(٢)]

(١) الكامل (٢/٣١٣-٣١٤).
(٢) تاريخ الطبري (٣/٩٢).

فشهد فتح (الأبلة)، وفتح المغيرة (مَيْسان) و(دَسْتُميسان) و(أَبَزْقباذ)[١]، ولما توجه عتبة بن غزوان لأداء الحج، استخلف المغيرة على الصلاة في البصرة إلى أن يقدم مجاشع بن مسعود من غزوته فيتولى الإمارة، وانتصر مجاشع على الفرس في منطقة الفرات الجنوبي.

«وجمع الفليكان عظيم من الفرس للمسلمين، فخرج إليه المغيرة بن شعبة فلقيهم «بالمرغاب» فاقتتلوا، فقال نساء المسلمين: لو لحقنا بهم فكنا معهم فاتخذن من خُمُرهنَّ رايات. وسرن إلى المسلمين فانتهين إليهم والمشركون يقاتلونهم، فلما رأى المشركون الرايات ظنوا أن مددًا للمسلمين قد أقبل فانهزموا، وظفر بهم المسلمون، وكتب إلى عمر بالفتح»[٢].

وبعد موت عتبة استعمل عمر بن الخطاب على البصرة المغيرة بن شعبة.

وشهد المغيرة فتح (سوق الأهواز).

- **المغيرة بن شعبة يرعب قائد الفرس قبل معركة «نهاوند»، ويتولى المسيرة في فتح الفتوح نهاوند:**

قاتل المغيرة تحت لواء النعمان بن مقرن المزني وقد جاء مع أمداد المدينة، وقبل اشتباك الطرفين، بعث قائد الفرس إلى النعمان: «أن أرسلوا إلينا رجلًا نكلِّمه» فأرسل النعمان إليه المغيرة، ودارت بين الرجلين مناقشة حامية ختمها المغيرة بقوله: «والله ما زلنا مذ جاءنا رسول الله ﷺ نتعرَّف من ربنا الفتح والنصر حتى أتيناكم، وإنَّا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدًا حتى نغلبكم على ما بأيديكم، أو نُقتل بأرضكم»... وقال المغيرة للمسلمين عند عودته إليهم من قائد الفرس: «... فقمت، فقد والله أرعبت العلج جهدي»[٣].

---

(١) المعارف لابن قتيبة الدينوري ص (٢٩٥).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/٣٣٦)، والطبري (٣/٤).

(٣) الطبري (٣/٢٠٦).

وكان النعمان رضي الله عنه يقول قبل هذه المعركة: «إن أُصِبت فعلى الناس حذيفة بن اليمان، وإن أصيب حذيفة ففلان... ففلان؛ حتى عدَّ سبعهم آخرهم المغيرة»[١]، وتولى المغيرة قيادة الميسرة[٢]، ونصر اللَّه المسلمين نصرًا عزيزًا غاليًا في هذا اليوم العظيم من أيام الإسلام، واستشهد قائد المسلمين الصحابي الجليل النعمان بن مقرن المزني، واستجاب اللَّه لدعائه بالشهادة قبل المعركة «اللهم إني أسألك أن تقرَّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عزُّ الإسلام، واقبضني شهيدًا»[٣].

- **وتوالت الفتوحات في عهد أمير الكوفة المغيرة بن شعبة:**

وتولى المغيرة الكوفة سنة إحدى وعشرين للهجرة[٤] وذلك أيام عمر بن الخطاب، ومنذ ذلك الوقت حتى عزله عثمان بن عفان عنها، أشرف المغيرة على الفتح الإسلامي الذي تمَّ على يد الكوفيين، فأرسل البراء بن عازب لفتح قزوين ففتحها[٥]، كما فتح الكوفيون مناطق كثيرة، كان المغيرة يومها هو المسئول الأول عن إعداد الجيوش وإمدادها بالرجال والمواد بحكم منصبه واليًا على الكوفة ومسئولًا عن إدارتها وقيادتها جيوشها.

وقد فتح (أرجَان)[٦] من الأهواز سنة اثنتين وعشرين هجرية[٧].

- **القائد:**

لم نلمس في حياة المغيرة العسكرية موقفًا واحدًا يدل على إقدامه لدرجة المجازفة بحياته، كالتغلغل بعيدًا في صفوف العدو، أو الإقدام على طلب مبارزة

---

(١) الطبري (٣/٢٠٧).
(٢) أسد الغابة (٤/٤٠٧)، والمعارف ص (٢٩٥).
(٣) الكامل (٢/٤٠٦).
(٤) الكامل (٢/٤٦٣).
(٥) البلاذري ص (٣١٧).
(٦) أرجان: مدينة كبيرة بينها وبين شيراز ستون فرسخًا، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخًا.
(٧) المعارف ص (١٨٣).

أبطال العدو، ولكنه كان دائمًا يبدي آراء سديدة للغاية لرؤسائه حين يكون مرؤوسًا، ولمرؤوسيه حين يكون رئيسًا في إعداد الخطط المناسبة للقضاء على العدو، كما كان دائمًا مفاوضًا من الطراز الرفيع عند إرساله لمفاوضة قادة العدو.

لقد كان سلاحه الأول ما يتمتع به من عقلية متزنة وذكاء خارق ونظر بعيد جدًّا، فإذا برز بعض القادة بشجاعتهم الشخصية، فقد برز المغيرة بتفكيره السليم، فأفاد المسلمين بخططه الحكيمة من جهة، وبزعزعته معنويات خصومهم في مفاوضاته من جهة أخرى.

وليس معنى ذلك أن المغيرة لم يكن شجاعًا مقدامًا، ولكن معنى ذلك أن الناحية العقلية في قيادته كانت أظهر من شجاعته الشخصية وإقدامه، فكان يعتمد على الرأي الصائب أكثر مما يعتمد على عضلاته وسيفه، وبتعبير آخر: إن المغيرة كان يقاتل بعقله بالدرجة الأولى، ويقاتل بسيفه بالدرجة الثانية.

لقد أحسن المغيرة كل الإحسان في جهاده، وليس هناك من يستطيع أن يأخذ عليه مأخذًا واحدًا في حياته (العسكرية)؛ إذ إنه بذل جهودًا مشرفة في كافة ميادين القتال التي أتيح له القتال فيها جنديًّا وقائدًا.

كانت له قابلية فائقة لإعطاء القرارات السريعة الصحيحة، له إرادة قوية ثابتة وشخصية فذة نادرة، يتحمل المسئولية كاملة بلا تردد أو خوف، بعيد النظر بشكل مدهش حقًّا، يعرف نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ونفسية رؤسائه وقابلياتهم ـ أيضًا ـ، يثق برجاله ويثقون به، ويثق أمراؤه ثقة كاملة به.

كانت كل معاركه (تعرضية)، يتوخى في إعداد خططها مبدأ (المباغتة)، ولا يقدم على خوض معركة ما، ما لم (يحشد قواته) ويؤمن لها (أمورها الإدارية) ويعمل على (إدامة معنوياتها)، وتلك هي مبادئ الحرب التي كان يضعها نصب عينيه قبل القتال وأثناءه، وبها ـ بالإضافة إلى قابليَّاته الشخصية في القيادة ـ انتصر

في معارك الفتح[١].

يذكر التاريخ للمغيرة أنه كان إداريًّا ناجحًا وقائدًا ناجحًا، قال البغوي: كان أول من وضع ديوان البصرة. وقال ابن حبان: كان أول من سُلِّم عليه بالإمرة[٢].

إن البصرة أنشأها عُتبة بن غَزْوان، ولكن المغيرة هو الذي وسَّعها ونظم أمورها وأرسى إدارتها على قواعد مدنية سليمة بعد أن كانت تدار بأسلوب بدائي أقرب إلى البداوة منها إلى الحضارة، كما كان له نفس الأثر في الكوفة، والبصرة والكوفة هما القاعدتان الأماميتان للفتح الإسلامي في المشرق كله، تينك القاعدتان اللتان كان لهما أعظم الأثر في العقل الإسلامي والفتح الإسلامي على حد سواء.

إن التاريخ يذكر للمغيرة، أنه رجل دولة بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ، رجل دولة قلما يجود الدهر بأمثاله إلا نادرًا.

لقد كان من رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا ودهاء[٣].

ولما حضرته الوفاة قال: «اللهم هذه يميني بايعت بها نبيك، وجاهدت بها في سبيلك»[٤]، رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، الألمعي الداهية، الإداري الحازم، القائد الفاتح، المغيرة بن شعبة الثقفي.



(١) قادة فتح العراق ص (٤٥٣- ٤٥٥).
(٢) الإصابة (٦/١٥٧).
(٣) شذرات الذهب (١/٥٦).
(٤) المعارف ص (٢٩٥).

(٣٤٨) الصحابي القائد
خالد بن عُرْفُطة العذري
نائب سعد بن أبي وقاص في معركة «القادسية» وفاتح مدينة «ساباط» وقاتل الخوارج «يوم النخيلة»

هو البطل خالد بن عُرْفُطة بن أبرهة بن سنان الليثي، ويُقال: العذري - وهو الصحيح -، حليف بني زهرة[١].

وقال ابن عبدالبر: «هو خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان بن صيفي بن الهائلة ابن عبداللَّه بن عيلان بن أسلم بن حراز بن كاهل بن عذرة، وهذا هو الصواب في نسبه والحق إن شاء الله»[٢].

وقد أسلم قبل فتح مكة، وصحب النبي ﷺ[٣].

جهاده

برز اسم خالد لأول مرة في معركة القادسية الحاسمة، وهذا يدل على أنه بذل جهودًا مشرفة في جهاده قبل القادسية رشحته ليكون الرجل الثاني في تلك المعركة.

قال ابن حجر في «الإصابة»: «كان خالد مع سعد بن أبي وقاص في فتوح العراق، وكتب إليه عمر يأمره أن يؤمِّره»[٤].

كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مريضًا في أيام القادسية، فنزل إلى الناس فاعتذر

---

(١) الإصابة (٤٠٩/١) - دار الكتاب العربي.
(٢) الاستيعاب لابن عبدالبر على هامش الإصابة (٤١٣/١).
(٣) طبقات ابن سعد (٣٥٥/٤).
(٤) الإصابة (٤٠٩/١).

إليهم وأراهم ما به من القروح في فخذيه وإليتيه، فَعَذَرَهُ الناس وعلموا حاله، ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس، وأعلم الناس أنه قد استخلف خالدًا، وإنما يأمرهم خالد، فسمعوا وأطاعوا[(١)].

كان سعد لا يستطيع أن يقود المعركة إلا بإصدار الأوامر والإشراف العام على سير القتال؛ لذلك عين خالدًا نائبًا عنه يبلغ أوامر سعد عنه إلى جيشه، ويراقب تنفيذ تلك الأوامر، ويباشر القتال بنفسه، ويُطْلِع سعدًا على تفاصيل تطورات المعركة وسيرها، فكان سعد يرمي بالرقاع فيها أمره إلى خالد[(٢)]، وكان خالد بدوره يبذل غاية جهده لتنفيذ أوامر القائد العام في العراق سعد بن أبي وقاص.

ولما انتهت معركة القادسية، أمر سعد أن يجمع خالدُ سلب القتلى، ويدفن الشهداء والقتلى[(٣)]، وهذان واجبان مهمان للغاية بعد كل معركة.

الواجب الأول يدل على أمانة خالد، والواجب الثاني يدل على إنسانيته، وكلاهما يدلان على ثقة سعد بسجايا خالد الإنسانية.

- **فاتح ساباط:**

وارتحل سعد بعد الفراغ من أمر القادسية باتجاه المدائن، فكان خالد على مقدمة قوات المسلمين المتحركة لفتح المدائن، فلم يَرِدْ سعد حتى فتح خالد (ساباط)[(٤)] الواقعة قرب المدائن والتي كانت تدعى بـ«ساباط كسرى»[(٥)].

وكان خالد مع سعد في فتح المدائن، وبقي إلى جانبه حتى ارتحل سعد إلى

---

(١) الكامل (٢/٣١٨).

(٢) الطبري (٣/٤٣).

(٣) الطبري (٣/٤٣). وفي فتوح البلدان للبلاذرى ص (٢٥٩) أن سعدًا بعث خالد بن عرفطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا به حتى انتهوا إلى «ابرس».

(٤) الطبري (٣/٦٩).

(٥) فتوح البلدان للبلاذرى ص (٢٦٣)، وقد ذكر الطبري في (٣/١١٣) أن خالدا كان على الساقة وأن زهرة بن الحوية كان على المقدمة. وساباط مدينة بالقرب من المدائن، وهي على مرأى من المدائن.

الكوفة، فارتحل خالد معه.

كان خالد رضي الله عنه مستشارًا مقرَّبًا من سعد، ومن الذين تولوا إمارة الكوفة عند غيابه عنها[1].

لقد ابتعد خالد عن الفتن، وبذل طاعته لكل خليفة تولى أمر المسلمين ولكل أمين تولى الكوفة، فلم يشارك في الشغب على عثمان رضي الله عنه، ولم يرض عن تصرفات الناقمين عليه، فلما تولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة أخلصَ له الولاء، ولكنه لم يشارك في القتال الدائر بين المسلمين؛ إذ كان في شك من أمر هذا القتال، كما كان سعد بن أبي وقاص في شك من أمر هذا القتال ـ أيضًا.

- **قتاله للخوارج فله أجر شهيد:**

ولما تولى معاوية الخلافة ودخل الكوفة، كان خالد حينذاك في الكوفة، فبايع معاوية بن أبي سفيان مع الذين بايعوه من أهل العراق، وفي تلك الأيام خرج على معاويةَ عبدُاللَّه بن أبي الحوساء على رأس جماعة من الخوارج (بالنخيلة) قرب الكوفة، فخرج أهل الكوفة على رأسهم خالد، فقاتل ابن أبي الحوساء حتى قتله[2]، فهو الذي قتل الخوارج يوم النخيلة[3].

- **لبطلنا أجر الشهيد:**

عن أبي هريرة وأبي سعيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: «من قتلهم[4] فله أجر شهيد، ومن قتلوه فله أجر شهيد»[5].

تُوفي خالد رضي الله عنه سنة ستين الهجرية، وقيل: سنة إحدى وستين الهجرية[6].

---

(١) أسد الغابة (٢/٨٧)، والإصابة (١/٤٠٩).
(٢) الإصابة (١/٤٠٩)، وأسد الغابة (٢/٨٨).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/٢١).
(٤) أي الخوارج.
(٥) سنده جيد: رواه الطبراني في الأوسط، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/٣١٦): سنده جيد.
(٦) الإصابة (١/٤٠٩)، وأسد الغابة (٢/٨٨).

● **القائد:**

كان خالدُ متكاملَ الشخصية مسيطرًا على رجاله، يتروَّى في إعطاء قراراته ولا يتسرع في إصدارها، فكانت قراراته صحيحة تدل على عمق تفكيره الصائب ورجاحة عقله.

وكان ذا إرادة قوية، يفكِّر ثم يقرِّر ثم ينفِّذ ما يقرِّره بعزم لا يتزعزع، وكانت له شخصية قوية ولكنها محبَّبة إلى النفوس، يحب رجاله ويحب الناس ويبادلونه حبًّا بحب وثقة بثقة.

وكان يطبق مبدأ (المباغتة) دائمًا في حركاته معتمدًا على سرعة حركة قطعاته لمباغتة أعدائه بالمكان والزمان، ومعتمدًا على إبداعه الذاتي ومشورة رجاله لمباغتة أعدائه (بالأسلوب) كما فعل في معركة القادسية عندما استخدم الجمال المجللة بالقماش لإخافة فيلة الفرس[1].

● **البطل في التاريخ:**

يُذكر خالد كما ذكرت معركة القادسية الحاسمة؛ إذ كان (كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدًا)[2]؛ لأنه لعب دورًا مهمًا في تلك المعركة التي فتحت أبواب الإمبراطورية الساسانية للمسلمين الفاتحين.

إنه يُذكر كلما ذُكر سعد بن أبي وقاص في جهاده، ويذكر كلما ذكر سعد في أعماله العسكرية لإدامة تغلغل الفتوحات الإسلامية من جهة، وفي أعماله الإدارية لإدارة الأعمال المفتوحة من جهة أخرى.

لقد كان خالد فاتحًا وإداريًّا، ولكنه من الناحية الإنسانية كان مثالًا للخلق الرفيع، وقد كان صديقًا وفيًّا لسعد عندما كان قائدًا عامًّا في العراق وأميرًا على الكوفة، وبقي محافظًا على صداقته بعد ما أُقيل سعد من مناصبه العسكرية

---

(١) الطبري (٣/٥٤).

(٢) الطبري (٣/٤٣).

والإدارية وأصبح رجلًا من المسلمين، وبعد موت سعد بقي خالد وفيًّا لأهل سعد وفاءه لأهله.

لقد كان خالد قائدًا إنسانًا.

رضِي اللَّه عن البطل المغوار، القائد الفاتح، خالد بن عرفطة العذري.



(٣٤٩) الصحابي القائد..
قائد الميمنة يوم القادسية وفاتح محور دجلة من المدائن جنوبًا حتى الموصل شمالاً وهازم الروم في تكريت
عبداللَّه بن المُعْتَم العبسي رضي الله عنه

هو الصحابي عبداللَّه بن مالك بن المُعتَم العبسي، ذكره ابن سعد، والطبري، والبارودي في التسعة الذين وفدوا على النبي من عبس، فأسلموا، ودعا لهم بخير[(١)].

ذكر ابن سعد بسنده أنه: «وفد على رسول اللَّه ﷺ تسعة رهط من بني عبس، فكانوا من المهاجرين الأولين؛ منهم: ميسرة بن مسروق، والحارث بن الربيع ـ وهو الكامل ـ، وقنان بن دارم، وبشر بن الحارث بن عبادة، وهدم بن مسعدة، وسباع بن يزيد، وأبو الحصن بن لقمان، وعبداللَّه بن مالك، وفروة بن الحصينْ بن فضالة، فأسلموا، فدعا لهم رسول اللَّه ﷺ بخير»[(٢)].

وقال ابن منده: عقد له النبي ﷺ لواءً أبيض[(٣)]، وهو ما ذكره ابن سعد ـ أيضًا ـ: بلغ رسول اللَّه ﷺ أن عيرًا لقريش أقبلت من الشام، فبعث بني عبس في سرية وعقد لهم لواء، فقالوا: يا رسول اللَّه كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة؟ قال: «أنا عاشركم»[(٤)].

فها يدل على مكانة عبداللَّه في قومه وأنه سيدهم، وقد عقد له النبي راية وسيَّده وفضَّله على غيره.. وهذا قبل صلح الحديبية.

---

(١) انظر الإصابة (٤/١٩١).
(٢) طبقات ابن سعد (١/٢٢٥ـ ٢٢٦).
(٣) الإصابة (٤/١٩١).
(٤) طبقات ابن سعد (١/٢٢٦).

ولما ارتدت عبس بعد وفاة النبي ﷺ ثبت على إسلامه.. وتوليه قيادة ميمنة المسلمين يوم القادسية خيرُ شاهدٍ على ذلك، فما كان يتولاها غير الصحابة، كما لم يتولَّاها أبدًا من ارتد على الإسلام ثم عاد إليه كائنًا من كان.

جهاده

قاتل رضي الله عنه المرتدين، ولكنه لم يبرز نجمه إلا عندما تولى قيادة الميمنة لقوات سعد التي تحركت من «شراف»[1] إلى القادسية، فقد «جمع سعد مَن كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثنى، فاجتمعوا بشراف فعبَّأهم، وأمَّر الأمرء، وعرَّف على كل عشرة عريفًا، وجعل على الرايات رجالًا من أهل السابقة، وولى الحروب رجالًا على ساقتها، ومقدمتها، ورجلها، وطلائعها ومجنباتها، ولم يفصل إلا بكتاب من عمر، فجعل على المقدمة زهرة بن عبداللَّه بن قتادة بن الحويذة، فانتهى إلى العذيب، وكان من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وجعل على الميمنة عبداللَّه بن المعتم، واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي، وجعل خليفته خالد بن عرفطة، وجعل عاصم بن عمرو التميمي على الساقة، وسواد بن مالك التميمي على الطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة، وعلى الرجالة حمال بن مالك الأسدي، وعلى الركبان عبداللَّه بن ذي السهمين الحنفي»[2].

وفي معركة القادسية كان البطل قائدًا للميمنة، فقد ذكر الحافظ ابن حجر: «أنه كان على إحدى المجنبتيْن يوم القادسية»[3].

وبعد معركة القادسية، وصل أمر عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص بالسير إلى المدائن، فقدَّم سعد زهرة بن الحوية، ثم أتبع زهرة بعبداللَّه بن المعتم، فلما

---

(١) شَرَاف: ماء بنجد.
(٢) الكامل (٢/٣٠١).
(٣) الإصابة (٤/١٩١).

وصلت مقدمته (بُرْس)، لقيهم جمع من الفرس سارعوا إلى الانسحاب نحو (بابل)، ولكنهم هزموا هناك ـ أيضًا.

وسار المسلمون من نصر إلى نصر، حتى تم لهم دخول المدائن عاصمة كسرى، وكان عبدالله على مقدمة سعد منذ غادر القادسية حتى فَتحَ المدائن.

- **فتح عبدالله بن المعتَم لتكريت في جمادى سنة ١٦هـ:**

«سبب ذلك أنَّ الأنطاق سار من الموصل إلى تكريت وخندق فيه عليه؛ ليحمي أرضه، ومعه الروم، وإياد، وتغلب، والنمر، والشهارجة، فبلغ ذلك سعدًا فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر أن سرِّح إليه عبدالله بن المعتم، واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي، وعلى ساقته هانئ بن قيس، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة، فسار عبدالله إلى تكريت ونزل على الأنطاق فحصره ومَن معه أربعين يومًا، فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفًا، وكانوا أهون شوكة وأسرع أمرًا من أهل جلولاء، وأرسل عبدالله بن المعتم إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نصرته على الروم وكانوا لا يخفون عليه شيئًا، ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا أمراءهم ونقلوا متاعهم إلى السفن، فأرسلت تغلب، وإياد، والنمر إلى عبدالله بالخبر، وسألوه الأمان وأعلموه أنهم معه، فأرسل إليهم:

إن كنتم صادقين بذلك فأسلموا، فأجابوه وأسلموا، فأرسل إليهم عبدالله: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا أخذنا أبواب الخندق، فخذوا الأبواب التي تلي دجلة، فكبِّروا، واقتلوا من قدرتم عليه. ونهد عبدالله والمسلمون وكبَّروا، وكبّرت تغلب، وإياد، والنمر، وأخذوا الأبواب، فظن الروم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم مما يلي دجلة، فقصدوا الأبواب التي عليها المسلمون، وأخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين أسلموا تلكِ الليلة، فلم يفلت من الخندق إلا من أسلم من تغلب، وإياد، والنمر، وأرسل عبدالله بن المعتم ربعي بن الأفكل إلى الحصنيْن،

وهما نينوى والموصل، فسمي نينوى[١] الحصن الشرقي، وسمي الموصل الحصن الغربي.

وقال: اسبق الخبر، وسِرْ ما دون القيل، وأحي الليل. وسَرَّح معه تغلب، وإياد، والنمر، فقدَّمهم ابن الأفكل إلى الحصنين، فسبقوا الخبر، وأظهروا الظفر والغنيمة، وبشروهم ووقفوا بالأبواب، وأقبل ابن الأفكل فاقتحم عليهم الحصنيْن - وكلبوا أبوابها -، فنادوا بالإجابة إلى الصلح، وصاروا ذمَّة وقسموا الغنيمة، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم، وسهم الراجل ألف، وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيَّان، وبالفتح مع الحارث بن حسان إلى عمر»[٢].

وبقي عبدالله على رأس جيشه في الموصل حتى استدعاه سعد للحضور مع قواته إلى المدائن، فلما وصلوها ارتحل سعد بالناس إلى الكوفة فدخلوها في محرم من السنة السابعة عشرة للهجرة[٣].

- **القائد:**

عين الرسول ابن المعتم قائدًا، وعينه سعد بموافقة عمر قائدًا، فما هي المزايا التي أهلته لتولي منصب القيادة؟

كان شجاعًا مقدامًا، له قابليته على إعطاء القرارات الصحيحة السريعة، مكيثًا لا يتعجل الأمور ولا يتهور، صابرًا على مكابدة مشقات القتال، له إرادة قوية راسخة وشخصية نافذة مسيطرة، يتحمل المسئولية، ولا يتهرب منها أو يلقيها على عواتق الآخرين، يثق برجاله ويثقون به، ويحبهم ويحبونه، له ماض مشرف ناصح مجيد.

---

(١) نينوى: مدينة أثرية أشورية قائمة مقابل مدينة الموصل في الضفة اليسرى من دجلة وفيها دُفِن نبي الله يونس عليه السلام.

(٢) الكامل (٣٦٨/٢- ٣٦٩)، والطبري (١٤٢/٣)، وأسد الغابة (٢٦٤/٣).

(٣) الطبري (١٤٧/٣).

وكان يهتم كثيرًا بالاطلاع على نوايا العدو وأخباره، وقد ظهر ذلك بوضوح في معركة (تكريت)؛ إذ عندما أرهق الحصار المدافعين عن المدينة، عزم الروم على الفرار بالسفن، فلما علم ابن المعتم بذلك من عيونه راسل حلفاء الروم من العرب يدعوهم إلى الإسلام وإلى نصرته[1]، وكان لاستجابتهم له أثر حاسم في انتصار المسلمين.

أما خطته الدقيقة لاحتلال تكريت، فتدل على قابليته الفائقة في وضع الخطط العسكرية وتنفيذها، كما تدل على تشبعه بروح (المباغتة) أهم مبدإ من مبادئ الحرب على الإطلاق.

كما أن أوامره الصريحة التي أصدرها لربعي بن الأفكل الذي وجهه لفتح الموصل ونينوى: «اسبق الأخبار، وسر ما دون القيل، وأحي الليل»[2]، ما يؤكد تشبع ابن المعتم بروح (المباغتة)، وبمبدإ (التعرض) و(الأمن)، ومبدإ (تحشيد القوة) فلا عجب إذا استطاع بمدة لا تزيد كثيرًا عن الشهرين احتلال المنطقة الشاسعة من المدائن جنوبًا حتى الموصل شمالًا، وهي مدة قصيرة حتى بالنسبة للحرب[3] الحديثة، بينما قطع العرب هذه المسافة سيرًا على الأقدام أو على الخيل والإبل، ولم تتيسر لديهم وسائط النقل الحديثة.

- **ابن المعتم في التاريخ:**

بعد هزائم الروم بتكريت والموصل، خشي الروم أن يقطع المسلمون عليهم خط رجعتهم بالحركة من الموصل إلى شمال بلاد الشام، فكان لذلك أثر كبير في تراجع

---

(١) الطبري (١٤١/٣).

(٢) الطبري (١٤٢/٣)، ومعنى ذلك: أن يتحرك بكل سرعة ليلا ويختفي نهارًا حتى يصل هدفه قبل وصول أنباء فتح تكريت إليه، وبهذا يباغت المدافعين عنه بوصول المسلمين إليهم قبل أن يعدوا كافة متطلبات القتال.

(٣) في الحرب العالمية الثانية احتل الحلفاء بغداد في ١١ مارس ١٩١٧ وأعلنت الهدنة في ٣١ تشرين الأول ١٩١٨، ودخلوا الموصل صلحًا بعد ذلك!!

الروم بسرعة من شمال بلاد الشام وتقدم المسلمين السريع لفتحها.

يكفي أن يذكر التاريخ له؛ أنه فاتح محور دجلة من المدائن حتى الموصل، وأنه أسكن العرب ونشر الإسلام في كل هذه الربوع.

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، القائد الفاتح، عبداللَّه بن المعتم العبسي[١].

(١) فتح العراق للواء شيت خطاب ص (٣٧٩- ٣٨١).

(٣٥٠) الصحابي ربعي بن الأفكل العنزي فاتح الموصل رضي الله عنه

سمَّاه ابن حجر في الإصابة(١): «ربعي بن الأفكل العنبري»، وسمَّاه ابن جرير وغيره: ربعي بن الأفكل العنزي.

أسلم في عهد النبي ﷺ «وقد ذكرنا غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة»، ولاه سعد بن أبي وقاص حرب الموصل، وفي رواية: أن عمر استعمله على مقدمة جيش أميره عبدالله بن المعتم ـ كما مرَّ.

جهاده

برز اسمه كقائد لمقدمة عبدالله بن المعتم الذي تحرك بقواته لفتح تكريت، وبعد أن تم لعبدالله فتحها سار ربعي على رأس قوة من المسلمين لفتح الحصنين: نينوى والموصل؛ إذ إن عمر بن الخطاب كان قد عهد إلى سعد بن أبي وقاص: «أن يسرح عبدالله بن المعتم بعد فتح تكريت ربعي بن الأفكل إلى الحصنين»(٢)، الحصن الشرقي وهو نينوى، والحصن الغربي وهو الموصل.

وكان نص أمر عبدالله بن المعتم الذي أصدره إلى ربعي: «اسبق الخبر، وسر ما دون القيل، وأحي الليل»؛ أي أنه يحب أن يقطع المسافة بين تكريت والموصل سريعًا بالسرى ليلًا، وبالمسير بعض ساعات النهار قبل الظهر، حتى يصل الحصنين قبل أن تصل إليهما أخبار استسلام تكريت وأخبار تقدم المسلمين لفتحهما، فنفذ ربعي هذا الأمر حرفيًّا بالإفادة من رجال تغلب وإياد والنمر الذين أسلموا حديثًا بعد فتح تكريت؛ إذ دبر ربعي خطة الفتح بالتعاون مع هذه القبائل، تلك الخطة

---

(١) الإصابة (١/٤٩٠) دار الكتاب العربي.

(٢) الطبري (٣/١٤١)، وابن الاثير (٢/٣٦٨ـ ٣٦٩).

التي يمكن تلخيصها: بأن يسبقوا جيشه، ويذهبوا إلى أهل الحصنين ويظهروا لهم الظفر والنفل، والعودة بسلام من تكريت، ولكنهم عندما يدخلون الحصنين يسيطرون على أبوابهما، فيدخل المسلمون من تلك الأبواب المسيطرة عليها بدون مقاومة.

نفَّذَت القبائل هذه الخطة بكل دقة، وبادرت خيل ربعي المتقدمة أمام قواته باقتحام الحصنين على حماتهما، فاستسلم بعضهم وفرَّ آخرون، فلما وصل عبدالله بن المعتم نينوى والموصل بعد فتحهما دعا من فر من سكانهما ولهم الأمان، فعادوا إلى بلدهم وشملت السكان الأصليين الذمة والمنعة.

وهكذا فتح المسلمون الموصل وضواحيها، فعين عمر بن الخطاب ربعي بن الأفكل على حرب الموصل، وعرفجة بن هرثمة على خراجها[١].

● **القائد:**

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: «يظهر من دراسة الخطة العسكرية التي نفذها ربعي منذ تحرك بقواته من تكريت إلى أن فتح الموصل وضواحيها، أنه كان قائدًا متشبعًا بروح مبدإ (المباغتة) بالزمان، فقد قطع المسافة بين تكريت والموصل بسرعة خاطفة، واقتحمت خيله المدينة قبل أن تصلها أخبار استسلام تكريت للمسلمين، ففتح المدينة صلحًا، وفر الذين لم يرضوا بالصلح ثم عادوا أدراجهم بعد حين!

إن العسكري يدهش أشد الدهشة من سرعة حركة قوات ربعي وسرعة فتح مدينة الموصل، فقد تم كل ذلك بمدة لا تزيد على عشرة أيام، بينما قطع الحلفاء نفس المسافة في الحرب العالمية الأولى بمدة لا تقل عن عام ونصف العام!

إن سرعة تقدم المسلمين في حركاتهم مثال من أمثلة الحرب الخاطفة التي كانوا

---

(١) ابن الاثير (٢/٢٠٣)، والطبري (٣/١٤٣)، ويروي البلاذرى ص (٣٢٧) أن فاتح الموصل هو عتبة بن فرقد السلمي ولكن روايته هذه مرجوحة في نظرنا.

يشنونها في الزمان والمكان المناسبين، وهذه السرعة الخاطفة كانت بدون شك من عوامل انتصارهم على أعدائهم.

لقد كانت قوات الموصل الضاربة تقاتل في تكريت التي تعتبر الخط الدفاعي الأول عن الموصل، فلما استسلمت القوات المدافعة عن تكريت لم يبق للموصل قوة مؤثرة تدافع عنها؛ إذ كان مقدارًا للقوات المدافعة عن تكريت أن تنسحب منها بعد قتال شديد إلى الموصل للاشتراك مع القوات المتيسرة هناك في الدفاع عن المدينة، ولكن استسلام المدافعين عن تكريت من غير العرب، وإسلام القبائل العربية المدافعة عنها وانضمامهم إلى المسلمين كان إيذانًا بسقوط الموصل الأكيد ما لم تعمل الموصل على تحشيد قوة كافية للدفاع عنها، وهذا يحتاج إلى الوقت الكافي؛ لذلك سبق ربعي الخبر بحركة قواته السريعة ليلًا ونهارًا، مما جعله يداهم الموصل قبل أن تعلم بأنباء سقوط تكريت، وقبل أن يتأهب أهلها للدفاع عنها.

لقد كان ربعي شجاعًا مقدامًا، سريع القرار، قادرًا على إعداد الخطط العسكرية المناسبة، وكان يبادل قطعاته ثقة كاملة وحبًّا بحب، وكان يتمتع بإرادة قوية راسخة وشخصية رصينة نافذة، يتحمل المسئولية ولا يتهرب منها ليضعها على عواتق الآخرين.

- **ربعي في التاريخ:**

يقترن اسم ربعي باسم الموصل في التاريخ، فمنذ فتحها المسلمون لم يستطع أحد من غير المسلمين دخولها عنوة، كما لم يقتحمها أبدًا عدو (خارجي) منذ فتحها المسلمون حتى اليوم، بل صمدت هذه المدينة الصابرة الباسلة دائمًا بوجه الغزاة تدافع عن عروبتها وإسلامها.

إنَّ أثر ربعي في فتح الموصل لم يقتصر على ضمها إلى البلاد الإسلامية وإسكان العرب في ربوعها ونشر الإسلام بين سكانها، بل امتد أثره بعيدًا إلى أرض الشام؛ حيث بلغت هزائم الروم في تكريت والموصل أسماع إخوانهم في بلاد الشام،

فتولاهم الفزع من احتمال تقدم المسلمين من الموصل إلى أصقاع الشام الشمالية، فيقطعوا على الجيش الروماني الذي يدافع عن أرض الشام خطوط انسحابه إلى قواعده في القسطنطينية والبلاد الرومية، مما سهل على المجاهدين في بلاد الشام مهمتهم، واضطر الجيوشَ الرومانية على الانسحاب من بلاد الشام باتجاه القسطنطينية، وبذلك طهر المسلمون بلاد الشام من الروم، وسهل لهم فتح (الجزيرة) الكائنة بين الفرات ودجلة من شمال الموصل حتى ديار بكر ونصيبين.

هذا هو ربعي بن الأفكل، وتلك هي آثاره الخالدة، فهل يستحق مثله العقوق والنسيان؟؟

رضِي اللَّه عن القائد الفاتح، ربعي بن الأفكل العنزي[1].

❊ ❊ ❊

(١) قادة فتح العراق ص (٣٨٤- ٣٨٦).

(٣٥١) بطل الأزد.. أمير البحر الأول في الإسلام.. من أعظم القادة بلاءً وإحسانًا
عرفجة بن هرثمة البارقي رضي الله عنه
أول من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصَّرها

هو الصحابي «عَرْفجة بن هَرثمة بن عبدالعزَّى بن زهير البارقي أحد الأمراء في الفتوح، وقد تقدَّم أنهم كانوا لا يؤمِّرون إلا الصحابة»[١] .

جهاده

- **أمَّره الصديق لقتال المرتدين في «مهرة»[٢]:**

لما ارتد ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي بعمان، وكان يسامي في الجاهلية الجلندي، وادَّعى بمثل ما ادعى من تنبَّأ، وغلب على عمان مرتدًا، والتجأ جيفر (الجُلَنْدي) وعباد إلى الجبال، وبعث جيفر إلى أبي بكر يخبره ويستمده عليه، وبعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير، وعرفجة البارقي من الأزد، حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة، وكل منهما أمير على صاحبه في وجهه، فإذا قربا من عمان يكاتبان جيفرًا فسار إلى عمان، وأرسل أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان ومهرة، فلحقهما عكرمة قبل عمان، فلما وصلوا رجاما ـ وهي قريب من عمان ـ كاتبوا جيفرًا وعبادًا، وجمع لقيط جموعه، وعسكر بدَبا، وخرج جيفر وعباد بصُحَار[٣] ،

(١) الإصابة (٤/٤٠١) ترجمة (٥٥٢٥)، و«أسد الغابة» ترجمة (٣٦٣٨).

(٢) مهرة. اسم قبيلة من قضاعة تنسب إليهم الإبل المهرية، ولهم في اليمن محل يسمى: مهرة بينه وبين عمان مسيرة نحو شهر وكذلك بينه وبين حضرموت. راجع.

(٣) صحار: هضبة عُمان مما يلي الجبل كانت مدينة طيبة كثيرة الخيرات.

وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة في القدوم عليهما، فقدموا عليهما، وكاتبوا رؤساء مع لقيط، وبدئوا بسيِّد بني جديد فكاتبهم وكاتبوه حتى ارفضوا عنه، ثم التقوا على «دبا» الظفر، فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبدالقيْس، وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم، فقَوَّى اللَّه المسلمين بهم ووهن بهم أهل الشرك فولَّى المشركون الأدبار، فقُتِل منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم، وسبوا الذراري، وقسَّموا الأموال، وبعثوا بالخُمس إلى أبي بكر مع عرفجة، وأقام حذيفة بعمان حتى يوطئ الأمور ويسكن الناس.

كما خاضوا معركة عنيفة في «مهرة» انتصروا فيها على المرتدين ـ أيضًا ـ، وأعادوا الإسلام إلى تلك الربوع [1].

- **جهاد عرفجة بالبحرين:**

لما انتهى أمر المرتدين في «عمان» و«مهرة» سار عرفجة على رأس رجاله إلى العلاء بن الحضرمي في البحرين، و«بعثه العلاء إلى أسياف فارس، فقطع البحر في السفن، فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس، واتخذ فيها مسجدًا، وأغار على باريخان وأسياف» [2].

جهاده في العراق

❏ مع المثنى بن حارثة الشيباني:

- **عرفجة يقتل تسعة من الفرس في معركة «البويب»:**

ندب عمر بن الخطاب الناس إلى العراق بعد هزيمة المسلمين في معركة (الجسر)

---

(١) الطبري (٢/٥٢٩).
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢٦٧).

واستشهاد قائدهم أبي عبيد بن مسعود الثقفي، فكان عرفجة أحد المتطوعين، فأراد عمر استعماله على (بجيلة)، فقال جرير بن عبدالله البجلي لبجيلة: «تقرون بهذا؟» فأتوا عمر، وقالوا: اعفنا من عرفجة، فقال عمر: «لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلامًا، وأعظمكم بلاء وإحسانًا»، فقالوا: استعمل علينا رجلًا منَّا!... فأرسل عمر إلى عرفجة، فقال: «إن هؤلاء استعفوني منك وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟». فقال عرفجة: «صدقوا، وما يسرني أني منهم... أنا امرؤ من الأزد ثم من بارق»، فقال عمر: «نعم الحي الأزد، يأخذون نصيبهم من الخير والشر!!»[١]، فأمَّر عمر عرفجة على الأزد وسيرهم إلى العراق، ففرح الأزد بعودة عرفجة إليهم، فخرج بقومه حتى قدم على المثنى بن حارثة الشيباني في العراق[٢].

قاتل عرفجة على رأس الأزد تحت لواء المثنى في معركة (البويب) الحاسمة، فكان من المعدودين الذين قتلوا تسعة من رجال الفرس، قال يحدث المثنى بعد المعركة: «طاردت كتيبة منهم إلى الفرات ورجوت أن يكون الله ـ تَعَالَى ـ قد أذن في غرقهم وسلى عنها بها مصيبة (الجسر)، فلما دخلوا إلى حد الأحراج، كروا علينا، فقاتلناهم شديدًا حتى قال بعض قومي: لو أخرت رايتك!! فقلت: «علي إقدامها!!» وحملت به على حاميتهم فقتلته، فولوا نحو الفرات، فما بلغه منهم أحد فيه الروح»[٣].

- **عرفجة يبلي أحسن البلاء في القادسية وما بعدها تحت لواء «سعد»:**

كان عرفجة أحد أفراد الوفد الذي وجهه سعد للقاء رستم قائد الفرس، وفي معركة القادسية أبلى عرفجة أحسن البلاء، وسار على نفس نهجه في البطولة والفداء في المعارك الأخرى التي قادها سعد بعد القادسية حتى دخل المدائن عاصمة فارس.

---

(١) الطبري (٢/٦٤٦).
(٢) الطبري (٢/٦٤٧).
(٣) الطبري (٢/٦٥١).

- **عرفجة الفاتح:**

لما علم عمر من سعد بإجماع أهل (الموصل) وتوجههم إلى (تكريت)، كتب إلى سعد «أن سرِّح إليه عبدالله بن المعتم، واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي، وعلى ساقته هانئ بن قيس، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة»[(١)]، فشهد تحت لواء ابن المعتم فتح «تكريت»، ثم شهد فتح المنطقة من «تكريت حتى الموصل؛ حيث ولَّاه عمر خراج «الموصل»[(٢)] بعد فتحها.

- **ثناء عمر على عرفجة «... هو ذو مجاهدة ونكاية للعدو»:**

عاد عرفجة مرة ثانية مع قومه إلى البحرين مؤثرًا الجهاد في سبيل اللَّه ـ تَعَالَى ـ، فلما تولى عتبة بن غزوان البصرة سنة سبع عشرة للهجرة كتب إليه عمر بن الخطاب: «قد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكابدة للعدو، فإذا قدم إليك فاستشره»[(٣)]، فكان الساعد الأيمن لعتبة في الإدارة والجهاد.

فقد أرسله وعاصم بن عمرو التميمي والأحنف بن قيس من البصرة ضمن جيش كثيف في اثني عشر ألف مقاتل، فخرجوا في البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سيرة بن أبي رهم لإنقاذ جيش العلاء بن الحضرمي، فانتصر المسلمون في (الأهواز) انتصارًا رائعًا وأنقذوا جيش العلاء بن الحضرمي من خطر كبير، ثم عاد هذا الجيش إلى البصرة سالمًا غانمًا[(٤)].

---

(١) الطبري (٣/١٤١). وابن الأثير (٢/٣٦٨).

(٢) ابن الأثير (٢/٣٦٩).

(٣) ابن الأثير (٢/٢٣٥)، والإصابة (٤/٤٠١) وعنده «ذو مجاهدة ونكاية في العدو»، وأسد الغابة (٣/٤٠١).

(٤) انظر الكامل (٢/٣٨٣)، والطبري (٣/١٧٨).

في فتح فارس

- **عرفجة يشهد فتح «رامهر مز» و«تستر»:**

تولى البصرة أبو موسى الأشعري فكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: «ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا، وأمر عليهم عدي بن عمرو أخا سهيل، وابعث معه البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور، وعرفجة بن هرثمة»[1] فشهد فتح مدينة (رامهرمز)[2] ومدينة (تستر)[3]، وبقي مجاهدًا في ساحات القتال حتى عاد إلى (الموصل) سنة اثنتين وعشرين للهجرة واليًا عليها من قبل عمر بن الخطاب، ولكن عثمان أعاده للجهاد في ميادين بلاد فارس، وأعاده بعد ذلك عثمان واليًا على الموصل[4].

- **عرفجة يختط مدينة الموصل ويمصِّرها:**

برز عرفجة في الإدارة بروزًا لا يقلُّ عن بروزه في ميدان الحرب، فقد كان عرفجة أول من اختط (الموصل) وأسكنها العرب ومصَّرَها، وكانت قبله فيها الحصن وبيع النصارى ومنازل قليلة لهم عند تلك البيع ومحلة لليهود، فمصَّرَها عرفجة وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع[5]، واستقر عرفجة هناك واليًا عليها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد أمره عثمان أن يعود إلى الموصل من فارس، وكان عثمان بعثه على رأس أربعة آلاف جندي من الأزد، وكندة، وعبد القيس يغير على أهل فارس، وبذلك سكن العرب الجدد[6] إلى

(١) الكامل (٢/٣٨٩).

(٢) رامهرمز: مدينة مشهورة بناحية خوزستان.

(٣) تستر: أعظم مدينة في خوزستان اليوم وهي مدينة ششتر انظرالكامل.

(٤) أسد الغابة (٣/٤٠١).

(٥) أسد الغابة (٣/٤٠١).

(٦) البلاذرى ص (٣٢٧).

جانب إخوانهم العرب القدماء من إياد وتغلب والنمر[١].

- **القائد عرفجة:**

«كان عرفجة مثالًا رفيعًا من أمثلة الشجاعة العربية النادرة، وكان في زمانه معدودًا من أفذاذ الشجاعة؛ لذلك نرى عمر يُعَيِّنُهُ بالاسم في البعوث كلما تحرج موقف المسلمين في ساحة ما من ساحات الفتح.

قال عمر للأزد قوم عرفجة: «أي الوجوه أحب إليكم؟» قالوا: الشام! فقال: «ذلك قد كفيتموه.. العراق! العراق! ذروا بلدة قد قلل اللَّه شوكتها وعددها، واستقبلوا جهاد قوم قد حوَوْا فنون العيش، لعل اللَّه يورثكم قسطكم من ذلك، فتعيشوا مع من عاش من الناس»، فقال عرفجة لقومه: «يا عشيرتاه! أجيبوا أمير المؤمنين إلى ما يرى»، فقال الأزد: إنا قد أطعناك وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد»[٢].

ولم يكن التوجه إلى العراق يومذاك سهلًا، خاصة بعد أن تلقى المجاهدون من المسلمين فيه درسًا قاسيًا في معركة (الجسر)، ولكن شجاعة عرفجة ونخوته وشهامته أبت عليه إلا أن يختار أخطر ساحات الفتح الإسلامي، فذهب إلى العراق مختارًا وبذل فيه أقصى ما يبذله المؤمن القوي الشجاع.

وكان سريع القرار صائبه، له نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار، يتحمل المسئولية كاملة بلا تردد ولا خوف، ويتمتع بمزية سبق النظر لذكائه واتزانه، يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه، له شخصية نافذة وإرادة قوية وماض ناصع مجيد.

وكان في أعماله يطبق أهم مبادئ الحرب: يختار (مقصده) بدقة ويتوخاه دائمًا، كل معاركه (تعرضيَّة)، يحشد لها أكبر قوة ممكنة، وينفذ خططه بصورة

---

(١) الطبري (١٥٣/٣).

(٢) الطبري (٦٤٧/٢).

مباغتة، ويعمل دائمًا على إدامة معنويات قطعاته ويؤمن لها كافة متطلباتها الإدارية.

يذكر التاريخ لعرفجة جهوده الجبارة في قتال أهل الردة في (عمان) و(مهرة)، ويذكر له أعماله الفذة في أكثر معارك الفتح الإسلامي في العراق وفارس، ويذكر له أنه أول قائد عربي في الإسلام ركب البحر وجرأ العرب على ركوبه، ويذكر له تمصيره مدينة الموصل الحدباء[1] وجعلها من أكبر قواعد العرب والإسلام.

تلك هي مآثر عرفجة في التاريخ، فهل نذكره ونذكرها له، أم ننساه وننساها، لأننا أمة من أخطر عيوبنا النسيان؟!

رضِي اللَّه عن أمير البحر الأول في الإسلام، القائد الفاتح، عرفجة بن هرثمة البارقي.



(١) قاد فتح العراق ص (٣٩٣- ٣٩٤).

(٣٥٢) الصحابي الجليل
قاهر الجبال وفاتح شمال العراق وأذربيجان
عتبة بن فرقد السُّلَمِيّ[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو الصحابي الجليل «عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة السلمي أبو عبدالله.

وقال ابن سعد: «يربوع هو فرقد»[(٢)].

ذكره ابن سعد في طبقاته في الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة[(٣)].

«روى أبو المُعافى في تاريخ الموصل مِن طريق هشيم، عن حُصين أنه شهد فتح خيبر، وقسم له منها؛ فكان يعطيه لبني أخواله عامًا ولبني أعمامه عامًا؛ وكان حصين من أقربائه»[(٤)]، وقد كانت غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة.

وروى شعبة عن حُصين عن امرأة عتبة بن فرقد أن عتبة غزا مع رسول الله ﷺ غزوتينْ[(٥)].

فنال شرف الجهاد تحت لواء الرسول العظيم ﷺ.

- **عتبة أطيب الناس ريحًا:**

«عن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي، قالت: كُنَّا عند عتبة أربع نسوة ما

---

(١) انظر ترجمته في «أسد الغابة» ت (٣٥٥٧)، والاستيعاب ت (١٧٨٤)، والإصابة (٣٦٤/٤) ترجمة (٥٤٢٨)، والطبقات الكبرى (٢١٨/١، ٢٠٧/٤، ١١٤/٦)، وتهذيب التهذيب (١٠١/٧)، والكامل (٣٧١/١، ٤٣٧).

(٢) الإصابة (٣٦٤/٤).

(٣) الطبقات الكبرى (٢٠٧/٤) ترجمة (٤٥٤).

(٤) الإصابة (٣٦٤/٤). وروى الدوري عن ابن معين: يُقال: إن عتبة بن فرقد، قد شهد مع رسول الله ﷺ خيبرًا «تاريخ يحيى بن معين» (٣٩١/٢).

(٥) أسد الغابة (٥٦١/٣)، والإصابة (٣٦٥/٤).

منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب من صاحبتها وما يمسُّ عتبة الطِّيب إلا أن يمسَّ دُهنًا يمسح به لحيته، ولهو أطيب ريحًا منا، وكان إذا خرج إلى الناس قالوا: ما شممنا ريحًا أطيب من ريح عتبة. فقلت له يومًا: إنا لنجتهد في الطيِّب، ولأنت أطيب ريحًا منا فَمِمَّ ذاك؟ فقال: أخذني الشَرى على عهد رسول اللَّه ﷺ، فشكوت ذلك إليه فأمرني أن أتجرَّد فتجردْتُ وقعدتُ بين يديه وألقيت ثوبي على فرْجي، فنفث في يده ثم مسح يده على ظهري وبطني فعبق بي هذا الطيب من يومئذٍ»[1].

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه من طيبك تطيب الدنيا بأسري... وحديث عتبة خير دليل.

جهاده

كان لعتبة رضي الله عنه قسط وافر في جهاد المرتدين..

وولَّاه عمر في الفتوح، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على حسن بلائه، ولولا ذلك ما ولَّاه عمر، روى أبو المعافى في تاريخ الموصل أن عمر ولَّاه في الفتوح، ففتح الموصل سنة ثمان عشرة مع عياض بن غنم[2].

قال المزي في «تهذيب الكمال»: «قال أبو عمر بن عبدالبر: كان أميرًا لعمر بن الخطاب على بعض فتوحات العراق»[3].

روى ابن الأثير في «أسد الغابة» بإسناده عن أبي زكرياء قال: وولي عتبة بن فرقد لعمر بن الخطاب الموصل. قال: وفي بعض الروايات أنه فتحها. قال: وابتنى عتبة دارًا ومسجدًا.

---

(١) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي (١٩/٣٢١).

(٢) الإصابة (٤/٣٦٤).

(٣) تهذيب الكمال (١٩/٣٢٠).

وجَّه عمر بن الخطاب عياض بن غنم فافتتح الموصل، وخلف عتبة بن فرقد على أحد الحصنينْ، وافتتح الأرض كُلها عنوة غير الحصن، صالحة أهله عليه، وذلك سنة ثمان عشرة.

وقالوا: كان على حرب الموصل في سنة سبع عشرة ربْعي بن الأفكل، وعلى الخراج عرفجة بن هرثمة، وفي قول آخر: عتبة بن فرقد على الحرب والخراج[1].

وعند البلاذري: «ولَّى عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السلمي الموصل سنة عشرين، فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها - وهو الشرقي - عنوة، وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والإذن لمن أراد الجلاء في الجلاء، ووجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية، ثم فتح المرج، وقراه، وأرض باهذرى، وباعذرى، وحبتون، والحيانة، والمعلة، وداسير، وجميع معاقل الأكراد، وأتى بانعاثا من حزة ففتحها، وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن صالح بن عبادة الهمداني صاحب رابطة الموصل ففتح ذلك كله وغلب عليه.

وأخبرني معافى بن طاوس عن مشايخ من أهل الموصل قال: كانت أرمية من فتوح الموصل فتحها عتبة بن فرقد، وكان خراجها حينًا إلى الموصل، وكذلك الحور، وخوى، وسلماس، قال معافى: وسمعت أيضًا أن عتبة فتحها حين ولي أذربيجان، واللَّه أعلم»[2].

لما استقرَّ عتبة بالموصل، شرع في فتح مناطقها المجاورة وهي (شهر زور)[3]، و(الصامغان)[4]، و(دارأباذ)[5].

---

(١) أسد الغابة (٣/٥٦٢).

(٢) فتوح البلدان ص (٣٢٧). الصحيح أن الموصل فُتحت سنة ست عشرة للهجرة كما يذكر الطبري (٣/١٤٢).

(٣) شهر زور: كورة واسعة في البلاد بين أربيل وهمذان.

(٤) الصامغان: كورة من كور الجبل في حدود طبرستان.

(٥) داراباذ: قلعة حصينة في جبال طبرستان، وهي ليست «دارا» الواقعة بين نصيبين وماردين.

قال ابن الأثير: «لما استعمل عمر عزرة بن قيس على حلوان حاول فتح شهر زور فلم يقدر عليها، فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان (١)، فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت، وصالح أهل الصامغان وداراباذ على الجزية والخراج، وقتل خلقًا كثيرًا من الأكراد، وكتب إلى عمر أنَّ فتوحي قد بلغت أذربيجان فولَّاه إياها» (٢).

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: «لقد فتح عتبة (شهرزور)، و(دارأباذ)، وهذه المناطق كانت تُعتبر جزءًا من الموصل - كما جاء في البلاذري -، ولم تزل شهرزور وأعمالها مضمومة إلى الموصل، حتى فُرِّقت في آخر خلافة الرشيد؛ لذلك فإن عتبة فتح هذه المناطق من أعمال الموصل لا بلدة الموصل نفسها، جرى فتح هذه المناطق سنة اثنتين وعشرين كما قال ابن الأثير» (٣).

- **فتح عتبة أذربيجان (٤):**

سار عتبة لفتح أذربيجان من «شهر زور»، وهي مجاورة لأذربيجان، كما سار بُكَير بن عبدالله (٥) لفتحها من حلوان، فتح عتبة من أذربيجان الجهة المتاخمة لشهرزور باتجاه تقدمه، كما فتح بكير منها ما يليه (٦)، ولكن عمر بن الخطاب أصدر أمره إلى بكير أن يتوجه لفتح «الباب» (٧)، وأمره أن يستخلف على عمله،

---

(١) حلوان: آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وكانت مدينة عامرة بين همذان وبغداد. وتوجد اليوم آثار خرائب هذه المدينة بين خانقين وجلولاء.

(٢) الكامل لابن الأثير (٢/٤٣٧).

(٣) قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٦١).

(٤) أذربجان: كلمة أذربيجان بالفارسية معناها أرض النار أو معابد النار، وقد أُطلِق عليها هذا الإسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة فيها حينذاك. وأذربيجان مملكة عظيمة الغالب عليها الجبال، أشهر مدنها تبريز، وهي قصبتها.

(٥) بكير بن عبدالله الليثي فاتح موقان وقسم من أذربيجان.

(٦) تاريخ الطبري (٣/٢٣٤).

(٧) مدينة تسمى باب الأبواب، وهي مدينة كبيرة على بحر الخزر.

فاستخلف بكير عتبة على الذي افتتحه من «أذربيجان» فأقرَّ عتبة سماك بن خرشة الأنصاري[(١)] - آخر غير أبي دجانة - على عمل بكير، إذ جمع عمر أذربيجان كلها لعتبة[(٢)].

وكان قائد الفرس في تلك المنطقة يدعى (بهرام) قد حشد جيشًا لصدِّ عتبة عن استكمال فتح أذربيجان؛ لذلك تقدم عتبة بقواته إلى حيث عسكر جيش (بهرام)، فنشبت بين الطرفين معركة حامية خسرها الفرس، فاستسلمت المناطق الأخرى من أذربيجان سلمًا، وأصبحت مناطقها كلها بين المسلمين، فكتب عتبة بينه وبين أهل أذربيجان أمانًا لسهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها على أنفسهم وأموالهم وملكهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم، وامتد فتح عتبة حتى مدينة أرمية[(٣)] الواقعة بالقرب من بحيرة «أرمية»[(٤)].

- **كتاب عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان:**

كتب عتبة بن فرقد: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبالها وحواشيها

---

(١) سِمَاك بن خرشة الأنصاري هو آخر غير أبي دجانة.

كان سماك بن مخرمة الأسدي، وسماك بن عبيدالعبسي، وسماك بن خرشة الأنصاري - ليس بأبي دجانة - هؤلاء الثلاثة أول من وَلِيَ مسالح «دَسْتبي» [كورة كبيرة كانت مشتركة بين الري وهمذان، وكورة همذان كانت تشتمل على قريب من تسعين قرية منها قرية دستبي همذان] وقدم هؤلاء الثلاثة على عمر في وفود أهل الكوفة بالأخماس، وانتسبوا له فقال: «اللهم بارك فيهم واسْمُك بهم الإسلام».

وشهد سماك القادسية.. وكان له ذكر في فتوح الري كما قال ابن مِسْكَوَيْه. انظر الإصابة (١٤٧/٣) ت (٣٤٧٨).

(٢) الطبري (٣٢٤/٣، ٣٣٥).

(٣) أرمية: مدينة عظيمة بأذربيجان بينها وبين البحيرة المسمّاة باسمها نحو ثلاثة أميال أو أربعة.

(٤) في «فتوح البلدان» للبلاذري ص (٣٢٢): «وليّ عمر أذربيجان عتبة بن فرقد السلمي فأتاها من الموصل ويُقال: بل أتاها من شهرزور على السلق الذي يعرف اليوم بمعاوية الأودي، فلما دخل أردبيل وجد أهلها على العهد، وانتقضت عليه نواح فغزاها فظفر وغنم، وكان معه عمرو بن عتبة الزاهد».

وشفارها وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم، وليس على صبي ولا امرأة ولا زَمِن [(١)] ليس في يديه شيء من الدنيا، ولا متعبد ليس بين يديه من الدنيا شيء، لهم ذلك ولمن سكن معهم، وعليهم قِرَى المسلم من جنود المسلمين يومًا وليلة ودلالته، ومن حشر منهم في سنة وُضِع عنه جزاء تلك السنة، ولمن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه» [(٢)].

- **هل يُزرَع إلَّا في منابته النخلُ.. الرجل صنو أبيه عمرو بن عتبة بن فرقد:**

لله در القائل:

وهل ينبت الخطيَّ إلا وشيجه ... ويُزرع إلا في منابته النخل

فهذا المجاب المستشهد، عمرو بن عتبة بن فرقد، المُظَلَّل المحروس، شهيد غزاة أذربيجان [(٣)].. الذي لو لم يكن من فضل لأبيه عتبة بن فرقد إلا أنه والده لكفاه، فقد أحسن والله تربيته وتزكيته أيما إحسان.

قال علي بن صالح: «كان عمرو بن عُتبة يرعى ركاب أصحابه وغمامة تظله بظله. وكان عمرو بن عتبة يصلي والسَّبُع يضرب بِذَنَبِهِ يحميه» [(٤)].

وقال بشر بن الحارث الحافي: كان عمرو بن عتبة يصلي والحمام فوق رأسه، والسباع حوله تحرِّك أذنابها [(٥)].

- **راهب الليل وفارس النهار عمرو بن عتبة لا يخشى الأسد!!**

وحدَّث مولى لعمرو بن عتبة قال: استيقظنا يومًا حارًّا في ساعة حارة، فَطَلَبْنَا

---

(١) أي مريض مريضًا مزمنًا.

(٢) تاريخ الطبري (٣/٢٣٥).

(٣) قال ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/٣٦)، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال:: قُتِل بتستر في خلافة عثمان.

(٤) «تهذيب الكمال» للمزي (٢٢/١٣٦)، والحلية (٤/١٧٢).

(٥) صفة الصفوة (٣/٣٥).

عمرو بن عتبة فوجدناه في جبل وهو ساجد وغمامة تظله، وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس لكثرة صلاته، ورأيته ليلة يصلي فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو قائم يصلي فلم ينصرف، فقلنا له: أما خِفت الأسد؟ فقال: إني لأستحي من اللَّه أن أخاف شيئًا سواه[(١)].

لما تُوفي عمرو دخل بعض أصحابه على أخته، فقال: أخبرينا عنه. فقالت: قام ذات ليلة فاستفتح سورة حم، فلما أتى على هذه الآية ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] فما جاوزها حتى أصبح[(٢)].

قال إبراهيم بن علقمة: خرجنا ومعنا مسروق، وعمرو بن عتبة، ومعضد غَازِينَ، فلما بلغنا ماسبذان وأميرها عتبة بن فرقد، فقال لنا ابنه عمرو بن عتبة: إنكم إن نزلتم عليه صنع لكم نزلًا، ولعله أن تظلموا فيه أحدًا، ولكن إن شئتم قِلْنا في ظل هذه الشجرة، وأكلنا من كسرنا، ثم رجعنا. ففعلنا، فلما قدمنا الأرض قطع عمرو بن عتبة جبة بيضاء فلبسها، فقال: واللَّه إنْ تَحَدَّر الدم على هذه لَحَسَنٌ، فرُمِي، فرأيت الدم يتحدَّرُ على المكان الذي وضع يده عليه، فمات[(٣)].

وقال عمرو بن عتبة: «سألت اللَّه ثلاثًا فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة: سألته أن يُزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر، وسألته أن يقوِّيني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها»[(٤)].

وخرج ـ رحمه اللَّه ـ فاشترى فرسًا بأربعة آلاف درهم، فعنَّفوه يَسْتَغْلُونَهُ، فقال: ما خطوة يخطوها يتقدمها إلى عدو إلا وهي أحب إليَّ من أربعة آلاف[(٥)].

وأخبر ابن عم له قال: نزلنا في مَرْج حسن، فقال عمرو بن عتبة: ما أحسن هذا

---

(١) الحلية (١٧٢/٤).
(٢) الحلية (١٧٣/٤).
(٣) الحلية (١٧٠/٤)، وتهذيب الكمال (١٤٢/٢٢).
(٤) الحلية (١٧٠/٤- ١٧١).
(٥) الحلية (١٧١/٤- ١٧٢)، وتهذيب الكمال (١٣٩/٢٢- ١٤٠) والثقات للعجلي. الورقة (٤٢).

المرج، ما أحسن الآن لو أن مناديًا نادى: يا خيل اللَّه اركبي! فخرج رجل فكان في أول من لقي فأصيب، ثم جيء به فَدُفِنَ في هذا المرج. قال: فما كان بأسرع من أن نادى مناديًا: يا خيل اللَّه اركبي، فخرج عمرو في سرعان الناس في أول من خرج، فأُتِي عتبة فأُخبر بذلك، فقال: عليَّ عمرًا! عليَّ عمرًا! فأرسل في طلبه فما أدرك حتى أُصيب. قال: فما أراه دُفِن إلا في مركز رُمحه وعتبة يومئذٍ على الناس.

لما أصاب الجُرح عمرًا فقال: واللَّه إنك لصغير، وأن اللَّه ليُبارك في الصغير، دعوني في مكاني هذا حتى أُمسي، فإن أنا عشت فارفعوني. قال: فمات في مكانه ذلك[1].

واللَّه إن الكلمات جميعها لتقف عاجزة أن تصور جمال وجلال هذا المشهد.. اللهم ارزقنا الصدق ولا تحرمنا مشهدًا مثله.

هذا هو اللَّه الطريق.

فهذا طريق القوم إن كنت تبتغي ... وتعقل عن مولاك آداب ذوي القدر

- **عتبة الإنسان:**

تولَّى عتبة الموصل، وتولَّى بعدها أذربيجان حربها وخراجها، وكان موضع ثقة عمر، كما كان موضع ثقة سعد بن أبي وقاص حين كان قائدًا عامًّا في العراق وواليًا على الكوفة، فقد بقي عتبة واليًا على أذربيجان في زمن عمر، وبقي عليها في عهد عثمان ما بقي سعد واليًا على الكوفة، فلما عزله عثمان وولَّى مكانه الوليد بن عقبة عاد فعزله عن منصبه سنة خمس وعشرين للهجرة.

- **القائد:**

يقول اللواء محمود شيت خطاب: «تتسم قيادة عتبة ببعد النظر، فعندما أصبح واليًا على الموصل، استطاع أن يفتح شمال العراق كله بالتدريج وبأقل خسائر ممكنة بالأرواح، على الرغم من وعورة تلك المناطق ووجود الجبال الشاهقة فيها.

---

(١) الحلية (٤/١٧١).. وتهذيب الكمال (٢٢/١٤٢- ١٤٣).

والذين يعرفون درجة وعورة مناطق العراق الشمالية وطبيعة (أذربيجان) الجبلية، وأن الذين فتحوا هذه المناطق الشاسعة ذات الجبال العالية والذرى الشاهقة هم من العرب أبناء الصحراء حيث لا جبال ولا وديان، يقدِّر كفاءة عتبة الممتازة في القيادة.

لقد كان قائدًا عقائديًّا من الطراز الأول، يتحلى بضبط متين، وعقلية متزنة، وقابلية بدنية فائقة، ومعنويات عالية، سريع القرار صحيحهُ، له إرادة قوية ثابتة، وشخصية رصينة نافذة، ونفسية لا تتبدَّل في حالتي النصر والاندحار، يتحمل مسئوليته كاملة، ويحب رجاله ويحبونه، ويثق بهم ويثقون به، ويعرف نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم، ويعرف مبادئ الحرب ويطبقها، يتمتع بمزية سبق النظر، وله ماض ناصع مجيد.

تلك هي مزايا عتبة القائد الإنسان، وذلك هو جهاده في سبيل إعلاء كلمة الله، فلا عجب أن يفتح شرقي دجلة من شمال الموصل حتى الحدود العراقية - التركية - الإيرانية، وهي أقضية زاخو، والعمادية، ودهوك، وعقرة من لواء الموصل، بالإضافة إلى لوائي أربيل والسليمانية، كما فتح معظم أذربيجان[١] الواقعة في إيران والمتاخمة للحدود العراقية - التركية - الروسية، ونشر الإسلام في كل تلك الربوع.

كيف استطاع العرب أبناء الصحراء قهر جبال هذه المنطقة الواسعة، وكلهم لم ير في حياته جبلًا شاهقًا ولم يمارس في حياته أساليب الحروب الجبلية؟؟

ذلك أثر من آثار العقيدة الراسخة والإيمان العظيم، والشجاعة النادرة، والقيادة الحكيمة ممثلة في رهبان الليل وفرسان النهار من العرب المسلمين جنودًا، وفي قائد الرجال وقاهر الجبال الصحابي الجليل عتبة بن فرقد السلمي - عليه رضوان اللَّه - قائدًا.

رضِي اللَّه عن الفارس البطل، القائد الفاتح الصحابي الجليل، عتبة بن فرقد السلمي[٢].

---

(١) جدود أذربيجان: من برذعة شرقًا إلى أرزنجان غربًا وبلاد الديلم شمالا. ومن أهم مدنها: مراغة، تبريز، خوري - سلماس - أرمية - أردبيل وغير ذلك.. والغالب عليها الجبال.

(٢) قادة فتح العراق ص (٤٦٥- ٤٦٦) والجزيرة.

(٣٥٣) الصحابي القائد
عُمَر بن مالك الزهري[١] رضي الله عنه
فاتح محور الفرات من الرمادي حتى ملتقى الخابور بالفرات

هو الصحابي الجليل عمر بن مالك بن عتبة بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري، ابن عم والد سعد بن أبي وقاص، وكذا اسمه في تاريخ الطبري (١٤٣/٣)، وفي تاريخ دمشق، وفي أسد الغابة: عمر بن مالك بن عقبة بن نوفل ابن عبد مناف.

أسلم رضي الله عنه يوم فتح مكة وحسن إسلامه.

- **المجاهد القائد رضي الله عنه:**

اشترك بطلنا في حروب الردة، وقاتل المرتدين تحت لواء خالد بن الوليد، وسار مع خالد إلى العراق بعد انتهاء حروب الردة وقاتل معه هناك، ولما توجَّه خالد من العراق إلى الشام مددًا لأبي عبيدة رضي الله عنه كان عمر أحد الذين اختارهم خالد معه ليكون من رجاله الذاهبين إلى الشام، وقاتل مع خالد في كل معاركه في طريقه إلى الشام، وشهد اليرموك، وشهد فتح دمشق[٢].

«لما قدم على أبي عُبيدة كتاب عمر ـ بعد فتح دمشق ـ بأن اصرف جند العراق إلى العراق، وأمرهم بالحث إلى سعد بن مالك (سعد بن أبي وقاص)، فأمَّر على جند العراق هاشم بن عتبة، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى مجنبتيْه عمر ابن مالك الزهري، ورِبعي بن عامر، وصرفوا بعد دمشق نحو سعد»[٣].

---

(١) انظر ترجمته في «الإصابة» (٤/٤٨٩ـ ٤٩٠) ترجمة (٥٧٦٤)، و«أسد الغابة» (٤/١٧٣ـ ١٧٤) ترجمة (٣٨٤٦)، وتاريخ دمشق (٤٥/٣٣٢ـ ٣٣٤) ترجمة (٥٢٧٣).

(٢) أسد الغابة (١٧٣/٤)، وتاريخ دمشق (٣٣٢/٤٥).

(٣) تاريخ دمشق (٣٣٣/٤٥).

«واشترك بطلنا في معركة القادسية وكافة المعارك التي خاضها سعد بعدها حتى فتح المدائن، كما شهد معركة «جلولاء» تحت لواء هاشم بن عتبة، ولما رجع هاشم عن «جلولاء» إلى «المدائن»، وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة، فأَمدُّوا هرقل على أهل حمص، وبعثوا جندًا إلى «هيت»[١]، وكتب بذلك سعد إلى عمر، فكتب إليه عمر أن ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند، وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري، وعلى مجنبتيه ربعي بن عامر، ومالك بن حبيب، فخرج عمر بن مالك في جنده سائرًا نحو هِيت، وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل على من بهيت، وقد خندقوا عليهم، فأقام عليهم محاصرهم، فلما رأى عُمَرُ امتناعَ القوم بخندقهم واعتصامهم به استطال ذلك، فترك الأخبية[٢] على حالها[٣]، وخلَّف عليهم الحارث بن يزيد محاصرهم، وخرج في نصف الناس يعارض الطريق حتى يجيء قرقيسياء[٤] في غرَّة، فأخذها عنوة، فأجابوه إلى الجزاء، وكتب إلى الحارث بن يزيد إنْ هم استجابوا فَخَلِّ عنهم فليخرجوا، وإلَّا فخندِق على خندقهم خندقًا أبوابه مما يليك، حتى أرى من رأيي؛ ليسمحوا بالاستجابة، وانضم الجند إلى عمر، والأعاجم إلى أهل بلادهم»[٥]، ودخل المسلمون (هِيت) فاتحين.

وقال عمر بن مالك في ذلك:

قدمنا على هيت وهيتٌ مقيمةٌ ... بأبصارها في الخندق المُتَطوِّقِ

---

(١) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.

(٢) الأخبية: جمع خباء، وهو خيمة من وبر أو صوف ولا يكون من شعر، وهو على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت.

(٣) حتى لا يشعر المدافعون عن هيت بترك قسم من قوات المسلمين لحصارهم.

(٤) قرقيسياء: بلد عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات.

(٥) تاريخ دمشق (٤٥/٣٣٣-٣٣٤). وفي «فتوح البلدان» للبلاذري ص (١٧٩) أن الذي فتح قرقيسياء هو عياض بن غنم رضي الله عنه.

قتلناهم فيما يليه فأحجموا وعاذوا به عيذَ الدَّمِ المترقرِقِ
تجاوبُ فيما حولهم هامُ قومهم فأنكرَ أصوات النهوم المُنقنَقِ
وهُمْ في حِصارِ لا يريمون قعره حذارَ التي ترميهم بالتفرُّقِ
تركناهمُ والخوف حتى أقرَّهم وسِرْنا إلى قرقيسيا بالمنطق
جمعنا بها بين الفريقين فانتهوا إلى جزية بعد الدما والتحرُّق

وقال:

تطاولت أيامي بهيت فلم أحم وسرت إلى قرقيسياء سير حازمِ
فجئتهم في غرَّة فاجتزيتها على غبنٍ في أهلها بالصوارمِ
فنادوا إلينا من بعيد بأننا نؤدي إليكم خرجنا بالدراهِمِ
فقلنا هلموا بها وقرُّوا بأرضكم وإياكم أن توتروا بالمحارم
فأدُّوا إلينا جزية عن أكفِّهم وعدنا عليهم بالحلول العوازم
وسالمنا أهل الخنادق بعدهم وقد ذعروا من وقع تلك الملاحم

وقال عمر[1] أيضًا:

ونحن جمعنا جمعهم في حفيرهم بهيت ولم نحفل لأهل الحفائر[2]
وسرْنا على عمد نريد مدينة بقرقيسيا سيرة الكماة المساعر[3]
فجئناهم في دارهم بغتةً ضحى فطاروا وخَلوا أهل تلك المحاجِرِ
فنادوا إلينا من بعيدٍ بأننا ندين بدين الجزية المتواتر
قَبِلنا ولم نردد عليهم جزاءهم وخطناهم[4] بعد الجزا بالبواتِرِ[5]

---

(١) الأبيات التالية في «معجم البلدان» منسوبة إلى سعد بن أبي وقاص.
(٢) الحفائر: جمع حفرة، والمراد بها هنا الخندق، أي أننا لم نكترث لخنادقهم.
(٣) الكماة: جمع كميّ وهو الشجاع، والمساعر: جمع مسعر أي مهيج الحرب وملهبها.
(٤) الوخط: يُقال: وخطه الشيب، أي خالطه..، وهو أيضًا الطعن الخفيف أو النافذ والضرب بالسيف تناولا بذبابه... انظر «القاموس المحيط» (٢/٣٩٠).
(٥) تاريخ دمشق (٤٥/٣٣٣، ٣٣٤).

- **عُمر القائد:**

يقول اللواء الركن محمود شيت خطَّاب:

«لا يستطيع العسكري المختص الذي يدرس حركة عمر من (هيت) بنصف قواته إلى (قرقيسياء) بشكل مباغت وتركه نصف قواته للاستمرار في حصار (هيت)، ثم وصوله (قرقيسياء) على حين غرة مما أرغم المدافعين عنها للاستسلام، إلا أن ينحني إعجابًا لقيادة عمر ولقابليته الفائقة في إعداد الخطط العسكرية الدقيقة الصحيحة.

إن الدفاع عن (هيت) كان في الحقيقة هو الخط الأول للدفاع عن (قرقيسياء)، وكان المدافعون عنها يتوقعون أن يؤخروا المسلمين في حصارها مدة طويلة؛ لمناعة أرض (هيت) أولًا، ولتيسر خندق حول المدينة ثانيًا، مما يساعدهم على إطالة أمد الدفاع عنها، ولكن المسلمين تركوا قوة مناسبة من قوتهم وتحركوا إلى هدفهم الأصلي (قرقيسياء)، فاستطاعوا الوصول إليها في غرة مما اضطرها على الاستسلام، وبذلك تقرر مصير (هيت) سلفًا، وهو الاستسلام المحتوم.

ومما يزيدنا إعجابًا بقيادة عمر، أن خطته في تطويق (هيت) بقسم من قواته، والحركة بكتمان شديد بالقسم الباقي إلى (قرقيسياء) يطابق أحدث الأساليب العسكرية المتبعة في الوقت الحاضر، مما يدل على نضيج الفكرة العسكرية عند العرب قبل أربعة عشر قرنًا.

وخطة عمر هذه، تدل على تشبعه بروح (المباغتة) أهم مبدإ من مبادئ الحرب.

لقد كان عمر شجاعًا مقدامًا سريع القرار صحيحه، يثق بقواته وتثق به قواته، ويبادلهم حبًّا بحب، وكان ذا إرادة قوية ثابتة وشخصية نافذة متزنة، يتحمل المسئولية من دون تردد، ويتمتع بمزية سبق النظر والإبداع، وله ماض ناصع مجيد»[1].

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٠٠- ٤٠١).

إن من حقِّ هذا القائد العظيم أن يعرفه المسلمون، خاصة سكَّان المنطقة الشاسعة التي فتحها، وهي المنطقة الواقعة بين الرمادى حتى ملتقى خابور الفرات بنهر الفرات .. فرضي اللَّه عن القائد المغوار عمر بن مالك الزهري.



(٣٥٤) الصحابي الجليل القائد
الحارث بن يزيد العامري
فاتح «هيت» رضي الله عنه

صحابي جليل أسلم في عهد النبي ﷺ؛ إذ أنه تولى قيادة جيش إسلامي «وقد تقدَّم أنهم كانوا لا يُؤمِّرون إلا الصحابة»(١)، وخاصة أنه تولى القيادة في عهد عمر بن الخطاب الذي كان لا يرضى أن يتولَّاها غير أصحاب النبي ﷺ.

- **القائد المجاهد:**

الظاهر أن الحارث قام بأعمال لامعة في القتال، فاستحق أن يتولى القيادة لقسم من جيوش المسلمين مكافأة له في أعماله المجيدة.

إن القائد حينذاك يجب أن يكون صحابيًا؛ لأن الصحابي أقدم من غيره إسلامًا وأكثر تفهمًا له، ولكن عمر بن الخطاب لم يول كل الصحابة قيادات عسكرية، بل ولى تلك القيادات البارزين من الصحابة في جهادهم وفي مزاياهم العسكرية، لقد كان عمر يصرُّ على تيسير شروط معينة في القائد بالإضافة إلى صحبته للرسول، هذه الشروط واضحة في وصيته لقائد من قادته: «اسمع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعًا حتى تتبينَّ، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف»(٢).

تقدم في ترجمة الصحابي القائد عمر بن مالك أن الحارث بن يزيد العامري رضي الله عنه كان على مقدمة جيش عمر بن مالك لفتح هيت بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.. وأن عمر بن مالك لما رأى اعتصام أهل هيت خَلْفَ خنادقهم، ترك الأخبية على حالها وَخَلَّفَ عليهم الحارثَ بن يزيد يحاصرهم،

(١) الإصابة (٧٠١/١) ترجمة (٧٠١).

(٢) الطبري (٦٣١/٢).

وخرج في نصف الجيش إلى قرقيسياء، وكتب إلى الحارث بن يزيد إنْ هم - أي أهل هيت - استجابوا فخلِّ عنهم فليخرجوا وإلَّا فخندق على خندقهم خندقًا أبوابه مما يليك حتى أرى رأيي.

وأرسل الحارث إلى أهل «هيت» أنه سيمضي في حصارهم حتى النهاية، وأن الذين يريدون الانسحاب إلى أهلهم من المدافعين عن «هيت» يستطيعون أن يخرجوا بأمان، فلما أيقن هؤلاء المدافعون أنه الحصار حتى الموت، وأن أمامهم أن ينجوا إلى بلادهم إذا سلَّموا، فأجابوا الحارث إلى العَوْد إلى بلادهم[1]، فتركهم الحارث، ودخل الحارث هيت وضمها إلى بلاد المسلمين، وسار الحارث إلى عمر ابن مالك.

● **القائد الصبَّار:**

أبرز مزايا قيادة الحارث هو الصبر الجميل، إن العرب لم تكن تصبر على حرب الحصار، وقد كان عدد المشركين الذين حاصروا المدينة المنورة في غزوة (الخندق) عشرة آلاف راكب وراجل، وكان عدد المسلمين في تلك الغزوة ثلاثة آلاف رجل، ومع ذلك لم يستطع المشركون رغم تفوقهم الساحق عدديًّا على المسلمين أن يصبروا على حصار المدينة أكثر من شهر واحد، تفرقوا بعده خائبين.

إن مهمة الحصار تحتاج إلى قائد يتميز بالصبر والأناة والروية والانتباه الشديد إلى حركات عدوه وسكناته، والسهر المتواصل على مراقبة الطرق التقريبية المؤدية للعدو لحرمانه من وصول السلاح والعتاد والمواد الغذائية إليه؛ لأن الغفلة عن ذلك تؤدي إلى إطالة أمد الحصار، كما تحتاج إلى قوات مدربة تتميز بالضبط الشديد؛ لأن القوات غير المدربة المحرومة من الضبط يتسرب إليها الملل سريعًا، فلا تقوم بواجباتها في الانتباه واليقظة والسهر وتشديد الحصار، كما أنها تتسلل سرًّا

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٧٠).

وعلانية عائدة إلى مأمنها، وقد أظهر حصار (هيت) أن القائد وقطعاته كانوا يتمتعون بكل هذه المزايا بشكل مثالي.

وكان الحارث سريع القرار صحيحه، يثق بقطعاته وتثق قطعاته به، يتحمل المسئولية بلا تردد، يسبق النظر ويحسب لكل شيء حسابه، له شخصية قوية نافذة، وعزيمة صارمة، وماضٍ ناصع مجيد.

يكفي أن يذكر التاريخ عنه أنه فاتح (هيت) البلد العربي المسلم، الذي لم ترفرف عليه منذ (الحارث) غير رايات العرب والمسلمين، وسيبقى عربيًّا مسلمًا يذكر الحارث وجيش الحارث، ويذكر أن أهله اليوم هم أبناء أولئك الأبطال الفاتحين! [١].



(١) قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٠٥- ٤٠٦).

(٣٥٥) الصحابي القائد..
المثال العظيم لاستعلاء الإيمان أمام قائد الفرس رستم ..
وقائد المجنبة في جيش هاشم بن عتبة
وقائد المجنبة في الجيش الفاتح لهيت
ربعي بن عامر رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو رضي الله عنه، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ونال شرف الصحبة، «وقد تقدَّم غير مرَّة أنهم كانوا لا يُؤمِّرون إلا الصحابة»[١].

قال ابن حجر: «قال الطبري: كان عمر أمدَّ به المثنى بن حارثة، وكان من أشراف العرب، وللنجاشي الشاعر فيه مديح»[٢].

ولما توجه خالد بن الوليد مددًا لأبي عبيدة كان ربعي بن عامر من الرجال الذين اختارهم خالد ضمن جيشه الذي توجَّه معه من العراق إلى الشام، وقاتل مع خالد في كل معاركه في طريقه إلى الشام، وشهد اليرموك، وشهد فتح دمشق[٣]، ولما «قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بأن يصرف جُند العراق إلى العراق، وعليهم هاشم بن عتبة، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى مجنبته عمير بن مالك وربعي بن عامر»[٤].

وله المقام العظيم قبل موقعة القادسية: فقد دعا سعد جماعة ليرسلهم إلى رستم ومن معه «فقال له ربعي بن عامر: «إن الأعاجم لهم آراء وآداب، ومتى نأتهم جميعًا يروْا أنَّا قد احتفلنا بهم، فلا تزدهم على رجلٍ»، فمالئوه جميعًا على ذلك فأرسله وحده، فسار إليهم فحبسوه على القنطرة وأُعلم رستم بمجيئه، فاستشار

---

(١) ، (٢) الإصابة (٢/٣٧٨).
(٣) تاريخ دمشق (١٨/٤٩).
(٤) الإصابة (٢/٣٧٨).

عظماء فارس فقال: ما ترَوْن أنباهي أم نتهاون؟

فأجمع ملؤهم على التهاون، فأظهر زينته، وجلس على سرير من ذهب، وبسطَ البُسُطَ، والنمارق، والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي على فرسه، وسيفه في خِرْقَة، ورمحه مشدود بعصب وقدٍّ.

فلما انتهى إلى البُسُط، قيل له: انزل. فحمل فرسه عليها ونزل، وربطها بوسادتين شقَّهما، وأدخل الحبل فيهما فلم يستطيعوا أن ينهوْه وأروه التهاون، وعرف ما أرادوا، فأراد استحراجهم وعليه درع، وأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه بسلب فقالوا: ضع سلاحك.

فقال: لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فإنْ أبيتم أن آتيكم إلَّا كما أريد وإلَّا رجعت.

فأخبروا رستم فقال: ائذنوا له، هل هو إلَّا رجل واحد.

فأقبل يتوكأ على رمحه، ويقارب خطوه ويزجُّ النمارق والبسط فلم يدع لهم نمرقًا ولا بساطًا إلَّا أفسده وهتَّكه، فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركز رمحه على البسط، فقيل له: ما حملك على هذا؟

قال: إنَّا لا نستحب القعود على زينتكم هذه. فقال له ترجمان رستم ـ واسمه «عبود» من أهل الحيرة ـ: ما جاء بكم؟

قال: اللَّه جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولنخرج من يشاء من عِبَادِهِ من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمَنْ قَبِله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نُفضِي إلى الجنة أو الظفر. فقال رستم: قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخِّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم أيومًا، أو يومينْ؟ قال: بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ـ وأراد مقاربته ومدافعته ـ. فقال: وإنَّ مما سنَّ لنا رسول اللَّه ﷺ وعمل به أئمتنا أن لا

نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثًا، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: إما الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكفُّ عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابي.

قال: أسيِّدُهُم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يُجير أدناهم على أعلاهم.

فخلا رستم برؤساء قومه فقال: ما ترون؟ هل رأيتم كلامًا قط أعزَّ وأوضح من كلام هذا الرجل؟!

فقالوا: معاذ اللَّه أن نميل إلى دين هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: وَيْحَكم لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب تستخفُّ باللباس والمأكل، وتصون الأحساب ليسوا مثلكم»(١).

يالله.. تمرُّ الأيام والأعوام، وتزول الممالك والدول، وتبقى كلمات ربعي تتردد في مسمع التاريخ.. لصدقها، وعمقها، وعزة المسلم واستعلاء إيمانه التي ينطق بها كل حرف من حروفها «إن اللَّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عِبَادَةِ الْعِبَادِ إلى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» بهذا المذخور، وبهذا اليقين، وبهذا الاعتزاز النبيل بالدين العظيم.. فتح الأبطال مشارق الأرض ومغاربها..

وشارك ربعي البطل في معركة القادسية وأبلى فيها بلاء حسنًا، وكان على مجنبة جيش عمر بن مالك الزهري بأمر من أمير المؤمنين عمر لفتح «هيت».

وله ذكر أيضًا في موقعة «نهاوند».

وأمد عمر بن الخطاب الأحنف بن قيس لما أرسل إليه سهيل بن عدي دافعًا إليه

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (٢/ ٣١٠- ٣١٢).

لواء خراسان، أمدَّه بعلقمة بن النضر، وبعبد اللَّه بن أبي عقيل، وبربعي، وبابن أم غزال، فشهد ربعي مع الأحنف فتوح خراسان.

قال ربعي:

نحن وردنا من هراة مناهلا ... روا من المروين إنْ كنت جاهلا

وبَلْخ ونَيْسابور قد شقيت بنا ... وطوس ومرو قد أزرنا القبائلا

أنخنا إليها كورة بعد كورة ... نَقُصُّهمُ[1] حتى احتوينا المناهلا

فلله عينًا من رأى مثلنا معًا ... غداة أزرنا الخيل تركًا وكابلا[2]

لله درك يا ربعي.. طوبى لعين تكحلت برؤية أمثالكم.. ولله در أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حين يقول في الصحابة ـ وأنت من أشرافهم ـ: «إنهم في هذه الأمة كالملح لا يصلح الطعام إلا به»[3] ما صلحت الأمة واستقام أمرها إلا بربعي وإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم.

❀ ❀ ❀

(١) في «تاريخ دمشق» (١٨/٤٩): «نفضهم» بدلا من «نقصهم» التي وردت في الإصابة (٢/٣٧٨).

(٢) «تاريخ دمشق» (١٨/٤٩).

(٣) «الكامل» لابن الأثير (٢/٣٨٥).

(٣٥٦) الصحابي الشجاع.. قائد مجنبة الجيش لفتح هيت والفارس الذي لا يشق له غبار في القادسية مالك بن حبيب «أبو محجن الثقفي» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن حجر عن مالك بن حبيب: «قيل: هو اسم أبي محجن الثقفي»[١]، وقال ابن الأثير في «أسد الغابة» في ترجمة أبي محجن: «قيل: اسمه مالك بن حبيب»[٢].

«أسلم أبو محجن حين أسلمت ثقيف سنة تسع في رمضان، كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاعرًا حسن الشعر، ومن الشجعان المشهورين بالشجاعة في الجاهلية والإسلام، وكان كريمًا جوادًا، إلا أنه كان منهمكًا في الشرب لا يتركه خوف حدٍّ ولا لوم، وجلده عمر مرارًا، سبعًا أو ثمانيًا، ونفاه إلى جزيرة في البحر، وبعث معه رجلًا فهرب منه، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس، فكتب عمر إلى سعد ليحبسه، فحبسه»[٣].

وأخرج عبدالرزاق بسند صحيح، عن ابن سيرين: «كان أبو محجن الثقفي لا يزال يُجلَد في الخمر، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه، فلما كان يوم القادسية رآهم يقتتلون، فجعل أبو محجن يتمثل:

كفى حزنًا أن ترتدي[٤] الخيلُ بالقنا ... وأُترَكَ مشدودًا عَلَيَّ وثاقيا
إذا قمتُ عَنَّاني الحديدُ وغُلِّقتْ ... مصارعُ دوني قَدْ تَصُمُّ المنادِيَا

---

(١) الإصابة (٥/٥٣١).
(٢) أسد الغابة (٦/٢٧١) ترجمة رقم (٦٢٢٨).
(٣) أسد الغابة (٦/٢٧١).
(٤) في «أسد الغابة»: تردِيَ.

وقدْ كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخْوَةٍ فقدْ تركوني وَاحِدًا لا أَخَا لِيا
حُبِسنا عَنِ الحَرْبِ العَوَانِ وقدْ بَدَتْ وأعمالُ غَيْرِي يوم ذاك العَوَالِيا
فلِلَّهِ عَهْدٌ لا أخيس بِعَهْدِهِ لئِنْ فُرِجَتْ أن لا أزور الحوانيا

ثم قال لامرأة سعد[١]، وهي بنت حفصة: ويلك! خلِّينَى فلك اللَّه عليَّ إن سَلِمْتُ أن أجيء حَتى أضع رجلي في القيد، وإن قُتِلت استرحتم مني. فَخَلَّته، ووثب علي فرس لسعد يُقال لها: البلقاء. ثم أخذ الرمح وانطلق حتى أتى الناس، فجعل لا يحمل في ناحية إلا هزمهم الله، وسعد ينظر[٢]، فجعل يقول: الضَّبْرُ ضَبْرُ البلقاء، والظَّفْر ظَفْر أبي محجن[٣]، وأبو محجن في القيد. قال سعد: لولا أني تركْتُ أبا محجن في القيد لظننتها بعض شمائبه.

فلما هُزِم العدو رجع أبو محجن حتى وضع رجْله في القيد، فأخبرت بنت حفصة سعْدًا بالذي كان من أمره. فقال: لا أَجْلِدك في الخمر أبدًا[٤]. فقال أبو محجن: وأنا واللَّه لا أشربها أبدًا، قد كنت آنف أن أدعها من أجل جَلْدكم. فلم يشربها بعد».

قال ابن حجر في الإصابة (٣٠٢/٧): «أنكر ابن فتحون قَوْل مَنْ روى أن سَعْدًا أبطل عنه الحدَّ؛ قال: ولا يُظنُّ هذا بسعد. ثم قال: لكن له وجه حسن. ولم

---

(١) وفي أسد الغابة (٢٧٢/٦): «فلما سمعت سلمى امرأة سعد ذلك، رَقَّتْ له فخلّت سبيله، وأعْطته الفرس، فقاتل قتالا عظيمًا، وكان يكبِّر ويحمل فلا يقف بين يديه أحد، وكان يقصف الناس قصفًا منكرًا، فعجب الناس منه، وهم لا يعرفونه».

(٢) في رواية أبو أحمد الحاكم التي ساقها ابن حجر في الإصابة (٢٩٩/٧): «فجعل الناس يقولون: هذا مَلك، وسعد ينظر وجعل يقول...».

(٣) الضَّبْر: يُقال: ضَبَر الفرَس ضَبْرًا وضَبَرانًا إذا عدا، وفي المحكم: جمع قوائمه ووثب، وكذلك المقيَّدُ في عَدْوه قال الأصمعي: إذا وثب الفرس فوقع مجموعة يداه فذلك الضبر. لسان العرب (٢٥٤٧/٤) الظَّفْر: وثبة في ارتفاع كما يَطْفِر الإنسان حائطًا أي يَثِبُهُ. اللسان (٢٦٧٩/٤).

(٤) في رواية أبو أحمد الحاكم: «فقال: لا والله لا أحد اليوم رَجلا أَبْلَى الله المسلمين على يديْه ما أبلاهم. قال: فخلّى سبيله. فقال أبو محجن: لقد كنت أشربها إذْ كان يُقام عليّ الحدّ أطهر منها، فأما إذْ بَهْرَجْتني فوالله لا أشربها أبدا».

يذكره، وكأنه أراد أن سعدًا أراد بقوله: لا يجلده في الخمر بشرط أضمره؛ وهو إن ثبت عليه أنه شربها، فوفَّقه اللَّه أن تاب توبةً نصوحًا فلم يعد إليها».

نعم تاب توبة نصوحًا، وكانت العرب تعرف لأبي محجن «مالك بن حبيب» شجاعته، وعرف له ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فولَّاه قيادة مجنبة جيش المسلمين الذي فتح «هيت»؛ إذْ إنه لما اجتمعت جموع أهل الجزيرة، فأمدُّوا هرقل على أهل حمص، وبعثوا جُندًا إلى «هيت» وكتب بذلك سعد إلى عمر، فكتب إليه عمر أن ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند، وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري، وعلى مجنبتيه ربعي بن عامر، ومالك بن حبيب» وفتح هذا الجيش المبارك «هيت».

قيل إن ابنًا لأبي محجن دخل على معاوية، فقال له: أبوك الذي يقول:

إذا مِتُّ فادفِنِّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامِي بعد موتي عُروقُها

ولا تدفِنَنِّي بالفلاةِ فإنني ... أخافُ إذا ما مِتُّ أن لا أذوقها

فقال ابن أبي محجن: لو شِئتَ لقلتُ أحسن من هذا من شعره. قال: وما ذاك؟ قال قوله:

لا تسأل النَّاسَ عن مَالي وَكَثْرتِهِ ... وسائلِ النَّاسَ عن حَزْمِي وعن خُلُقِي

القومُ أعلمُ أني من سُرَاتِهِمُ ... إذا تطيشُ يدُ الرِّعديدَةِ[(١)] الفرَقِ

قد أركبُ الهولَ مسدولًا عساكِرُه ... وأَكْتُمُ السِّرَّ فيه ضربَةُ العُنُقِ

أُعطي السِّنَانَ غداة الرَّوْعِ حِصَّتَهُ ... وعَامِلُ الرُّمْحِ أَرْوِيه من العَلَقِ

عَفُّ المطالب عَمَّا لستُ نائِلَه ... وإنِ ظُلِمتُ[(٢)] شديدَ الحقدِ والحَنَقِ

وقد أجود وما مالي بذي فَنَعٍ ... وقد أَكُرُّ وراءَ المُجْحِرِ الفَرِقِ

قد يُعْسِر المرءُ حينًا وَهْوَ ذو كَرَمٍ ... وقد يثوبُ[(٣)] سَوَامَ العَاجِزِ الحَمِقِ

---

(١) الرعديدة: الجبان يرعد عند القتال جبنًا. اللسان (١٦٦٨/٣).

(٢) في الإصابة: «وإن طُلِبتُ».

(٣) في الإصابة: «وقد يسومُ».

سيكثر المالُ يومًا بعد قِلَّتِهِ ويكتسي العودُ بعد اليبْس بالورق

فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لئن كُنَّا أسأنا القول لنحسنن الصَّفَد[١]. وأجزل جائزته. وقال: إذا وَلدَت فلَتَلِدَنَّ مثلك[٢].

ومات البطل الشجاع الصحابي أبو محجن الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأذربيجان أو بجرحان.



(١) الصفد: العطاء. اللسان (٤/٢٤٥٧).

(٢) أسد الغابة (٦/٢٧٢).

(٣٥٧) الصحابي البطل
قائد ميسرة المسلمين في فتح تكريت
فرات بن حيّان العجلي[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو الصحابي فرات بن حيَّان بن عطية بن عبدالعزَّى بن حبيب بن حيَّة العجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حليف لبني سهم.

قال البخاري، وتبعه أبو حاتم: كان هاجر إلى النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ تَعَالَى عليه وعلى آله وَسَلَّمَ ـ. وزاد أبو حاتم: أنه كوفي. وقال البغوي: سكن الكوفة، وابتنى بها دارًا، وله عقب بالكوفة، وأقطعه أرضًا بالبحرين.

وذكره ابن سعد في طبقة أهل الخندق.

وكان عينًا لأبي سفيان في حروبه، ثم أسلم فحسن إسلامه.

وقال ابن حِبَّان: كان من أهدى الناس بالطريق.

وأسند ابن السكن عن عدي بن حاتم: أن فرات بن حيَّان أسلم، وفقه في الدين، وأقطعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرضًا باليمامة تغلُّ أربعة آلاف ومئتين[٢].

وروى الشيرازي في «الألقاب» عن شهاب بن زهير قال: هاجر إلى رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسة من بكر بن وائل، وأربعة من بني سدوس، وواحد من عِجْل؛ فأما السدوسيون فذكرهم إلى أن قال: وهوذة بن أحمر الحارثي؛ قال: وأما العجلي فهو فرات بن حيان[٣].

عن فرات بن حيَّان: أن رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بقتله، وكان عينًا لأبي سفيان،

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (٤٠/٦)، وحلية الأولياء (١٧/٢)، والإصابة ترجمة (٦٩٦٤)، وأسد الغابة ترجمة (٤٢٠٥).

(٢) الإصابة (٢٧٣/٥).

(٣) الإصابة (٤٣٨/٦).

وكان حليفًا لرجل من الأنصار، فمرَّ بحلقة من الأنصار، فقال: إني مسلم. فقال رجل من الأنصار: يا رسول اللَّه إنه يقول: إني مسلم. فقال رسول اللَّه ﷺ: «إن منكم رجالًا نكلهم إلى إيمانهم من فرات[1] بن حيَّان»[2].

قال أبو نعيم الأصفهاني في «الحلية»: «ذكره أبو عبدالرحمن السلمي في أهل الصفة. قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: ولم يزل يغزو مع رسول اللَّه ﷺ إلى أن توفي رسول اللَّه ﷺ»[3].

خَرَجَ أبو هريرة، وفرات بن حيَّان، والرجال بن عنفوة مِن عِند النبي ﷺ فقال: «لضرس أحدهم في النار أعظم من أُحُد، وإن معه لقَفَا غادر»[4].

قال فرات: فبلغنا ذلك، فما أَمِنَّا حتى صنع الرجَّال ما صنع، ثم قُتِل، فخرَّ أبو هريرة وفرات بن حيَّان ساجدَيْن شكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ.

وكان الرجَّال ارتد، وافتتن بمسيلمة، وقُتِل معه كافرًا[5].

قال ابن الأثير: «ولما أسلم حسن إسلامه، وفقه في الدين، وكرم على النبي ﷺ حتى إنه أقطعه أرضًا باليمامة تُغِلُّ أربعة آلاف، وسيَّره النبي ﷺ إلى ثمامة بن أُثال في قتل مسيلمة وقتاله»[6].

ـ قاتل تحت لواء خالد في العراق، وكان شديد الولاء لله ورسوله، فلما أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس، غضب

---

(١) في تهذيب الكمال (١٤٨/٢٣): «منهم: الفرات بن حيّان».

(٢) صحيح: رواه أبو داود في سننه (٢٦٥٢)، وأحمد في مسنده (٣٣٦/٤)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٩٧/٨)، والحاكم في المستدرك (٥١١/٢)، (٣٦٦/٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٠١). وكان هذا في سرية لزيد بن حارثة وكان فرات دليلا لقريش، فأصاب المسلمون العير، وأسروا فرات بن حيّان.

(٣) حلية الأولياء (٢٢/٢).

(٤) أسد الغابة (٣٣٦/٤).

(٥) الإصابة (٢٧٣/٥).

(٦) أسد الغابة (٣٣٦/٤).

لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس، واجتمعوا على أليس، وعليهم عبد الأسود العجلي، وكان مسلمو بني عجل منهم عتيبة بن النهاس، وسعيد بن مرة، وفرات بن حيَّان، ومذعور بن عديٍّ، والمثنى بن لاحق أشد الناس على أولئك النصارى[١]. وكانت تلك الموقعة العظيمة سنة ١٢هـ.

ـ وقاتل تحت راية المثنى بن حارثة الشيباني: سرَّح المثنى فرات بن حيان الثعلبي وعتيبة بن النهاس، وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب بصفينٍّ؛ ثم اتبعهما المثنى واستخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي، فلما دنوا من صفين فرَّ من بها وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفني الزاد الذي مع المثنى وأصحابه، فأكلوا رواحلهم إلى ما لا بد منه حتى جلودها، ثم أدركوا عيرًا من أهل دبَا وحَوْران فقتلوا من بها وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء وأخذوا العير، فقالوا لهم: دلونا.

فقال أحدهم: أمنوني على أهلي ومالي وأدلكم على حي من تغلب غذوت من عندهم اليوم. فأمَّنه المثنى وسار معهم يومه، فهجم العشي على القوم والنعم صادرة عن الماء وأصحابها جلوس بأفنية البيوت فبث غارته، فقتل المقاتلة وسبى الذرية واستاق الأموال.

وأُخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجع شاطئ دجلة، فخرج المثنى وعلى مجنبتيْه النعمان بن عوف، ومطر الشيبانيان، وعلى مقدمته حذيفة بن محصن الغلفاني، فساروا في طلبهم فأدركوهم بتكريت، فأصابوا ما شاءوا من النعم، وعاد إلى الأنبار، ومضى عتيبة وفرات ومَنْ معهما حتى أغاروا على صِفِّين وبها النمر وتغلب متساندين، فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم في الماء، فجعلوا ينادونهم الغرق الغرق، وجعل عتيبة وفرات يذمران الناس ويناديانهم تغريق بتحريق

(١) الكامل (٢/٢٤١).

يذكِّر أنهم يومًا من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قومًا من بكر بن وائل في غيضة من الغياض، ثم رجعوا إلى المثنى وقد غرَّقوهم، وقد بلغ الخبر عمر فبعث إلى عتيبة وفرات فاستدعاهما فسألهما عن قولهما، فأخبراه أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل، إنما هو مثل، فاستحلفهما وردَّهما إلى المثنى[(١)].

- **القائد البطل قائد الميسرة في فتح تكريت، والموصل:**

في سنة ست عشرة من الهجرة «فُتحت تكريت في جمادى، وسبب ذلك أن الأنطاق سار من الموصل إلى تكريت وخندق فيه عليه ليحمي أرضه، ومعه الروم، وإياد وتغلب، والنمر، والشهارجة، فبلغ ذلك سعدًا فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر أن سرِّح إليه عبدالله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي، وعلى ساقته هانئ بن قيس، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة، فسار عبدالله إلى تكريت، ونزل على الأنطاق فحصره ومن معه أربعين يومًا، فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفًا، وكانوا أهون شوكة وأسرع أمرًا من أهل جلولاء.

وقد مرَّ سابقًا ذكر فتح الموصل ونينوى في ترجمة ابن الأفكل، وكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم، وسهم الراجل ألف درهم، وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان، وبالفتح مع الحارث بن حسان إلى عمر[(٢)].

فرضي الله عن الصحابي الجليل فرات بن حيان العجلي الذي وكله النبي ﷺ إلى إيمانه.



(١) الكامل (٢/٢٩٣- ٢٩٤).

(٢) الكامل (٢/٣٦٧- ٣٦٨).

(٣٥٨) الصحابي الجليل
قائد الميمنة في فتح تكريت والموصل
الحارث بن حسان الذهلي رضي الله عنه

هو الصحابي الحارث بن حسَّان بن كَلَدَة البكري الذُّهْلي الرَّبَعي[(١)] كان قدومه على النبي ﷺ لإسلامه أيام بعث رسول اللَّه ﷺ في غزوة ذات السلاسل[(٢)]، وهو صاحب قَيْلة بنت مخرمة[(٣)].

---

(١) في تهذيب الكمال للمزي: (٥/٢٢٢): «العامري» قال مغلطاي معقبا: «وذهل وعامر لا يجتمعان في نسب إلا بطريق تجوّز، وأما الربعي، فبكر وذهل وربيعة لا تغاير بينهم، فإن، ذهل بن شيبان من بكر، وبكرا من ربيعة، فإذا قيل ذهلي، فهو بكري وربعي» وهذه الفائدة ذكرها قبله ابن الأثير في أسد الغابة (٦٠١/١) في معرض رده على ابن عبدالبر، وما أظن المزي إلا تابع ابن عبدالبر، والحق مع ابن الأثير ومغلطاي فيما ذهبا إليه.

(٢) السلاسل: جمع سلسلة ماء بأرض جُذَام، سُمِّيت به غزوة «ذات السلاسل».

(٣) هي العجوز التي ورد ذكرها في حديثه:

قال الحارث بن حسان: مررت بعجوز بالربَذَة منقطع بها من بني تميم، فقالت: أين تريدون؟ فقلنا: نريد رسول الله ﷺ فقالت:

(احملوني معكم، فإن لي إليه حاجة، قال: فحملتها، فلما وصلت دخلت المسجد وهو غاص بالناس فإذا راية سوداء تخفق، قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها، وبلال متقلّد السيف قائم بين يدي رسول الله ﷺ فقعدت في المسجد فلما دخل رسول الله ﷺ أذن لي، فدخلت، فقال: «هل كان بينكم وبين بني تميم شيء»؟ فقلت: نعم يا رسول الله، فكانت لنا الدائرة عليهم، ومررت على عجوز منهم، وها هي بالباب، فأذن لها، فدخلت فقلت: يا رسول الله، إنْ رأيت أن تجعل الدهناء حاجزا بيننا وبين بني تميم فافعل، فإنها قد كانت لنا مرة، قال: فاستوفزت(*) العجوز وأخذتها الحمية، وقالت يا رسول الله، فأين تضطر مضرك؟ قال: قلنا: يا رسول الله، إنا حملنا هذه ولا نشعر أنها كانت لي خصما؛ أعوذ بالله وبرسول الله أن أكون كما قال الأول، قال رسول الله: «وما الأول»؟ قال: على الخبير سقطت، قال سلام: هذا أحمق يقول لرسول الله ﷺ على الخبير سقطت! قال: فقال ﷺ: «هِية، يستطعمني الحديث» فأخبره عن حديث عاد وهود،

(*) الوَفَزة: أن ترى الإنسان مستوفزًا قد استقلّ على رجليه ولمّا يستوِ قائمًا وقد تهيأ للوفز والوثوب... اللسان (٤٨٨٢/٦).

ولقدكان هذا الصحابي البطل قائد ميمنة المسلمين في فتح تكريت والموصل بأمرٍ من أمير المؤمنين عمر إلى سعد بن أبي وقاص.. وكان للمسلمين الظفر والفتح.

عن سِمَاك بن حرب قال: تزوَّج الحارث بن حسَّان، وكانت له صحبة، وكان الرجل إذ ذاك إذا تزوَّج يخدر أيامًا فلا يخرج لصلاة الغداة، فقيل له: أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ قال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جَمْع لامرأة سوء[(١)].

قال ابن حجر: «ووقفت في «الفتوح» أن الأحنف لمَّا فتح خراسان بعث الحارث ابن حسان إلى سَرْخَس، فكأنه هذا»[(٢)].

فرضي الله عن الصحابي القائد الحارث بن حسَّان الذهلي.

وكيف هلكوا بالريح العقيم، وهو خبر ساقه أهل الأخبار وأهل التفسير (انظر مسند أحمد (٣/٤٨١-٤٨٢)، والبداية لابن كثير (٤/١٦٥).

وفي بعض روايات الحديث قال: فقلت: يا رسول الله، أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد»...

(١) الإصابة (١/٦٦٥)، وتهذيب الكمال (٥/٢٢٣): «وفيه: «إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة من جميع لامرأة سوء».

(٢) الإصابة (١/٦٦٥).

(٣٥٩) الصحابي الجليل فاتح الجزيرة وأول من أجاز الدَّرب زاد الراكب عياض بن غَنْم الفهري القرشي رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل أبو سعد عياض بن غنْم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة الفهري القرشي رضي الله عنه.

❑ **تنبيه:**

هناك اختلاف بين العلماء في عياض بن غنم، وعياض بن زهير، فمن العلماء من يجعلهما واحدًا ومنهم من جعلهما اثنين.

قال الذهبي في السير: «فأما عياض بن زهير الفهري، فبدري كبير، وهو عمُّ عياض بن غنم، يكنى أيضًا أبا سعد، توفي زمن عثمان في سنة ثلاثين»(١)، وقال قبلها عن عياض بن غنم: «ممن بايع بيعة الرضوان.. ومات في سنة عشرين بالشام»(٢).

وقال الحافظ في «الإصابة» في ترجمة «عياض بن زهير»: «ذكره موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وغيرهما فيمن هاجر إلى الحبشة، وفيمن شهد بدرًا.

وقال خليفة بن خيَّاط: يُقال إنه عياض بن غَنْم بن زهير المعروف في فتوح الشام؛ يعني أنه نسب إلى جده، ومال ابن عساكر إلى هذا(٣)، وقوَّاه بأن الزبير وعمه مصعب لم يذكرا إلا ابن غنم؛ وقد أثبت هذا ابن سعد تبعًا للواقدي؛ فإنه قال: عياض بن زهير ابن أخي عياض بن غنم بن زهير. وكذا جزم أبو أحمد العسكري بأن عياض بن غنْم غير عياض بن زهير».

---

(١)، (٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٥٥، ٣٥٤).

(٣) «تاريخ دمشق» (٤٧/٣٧٠) قال: «وهذا القول يدل على أنهما واحد، وهو الصواب».

قال في «أسد الغابة»: «وقد اختلف العلماء فيهما فمنهم من جعلهم اثنين، وجعل أحدهما عم الآخر، ومنهم من جعلهما واحدًا، وجعل الأول قد نُسِب إلى جده، ويكفي في هذا أن مصعبًا وعمه لم يذكرا الأول، وجعلاهما واحدًا، وأهل مكة أعلم بشعابها»(١).

ـ وعلى قول من جعلهما واحدًا ترجم ابن عساكر لعياض بن غنم فقال: «شهد بدرًا مع النبي ﷺ، وهاجر الهجرتين، وشهد فتوح الشام، واستخلفه أبو عبيدة بن الجراح عند وفاته، وله بالجزيرة فتوح أيضًا، وكان أميرًا باليرموك على بعض الكراديس، وشهد فتح دمشق»(٢).

ـ وعلى القول الثاني «له صحبة، أسلم قبل الحديبية، وشهدها، وكان بالشام مع ابن عمه أبي عبيدة، ويُقال: إنه كان ابن امرأته(٣)... وهو الذي فتح بلاد الجزيرة، وصالحه أهلها، وهو أول من أجاز الدرب في قول الزبير»(٤).

جهاده

- **في العراق:**

كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ بعد معركة اليمامة: «إن اللَّه فتح عليك، فعارق حتى تلقى عياضًا». وكتب إلى عياض وهو بين (النباج)(٥) والحجاز: «سِرْ حتى تأتي (المُصَيخ)(٦) فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها، وعبارق حتى تلقى خالدًا»(٧)؛ أي أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد إذ

(١) أسد الغابة (٤/٣١٦). (٢) تاريخ دمشق (٤٧/٢٦٤).

(٣) وفي تاريخ دمشق إن عياض كان خال سعد وابن عمه.

(٤) أسد الغابة (٤/٣١٥).

(٥) النباج: منزل لحجاج البصرة، وهو موضع بين مكة والبصرة، وهو من البصرة على عشرة مراحل.

(٦) المصيخ: مدينة بين حوران والقلت.

(٧) الطبري (٢/٥٥٣)، وابن الاثير (٢/١٤٧).

أمَّره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها، وإلى عياض إذ أمَّره على حرب العراق أيضًا أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى (الحيرة)، فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه[١].

واستمد عياض أبا بكر، فأمده برجل واحد هو عبد بن غوث الحميري[٢]، وهو من أبطال العرب، كما أمد خالدًا برجل واحد أيضًا هو القعقاع بن عمرو التميمي، وكتب إليه وإلى خالد: «استنفرا مَن قاتل أهل الردة ومَن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ولا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي»، فلم يشهد الأيام مرتد[٣].

وسار عياض إلى (دُوْمَة الجندل)[٤] ليخضع أهلها المتمردين، ثم يسير منها شرقًا إلى هدفه؛ ولكنه لم يستطع فتح (دومة الجندل)، فكتب إلى خالد بعد أن عجز عن فتحها يستمده على من بإزائه من العدو، وكان خالد حينذاك قد فرغ من فتح (عين التمر)[٥]، فسار سيرًا حثيثًا نحو عياض، فلما وصل (دومة الجندل) وجد عياضًا قد حاصر أهلها وحاصروه، وقد أخذوا عليه بالطريق وأشجوه وشُجوا به، فجعل خالد (دومة الجندل) بين عسكره وعسكر عياض.

وخرج أهلها لقتال المسلمين، ولكنهم لم يلبثوا أن انهزموا إلى الحصن، فلما امتلأ أغلق مَن فيه أبوابه دون أصحابهم وتركوهم عرضة للقتل والأسر.

وأطاف خالد بباب الحصن، ثم أمر به فاقتُلع، واقتحم المسلمون على من فيه وقتلوا كافة المقاتلة إلا أسارى بني كلب الذين أمنهم بنو تميم[٦].

---

(١) الطبري (٢/٥٥٤).

(٢) عبد بن غوث الحميري: بعثه أبو بكر إلى عياض لما استمده من العراق وشكا قلة من معه. راجع الإصابة (٥/١٠١).

(٣) الطبري (٢/٥٥٤)، وابن الاثير (٢/١٤٧).

(٤) دومة الجندل: حصن على سبع مراحل من دمشق، تقع بين دمشق والمدينة.

(٥) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له (شفاثا).

(٦) تاريخ الطبري (٢/٥٧٨- ٥٨٠).

وعاد خالد ومعه عياض إلى الحيرة، فاستخلفه عليها عندما خرج للقاء عدوه في (المصيخ)[1]؛ لأن الحيرة أصبحت القاعدة المتقدمة للمسلمين وحمايتها ضرورية لأمن قواتهم المقاتلة في ساحات القتال.

- **في الشام:**

استصحب خالد عياضًا إلى الشام عند نقله من منصب القائد العام في العراق إلى منصب القائد العام في الشام[2]، فشهد مع خالد كافة معاركه في طريقه إلى الشام، وكان أحد قادة كراديس الميسرة في معركة اليرموك[3].

قال ابن سعد: كان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك[4].

وفي فتح دمشق كان عياض على الخيل[5].

فلما فتحت دمشق، سار أبو عبيدة إلى فِحْل، واستخلف على دمشق يزيد بن أبي سفيان في خيله، وبعث خالدًا على المقدمة، وعلى الناس شرحبيل بن حسنة، وكان على المجنبتيْن أبو عبيدة، وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرجال عياض بن غنم[6].

وشهد عياض مع أبي عبيدة كافة معاركه في أرض الشام:

فقد كان معه في فتح «حلب» على مقدمة الجيش «فتحصن أهلها، وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم، فأُعطوا ذلك، واستثنى عليهم موضع المسجد، وكان الذي صالحهم عياض، فأجاز أبو عبيدة ذلك»[7].

---

(١) الطبري (٢/٥٨٠).
(٢) الطبري (٣/١٥٤).
(٣) الطبري (٢/٥٩٣).
(٤) السير (٢/٣٥٤).
(٥) الطبري (٢/٦٢٦).
(٦) الكامل (٢/٢٧٩).
(٧) الكامل (٢/٣٤٢).

وسار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية، وقد تحصَّن بها كثير من الخلْق من قِنَّسرين وغيرها، فلما فارقها لقيه جمع العدو فهزمهم وألجأهم إلى المدينة، وحاصرهم من جميع نواحيها، ثم إنهم صالحوه على الجلاء أو الجزية، فجلا بعضٌ وأقام بعض فأمَّنهم ثم نقضوا، فوجه أبو عبيدة إليهم عياض بن غنم، وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول، وكانت أنطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين، فلما فتحت كتب عمر إلى أبي عبيدة أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين، واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء.

وسار أبو عبيدة يريد قورس وعلى مقدمته عياض، فلقيه راهب من رهبانها يسأله الصلح، فبعث به إلى أبي عبيدة فصالحه على صلح أنطاكية.

ثم سار أبو عبيدة إلى منبج وعلى مقدمته عياض، فلحقه وقد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية، وسير عياضًا إلى ناحية دُلوك ورعبان فصالحه أهلها على مثل منبج، واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم[١].

وفي رواية: أن عياضًا عاد إلى العراق مع أهل العراق بعد فتح دمشق، فشهد القادسية تحت لواء سعد بن أبي وقاص[٢]. والراجح أنه عاد إلى العراق متأخرًا، وكان على الخيل عند تقدم المسلمين إلى «المدائن»، وشهد فتحها كما شهد معركة جلولاء[٣].

- **فاتح الجزيرة[٤]:**

لما قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من جند المسلمين بحمص سنة ١٧هـ، وكان المهيِّج للروم أهل الجزيرة، فلما سمع عمر بالخبر كتب إلى سعد أن

---

(١) الكامل (٢/٣٤٣).

(٢) الطبري (٣/٧٥) وهذه رواية مرجوحة، وخبر شهوده فتح حلب هو الراجح والروايات عنه متواترة.

(٣) الطبري (٣/٨٠).

(٤) الجزيرة: هي التي بين دجلة والفرات، تشتمل على ديار مضر وديار ربيعة، سُميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة ـ «معجم البلدان» (٣/٩٦).

أندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرِّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص، فإن أبا عبيدة قد أحيط به.

وكتب إليه أيضًا سرِّح سهيل بن عدي إلى الرقة، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، وأمَرَه أن يسرِّح عبدالله بن عبدالله بن عِتبان إلى نصيبين ثم ليقصد حرَّان والرّها، وأن يُسرِّح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وأن يسرِّح عياض بن غنم، فإن كان قتال فأمرهم إلى عياض.

فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب إلى حمص، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة وأخذوا طريق الجزيرة، وتوجَّه كل أمير إلى الكورة التي أمِّر عليها، وخرج عمر من المدينة فأتى الجابية مغيثًا يريد حمص.

ولما بلغ أهل الجزيرة الذي أعانوا الروم على أهل حمص ومن معهم خبرُ الجنود الإسلامية تفرَّقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم.

نزل سهيل على الرقة فأقام يحاصرهم حتى صالحوه، فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل وسط بين الجزيرة فقبل منهم، وصالحهم وصاروا ذمة.

وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلَّا إياد بن نزار، فإنهم دخلوا أرض الروم فكتب الوليد بذلك إلى عمر، ولما أخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض إليه سهيلًا وعبدالله، وسار بالناس إلى حرَّان، فلما وصل أجابه أهلها إلى الجزية فقبل منهم، ثم إن عياضًا سرَّح سهيلًا، وعبدالله إلى الرُّها فأجابوهما إلى الجزية، وأجروا كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمة، فكانت الجزيرة أسهل البلاد فتحًا، ورجع سهيلُ وعبدُالله إلى الكوفة، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضمَّ إليه عياض بن غنم إذا أخذ خالدًا إلى المدينة، فصرفه إليه[1].

---

(١) الكامل (٢/٣٧٦- ٣٧٨).

ـ قال ابن إسحاق: إن فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة. وقال: إن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إذا فتح اللَّه على المسلمين الشام والعراق فابعث جندًا إلى الجزيرة وأمِّر عليه خالد بن عرفطة، أو هاشم بن عتبة، أو عياض بن غنم. قال سعد: ما أخرَّ أمير المؤمنين عياضًا إلا لأن له فيه هوى أن أولِّيه وأنا مولَّيه. فبعثه وبعث معه جيشًا فيه أبو موسى الأشعري وابنه عمر بن سعد [وهو غلام حدث] ليس له من الأمر شيء، فسار عياض ونزل بجنده على الرُّها فصالحه أهلها مصالحة حرَّان، وبعث أبا موسى إلى نصيْبين فافتتحها، وسار عياض بنفسه إلى «دارا» فافتتحها، ووجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فقاتل أهلها فاستشهد صفوان بن المعطل، وصالح أهلها عثمان على الجزية عن كل أهل بيت دينار.

فعلى هذا القول تكون الجزيرة من فتوح أهل العراق، والأكثر على أنها من فتوح أهل الشام، فإن أبا عُبيدة سير عياض بن غنم إلى الجزيرة، وقيل: إن أبا عُبيدة لما تُوفي استخلف عياضًا فورد عليه كتاب عمر بولايته حمص، وقنسرين، والجزيرة فسار إلى الجزيرة سنة ثمان عشرة للنصف من شعبان في خمسة آلاف، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي، وعلى ميسرته صفوان بن المعطل، وعلى مقدمته هبيرة بن مسروق، فانتهت طليعة عياض إلى «الرَّقَّةِ» فأغاروا على الفلَّاحين وحصروا المدينة، وبث عياض السرايا فأتوه بالأسرى والأطعمة وكان حصرها ستة أيام فطلب أهلها الصلح فصالحهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم؛ وقال عياض: الأرض لنا قد وَطِئْناها ومَلكناها. فأقرها في أيديهم على الخراج ووضع الجزية، ثم سار إلى حَرَّان فجعل عليها عسكرًا يحصرها، عليهم صفوان بن المعطل، وحبيب بن مسلمة، وسار هو إلى الرُّها فقاتله أهلها، ثم انهزموا، وحصرهم المسلمون في مدينتهم؛ فطلب أهلها الصلح، فصالحهم وعاد إلى حرَّان فوجد صفوان وحبيبًا قد غلبا على حصون وقرى مِن أعمال حرَّان، فصالحه أهلها على مثل صلح الرُّها، وكان عياض يغزو ويعود إلى الرُّها وفتح سميساط، وأتى

سروج[١]، ورأس كيفا[٢]؛ والأرض البيضاء فصالحه أهلها على صُلح الرُّها، ثم إن أهل سميساط غدروا فرجع إليهم عياض فحاصرهم حتى فتحها، ثم أتى على قرَيَّات على الفرات وهي جسر منبج وما يليها ففتحها، وسار إلى رأس عين وهي «عين الوردة» فامتنعت عليه وتركها وسار إلى تل موزن ففتحها على صلح الرُّها سنة تسع عشرة، وسار إلى «آمِدْ»[٣] فحصرها فقاتله أهلها ثم صالحوه على صلح الرُّها، وفتح «مَيَّافارقين»[٤] على مثل ذلك، وكفرتوثا[٥]، فسار إلى نصيْبين فقاتله أهلها، ثم صالحوه على مثل صلح الرُّها، وفتح طور عَبدين، وحصن ماردين، وقصد الموصل ففتح أحد الحِصْنينْ، وقيل: لم يصل إليها. وأتاه بطريق الزوزان فصالحه، ثم سار إلى أرزن ففتحها.

ودخل «الدرب»[٦] فأجازه إلى «بدليس»[٧]، وبلغ خلاط[٨] فصالحه بطريقها، وانتهى إلى «العين الحامضة»[٩] من إرمينية، ثم عاد إلى الرقة، ومضى إلى حمص فمات سنة عشرين، وقيل: إن عياضًا أرسل عمير بن سعد إلى رأس عين ففتحها بعد أن اشتد قتاله عليها. ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة إلى ملطية ففتحها عنوة، ثم نقض أهلها الصلح، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة وجَّه إليها حبيب بن مسلمة أيضًا ففتحها عنوة ورتب فيها جُنْدًا من المسلمين مع عاملها[١٠].

---

(١) بلدة قريبة من حرّان.

(٢) رأس كيفا: هي من ديار مضر بالجزيرة قرب حرّان.

(٣) آمِد: هي من مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا.

(٤) مَيّافارقين: مدينة بديار بكر.

(٥) كفر توثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة.

(٦) الدرب: الطريق ما بين طرسوس وبلاد الروم لأنه مضيق كالدرب - «معجم البلدان» (٤/٤٨).

(٧) بدليس: بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط ذات بساتين كثيرة - «معجم البلدان» (٢/٩٠).

(٨) خلاط: بلدة عامرة مشهورة وهي قصبة أرمينية الوسطى - انظر معجم البلدان (٣/٤٥٣).

(٩) العين الحامضة: عين في أرمينية.

(١٠) الكامل (٢/٣٧٩- ٣٨٠).

وبذلك يكون عياض أول من أجاز «الدرب»[١] عبر الجزيرة إلى بلاد الروم، وبذلك مهَّد للفتح الإسلامي في أرمينية.

ـ قال ميمون بن مهران: الجزيرة كلها فتوح عياض بن غَنْم بعد وفاة أبي عبيدة، ولَّاه إياها عمر بن الخطاب، وكان أبو عبيدة استخلفه على الشام، فولى عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان، ثم معاوية من بعده الشام، وأمر عياضًا بغزو الجزيرة[٢].

ـ وقال سليمان بن عطاء القرشي: بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فمات أبو عبيدة وهو بها؛ فولاه عمر إياها بعد.

وعن سليمان بن عطاء قال: لما فتح عياض بن غنم الرُّها وكان أبو عبيدة وجَّهه، وقف على بابها على فرس له كميت، فصالحوه على أن هيكلهم وما حوله، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة إلا ما كان لهم، وعلى معونة المسلمين على عدوهم، فإن تركوا شيئًا مما شرط عليهم فلا ذمة لهم، ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرُّها.

جاء في كتاب عياض لأهل الرقَّة:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تُخرَّب ولا تسكن إذا أعطوا الجزية التي عليهم ولم يحدثوا مغيلة، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة، ولا بيعة، ولا يظهروا ناقوسًا، ولا باعوثًا، ولا صليبًا، وكفى باللَّه شهيدًا» وختم عياض بخاتمه.

وكتب عياض بن غنم لأسقف الرُّها:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرُّها، إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إليَّ عن كل رجل دينارَيْن ومديْ قمح

---

(١) الإصابة (٤/٦٣٠)، والاستيعاب (٣/١٢٣٤)، وأسد الغابة (٤/٣١٥).

(٢) النقولات هنا وما بعدها من «فتوح البلدان» للبلاذري ص (١٧٦). انظر ص (١٧٦- ١٨١).

فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم، وعليكم إرشاد الضَّال وإصلاح الجسور والطرق ونصيحة المسلمين، شهد اللَّه وكفى باللَّه شهيدًا».

قال الزهري: لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فُتِح على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنم، فتح حران، والرُّها، والرقة، وقرقيسيا، ونصيبين، وسنجار.

وعن ثابت بن الحجاج قال: فتح عياض الرقة، وحران، والرُّها، ونصيبين، وميافارقين، وقرقيسيا، وقرى الفرات ومدائنها صلحًا وأرضها عنوة.

وعن راشد بن سعد أن عياضًا افتتح الجزيرة ومدائنها صلحًا وأرضها عنوة.

قال عياض في فتح «الجزيرة»:

مَنْ مُبلِغُ الأقوامِ أن جموعنا ... حَوَتِ الجزيرة يوم ذات زحامِ
جمعوا الجزيرة والغياث فنفَّسوا ... عَمَّن بحمص غيابة القُدَّامِ
إن الأعزَّة والمكارم معشرٌ ... فضوا الجزيرة عن فراخ الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا ... عن غزو مَن يأوي بلاد الشام[1]

قال عبيداللَّه بن قيس الرقيَّات فيمن ذكر من أشراف قريش:

وعياضٌ مِنَّا عياضُ بن غَنْم ... كان من خير ما أجنَّ النساء[2]

قال محمد بن عياض: كان مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام، فلما حضرت أبا عبيدة الوفاة ولي عياض بن غنم الذي كان يليه. قال عمر بن الخطاب: مَن استخلف أبو عبيدة على عمله؟ قالوا: عياض بن غنم. فأقرَّه وكتب إليه: إني قد وليتك ما كان أبو عبيدة يليه، فاعمل بالذي يُحقُّ اللَّه عليك.

وقال الزهري: توفي أبو عبيدة، واستخلف خاله وابن عمه عياض بن غنم، فأقرَّه

---

(١) تاريخ الطبري (١٥٧/٣)، وتاريخ دمشق (٤٧/٢٧٥- ٢٧٦).

(٢) أجنت المرأة ولدا: أي أكنّته في بطنها. يريد خير من حملت النساء في بطونها والبيت في «نسب قريش» ص (٤٤٦) وعجزه: «عصمة الجارحين نُجبُ الوفاء».

عمر، وقال: لم أكن لأغيِّر أمرًا قضى فيه أبو عبيدة[١].

وأعطى عمر عياض بن غنم حين ولَّاه جند حمص كل يوم دينارًا وشاة ومُدًّا، ومات رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وما له مال ولا عليه دَيْن لأحد.

- **الكريم الجواد الحريص على مال المسلمين:**

قال إسماعيل بن عياش: كان يُقال له - يعني لعياض بن غنم -: «زاد الرَّاكِب» يُطعم الناس زاده، فإذا نفد نحر لهم بعيره[٢].

وعن ابن شهاب الزهري قال: توفي أبو عبيدة بن الجرَّاح، فَاسْتَخْلَفَ ابنَ عمه وخالَه عياضَ بن غنم، فقال رجل: كيف تقرُّ عياض بن غنم وهو رجل جواد لم يمنع شيئًا يُسْأَله، وقد يرغب خالد بن الوليد وإن كان يُعطي دونه؟ فقال: إن هذه سمة عياض في ماله حتى يخلص إليه ذلك، وإني مع ذلك لم أكن أُغيِّر أمرًا قضى فيه أبو عبيدة[٣] . أي أن سماحَ وجودَ عياض في ذات يده، فإذا بلغ مال اللَّه عَزَّوَجَلَّ لم يعط منه شيئًا.. لقد أعطى عياض وأنفق ماله بسخاء في سبيل الله، ومات يوم مات وهو القائد والأمير ولم يترك مالًا.

«كان عياض بن غنم رجلًا سمحًا، وكان يعطي ما يملك لا يعدوه إلى غيره، لربما جاءه غلامه فيقول: ليس عندنا ما تتغدَّون به. فيقول: خُذ هذا الثوب فبعْه الساعة فاشتر به دقيقًا. فيقول له: سبحان الله، أفلا تقترض خمسة دراهم من هذا المال الذي في ناحية بيتك إلى غدٍ ولا تبيع ثوبك؟! فيقول: واللَّه لأن أُدخل يدي في جحْر أفعى فتنال مني ما نالت أحبُّ إليَّ من أن أُطمع نفسي في هذا الذي تقول. فلا يزال يدفعُ الشيءَ بالشيءِ حتى يأتي وقت رزقه، فيأخذه فيوسع فيه،

---

(١) تاريخ دمشق (٤٧/٢٧٦-٢٧٧).
(٢) أسد الغابة (٤/٢٨)، و«تاريخ دمشق» (٤٧/٢٨١).
(٣) تاريخ دمشق (٤٧/٢٧٧).

فمن أدركه حين يأخذ رزقه غَنِم، ومن تركه أيامًا لم يجد عنده درهمًا واحدًا»[١].

وعن موسى بن عقبة قال:

«لما ولي عياض بن غَنْم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته ومعروفه، فلقيهم بالبشر فأنزلهم وأكرمهم، فأقاموا أيامًا، ثم سألوه في الصلة، وأخبروه بما تكلفوا من السفر إليه، رجاء معروفه، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير، وكانوا خمسة، فردُّوها واستخطوا ونالوا منه. فقال: أيْ بني عمٍّ، واللَّه ما أنكر قرابتكم ولاحقكم، ولا بُعد شُقَّتكم، ولكن واللَّه ما خلصت إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي، وبيع ما لا غنى إلي عنه، فاعذروني. قالوا: اللَّه ما عذرك الله، إنك لوالي نصف الشام، وتُعطي الرجلِ منا ما جهده أن يبلغه إلى أهله. فقال: فتأمروني أن أسرق مال الله، فواللَّه لأن أُشقَّ بالمنشار، أو أُبرى كما يُبرى السَّفَن[٢] أحبُّ إليَّ مِن أن أخون فِلْسًا، أو أتعدَّى وأحمل على مسلم ظلمًا، أو على معاهدٍ. قالوا: قد عذرناك في ذات يدك ومقدرتك، فولِّنا أعمالًا من أعمالك نؤدي ما يؤدي الناس إليك، ونصيب ما يصيبون من المنفعة، فأنت تعرف حالنا وأنَّا لَيس نعدو ما جعلتَ لنا. قال: واللَّه إني لأعرفكم بالفضل والخير، ولكنْ يبلغ عمر بن الخطاب أني قد ولَّيت نفرًا من قومي فيلومني في ذلك، ولست أحمل أن يلومني في قليل ولا كثير. قالوا: قد ولَّاك أبو عبيدة بن الجراح وأنت منه في القراتة بحيث أنت، فأنفذ ذلك عمر، ولوْ ولَّيتنا فبلغ عمر أنفذه. فقال عياض: إني لست عند عمر بن الخطاب كأبي عبيدة بن الجراح، وإنما أنفذ عمر عهدي على عمل لقول أبي عبيدة فيَّ، وقد كنت مستورًا عند أبي عبيدة، فقال فيَّ، وأعلم مني ما أعلم من نفسي ما ذكر ذلك عندي. فانصرف القوم لائمين لعياض بن غَنْم، ومات عياض يوم مات، وما له

---

(١) تاريخ دمشق (٤٧/٢٨٠).

(٢) السفن: الفأس العظيمة ـ راجع اللسان، وتاج العروس.

مال، ولا عليه دين لأحد»[١].

- **القائد:**

«كان حازمًا يحرص غاية الحرص على غرس روح الضبط والطاعة في نفوس رجاله، فقد ذكروا أنه جلد[٢] صاحب (دارا)[٣] حين فتحت، فأغلظ له هشام بن حكيم[٤] القول حتى غضب عياض، ثم مكث ليالي فأتاه هشام واعتذر إليه، ثم قال: ألم تسمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن من أشد الناس عذابًا أشدهم للناس عذابًا في الدنيا؟». فقال عياض: قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت. أو لم تسمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «من أراد أن ينصح لذي سلطان عامة فلا يبد له علانية ولكن ليخيل به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه!» وعلى الرغم من إعجابنا الشديد بالروح الإنسانية التي دفعت هشام بن حكيم للدفاع عن إنسان يعذبه الأمير ـ ولو كان هذا الإنسان في ساحة القتال وعلى غير دينه ـ، إلا أن ذلك من جهة ثانية يدل على حسن تصرف عياض في عدم إفساح المجال لتغلغل روح الاعتراض بين رجاله على تصرفاته مما يكون له أسوأ الأثر على الضبط والطاعة في ميدان القتال.

---

(١) تاريخ دمشق (٤٧/٢٨١ـ ٢٨٢).

(٢) كان الفاتحون يقضون قضاءًا مبرما على حياة أعدائهم عند فتح بلادهم، فإذا اكتفى عياض بالجلد فإن ذلك يعتبر رحمة منه بالنسبة لأعمال غيره من الفاتحين، ومع ذلك فلم يسكت بعض رجاله عن عمله هذا واعترضوا له.

(٣) دارا: بلد في لحف الجبل بين نصيبين وماردين، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٥).

(٤) هشام بن حكيم الاسدي القريشي: أسلم يوم الفتح ومات قبل ابيه وقيل أنه استشهد في معركة أجنادين. وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ـ ذكر مالك أن عمر بن الخطاب كان يقول إذا بلغه أمر ينكره: «أما ما بقيت أنا وهشام بن حكيم فلا يكون ذلك» وكان هشام في نفر من أهل الشام يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ليس لأحد عليهم إمارة، فكانوا يمشون في الأرض بالاصلاح والنصيحة يحتسبون.
وكان هشام ﵁ كالسائح لم يتخذ أهلا ولا ولدا. راجع الإصابة (٦/٢٨٥) والاستيعاب (٤/ ١٥٣٩).

لقد كان قائدًا عقائديًّا من الطراز الأول، ولكنه لم يكن يتحلى بروح (المباغتة) و(التعرض)، فبقي في حصار مستكِنَ حول دومة الجندل مدة طويلة، حتى أنقذه خالد من ورطته بالقضاء على مقاومة أهلها وفتحها بعد ذلك.

لقد كان عياض يثق برجاله ويثقون به، وكان موضع ثقة مرجعه الأعلى، فقد وثق به عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، كما كان يحب رجاله ويحبونه، بل كان يحب كل الناس ويؤثرهم بزاده على نفسه في أحرج الأوقات، وكان له ماض ناصع مجيد.

وكل أذان يرتفع من فوق مآذن الجزيرة يُذكِّر بالصحابة الفاتحين لهذا الإقليم وعلى رأسهم قائدهم، الكريم السمح، زاد الراكب، الزاهد، الصالح، الورع عياض ابن غنم رضي الله عنه ..

الذي اختاره أمين هذه الأمة للإمارة من بعده... فما ظنكم بمن اختاره الأمين!!!



(٣٦٠) العبد الصالح الزاهد الأمير صاحب رسول الله ﷺ «نسيج وحده» فاتح «رأس العين»[١] في أرض الجزيرة عمير بن سعد الأنصاري الأوسي رضي الله عنه

هو عمير بن سعد بن شُهَيد بن قيس بن النعمان بن عمرو بن أمية بن زيد الأوسي الأنصاري، وَنَسَبَهُ محمد بن سعد، والواقدي، وتبعهما ابن عبدالبر، بأنه: «عمير بن سعد بن عُبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية، وكان أبوه ممن شهد بدرًا، وهو سعد القارئ، وهو الذي يروي الكوفيون أنه أبو زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وقُتل سعد بالقادسية شهيدًا، وصحب ابنه عمير بن سعد النبي ﷺ، وولَّاه عمر بن الخطاب على حمص»[٢].

وقيل: إن ذلك وهم. والصحيح الأول[٣].

قال ابن الأثير: «زعم أهل الكوفة أن أبا زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ اسمه سعد، وأنه والد عمير هذا...

«وما أبعد قول من يقول إنه والد عُميْر هذا من الصواب، فإن أبا زيد قال أنس: «هو أحد عمومتي» وأنس من الخزرج، وهذا عمير من الأوس فكيف يكون ابنه؟!»[٤].

كان من زهاد الصحابة وفضلائهم.. نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد

---

(١) رأس العين: والأصح «رأس عين»، وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا، وقريب من ذلك بينها وبين حران، وفي رأس عين عيون كثيرة تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور. انظر «معجم البلدان» (٤/٢٠٦).

(٢) طبقات ابن سعد (٤/٣٧٤) الطبقة الثالثة.

(٣) انظر: تهذيب الكمال (٢٢/٣٧٥).

(٤) أسد الغابة (٤/٢٨١).

تحت لواء رسول اللَّه ﷺ «قال أبو عمر: عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري، هو الذي كان الجلاس بن سويد زوج أمه، وقد ربَّى عميرًا وأحسن إليه، فسمعه عمير في غزوة تبوك وهو يقول: إن كان ما يقول محمد حقًّا لنحن شرٌّ من الحمير. فقال عمير: أشهد أنه لصادق، وأنك شر من الحمير. قال: واللَّه إني لأخشى إن كتمتها عن النبي ﷺ أن ينزل القرآن، وأن أُخلَط بخطيئة، ولنِعْمَ الأب هو لي. فأخبر النبي ﷺ فدعا رسول اللَّه ﷺ الجُلَّاس فعرَّفه فتَحَالَفَا، فجاء الوحي فسكتوا - وكذلك كانوا يفعلون -، فرفع رسول اللَّه ﷺ رأسه وقرأ: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ فقال الجلاس: أتوب إلى الله. ولقد صدق.

وكان الجلاس قد حلف أن لا ينفق على عمير، فراجع النفقة عليه توبة منه، فما زال عمير في علياء بعد هذا حتى مات[1].

صحب رسول اللَّه ﷺ ولم يشهد شيئًا من المشاهد[2].

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علمًا في الزهد، فزهاد الأنصار ثلاثة: أبو الدرداء، وشداد بن أوس بن ثابت بن أخي حسان بن ثابت بن المنذر، وعُميْر بن سعد بن شهيد[3].

قال محمد بن سيرين: كان يعجب عمر بن الخطاب، فكان من عجبه به يسميه: «نسيج وحده»[4].

وعن عبدالرحمن بن عمير بن سعد قال: قال لي ابن عمر: «ما كان من المسلمين رجل من أصحاب النبي ﷺ أفضل من أبيك» وفي رواية: «قال لي ابن عمر: ما كان بالشام أفضل من أبيك»[5].

---

(١) أسد الغابة (٤/٢٨١- ٢٨٢). وجعل ابن منده وأبو نعيم هذه القصة في عمير بن عبيد

(٢) تاريخ دمشق (٤٦/٤٨١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر الإصابة (٤/٥٩٦)، وتاريخ دمشق. وقال البغوي في معجم الصحابة: كان يقال له «نسيج وحده».

(٥) أخرجه ابن منده بسند حسن - انظر الإصابة (٤/٥٩٦).

جهاده

شهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتح دمشق[١]، وشهد فتوح الشام[٢].

وفي «فتوح البلدان»: «أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عياض يأمره أن يوجه عمير بن سعد إلى «عين الوردة»[٣] فوجهه إليها، فقدم الطلائع أمامه فأصابوا قومًا من الفلَّاحين وغنموا مواشي من مواشي العدو، ثم إن أهل المدينة غلَّقوا أبوابها ونصبوا العرادات فقُتِل من المسلمين بالحجارة والسهام بَشر، واطلع عليهم بطريق من بطارقتها فشتمهم وقال: لسنا كمن لقيتم بها. ثم إنها فتحت بعد على صلح».

وروى البلاذري بسنده: «امتنعت «رأس العين» على عياض بن غنم، ففتحها عمير بن سعد وهو والي عمر على الجزيرة بعد أن قاتل أهلها قتالا شديدًا، فدخلها المسلمون عنوة، ثم صالحوهم بعد ذلك على أن دفعت الأرض إليهم، ووُضعت الجزية على رءوسهم على كل رأس أربعة دنانير، ولم تُسب نساؤهم ولا أولادهم»[٤].

ولما فتح عمير (رأس عين) سَلَكَ الخابور وما يليه حتى أتى (قَرْقِيسْياء)[٥] وقد نقض أهلها، فصالحهم على مثل صلحهم الأول، ثم أتى حصون الفرات حصنًا حصنًا ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسياء ، ففتح ثانية (عانات)[٦]،

---

(١) تاريخ دمشق (٤٦/٤٧٨).

(٢) الإصابة (٤/٥٩٦).

(٣) عين الوردة: هي رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة ... راجع «معجم البلدان».

(٤) «فتوح البلدان» ص (١٨١).

(٥) قرقيسياء: بلد عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات. راجع معجم البلدان (٧/٥٩).

(٦) عانات: قرى عانات سميت بثلاثة أخوة من قوم عاد، خرجوا هربًا فنزلوا تلك الجزائر فسميت بأسمائهم، وهم: ألوس وسالوس وناروس، فلما نظرت العرب إليها، قالت: كأنها عانات، أي قطع من الضباء. انظر معجم البلدان (٦/١٠١). وهي مدينة عانة على الضفة الغربية من الفرات مقابل مدينة: راوه بينهما نهر الفرات.

و(الناوُوسة)[١]، و(آلوُسة)[٢]، وفي (هِيت)[٣] وجد عمار بن ياسر وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة، وقد بعث جيشًا يستغزي المنطقة الكائنة شمالي (الأنبار) وعليه سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري، فانصرف عمير إلى (الرقة)[٤].

وكتب عمير إلى عمر بن الخطاب، يعلمه أنه أتى شق الفرات الشامي ففتح (عانات) وسائر حصون الفرات، وأنه أراد مَنْ هناك من بني تغلب على الإسلام فأبوه وهموا باللحاق بأرض الروم، وسأله رأيه فيهم، فكتب إليه عمر يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل سائمة وأرض، فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة وقالوا: «أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج، فإنا نرضى ونحفظ ديننا»[٥].

ولَّاه عمر بن الخطاب الجزيرة[٦] فبنى المساجد في ديار مضر وديار ربيعة[٧]، ثم ولاه حمص، وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معجبًا به أيما إعجاب، يقول عنه: «وددت أن لي رجالًا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين»[٨].

خطب معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على منبر حمص، وهو أمير عليها وعلى الشام كلها فقال: «واللَّه ما علمتُ يا أهل حمص، أن اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ ليسعدكم بالأمراء الصالحين، أوَّلُ من وَلِيَ عليكم عياض بن غنم، وكان خيرًا

(١) الناووسة: من قرى هيت. انظر معجم البلدان (٨/٢٤٢).

(٢) آلوسه: وهي: ألوس، اسم رجل سميت به البلدان على الفرات قرب عانات. انظر معجم البلدان (١/ ٣٢٦).

(٣) هيت: بلدة على الضفة الغربية من الفرات شمالي الانبار. انظر معجم البلدان (٨/٤٨٦) وهي مدينة بين الرمادي وعانة غربي الفرات تمتاز بالقير والكبريت.

(٤) البلاذري ص (١٨٣).

(٥) فتوح البلدان للبلاذري ص (١٨٦).

(٦) المصدر السابق ص (١٨١).

(٧) المصدر السابق ص (١٨٢).

(٨) الإصابة (٤/٥٩٦).

مني، ثم ولي عليكم سعيد بن عامر بن حِذْيَم، وكان خيرًا مني، ثم ولي عليكم عُمَير بن سعد، ولَنِعْمَ العُمَير، وكان ثَمَّ هنا، فإذا قد وليتكم فستعلمون»[(١)].

وذكر محمد بن عمر الأسلمي أن أول من أجاز الدرب من المسلمين عُمير بن سعد الأنصاري، قال: وغيرنا يقول: العنسي؛ يعني: ميسرة بن مسروق[(٢)].

كان عُميرﷺ يقول ـ وهو أمير على حمص ـ: «ألا إن الإسلام حائط منيع، وباب وثيق، فحائط الإسلام العدل، وبابه الحق، فإذا فُرِض[(٣)] الحائط، وحُطِم الباب استُفتح الإسلام، فلا يزال منيعًا ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلًا بالسيف، ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق، وأخذًا بالعدل»[(٤)].

مات عمر بن الخطابﷺ وعمير على حمص وقنسرين، ثم مرض في إمارة عثمان بن عفان فاستعفاه واستأذنه في الرجوع إلى أهله، فأذن عثمان، وضم عمله إلى معاوية بن أبي سفيان[(٥)]، فمات عُمير في أيام عثمان[(٦)] حوالي سنة إحدى وثلاثين هجرية؛ لأنه استقال من منصبه بحمص خلال هذا العالم لإصابته بمرض طال به[(٧)]، أي أن وفاته كانت سنة (٦٥١م)، وقد سكن الشام ومات بها[(٨)].

روى عن النبيﷺ[(٩)] وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة[(١٠)]، وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والزهد والكفاية العسكرية والإدارية، وكان ذكيًا

---

(١) تاريخ دمشق (٤٨٧/٤٦).

(٢) نفس المصدر.

(٣) وعبد ابن سعد: نقض.

(٤) تاريخ دمشق (٤٨٨/٤٦).

(٥) الطبري (٣٣٩/٣).

(٦) الإصابة (٥٩٦/٤) كما ورد أنه توفى أيام عمر، وهذا لم يثبت.

(٧) الطبري (٣٣٩/٣).

(٨) الاستيعاب (١٢١٧/٣).

(٩) طبقات ابن سعد (٤٠٢/٧).

(١٠) أسد الغابة (١٤٤/٤)، وأصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم ـ لابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة.

نابهًا رزينًا صادقًا وفيًّا كريمًا مضيافًا.

- **القائد:**

«كان عمير شجاعًا مقدامًا ومقاتلًا رهيبًا؛ إذ لم تصده مناعة المنطقة التي يقاتل فيها ومناعة المدينة التي يحاصرها، والأسلحة الفتاكة المتفوقة التي كانت متيسرة لدى عدوه، كما لم تصده استماتة هذا العدو وعناده في الدفاع عن مدينتهم المحصنة المنيعة، لم يصده كل ذلك عن فتح تلك المدينة التي استعصى فتحها على القادة من قبله.

لقد كان صحيح القرار، يتحمل المسئولية الكاملة، وكان يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبونه، وكان ذا شخصية قوية محبوبة وإرادة صلبة نافذة وحزم لا يعرف المداورة واللين، وكان ذا نفسية رصينة لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار، وكان يتحلى بمزية سبق النظر، وله ماض مشرف مجيد.

وكان (يختار مقصده ويديمه)، تسيطر عليه روح (التعرض) و(المباغتة) ويعمل على (تحشيد قوته) و(يقتصد بالمجهود)، وذلك باتخاذ تدابير (الأمن) لسلامة قواته وتأمين (التعاون) بينها وبين قوات المسلمين الأخرى وداخل صفوفها بالذات؛ لهذا كان يعمل على (إدامة المعنويات) وتهيئة كافة الأمور الإدارية لقواته، وتلك هي أهم مبادئ الحرب الخالدة التي طبقها عُمَير في حركاته العسكرية، لقد كان «نسيج وحده» في القيادة - أيضًا»[(١)].

فرضي الله عن القائد الزاهد، «نسيج وحده» المخلص لربه ولعقيدته، لا يسكت عمن يريدها بضرر أو شر حتى لو كان أقرب المقربين إليه، وأكثر الناس فضلًا عليه.

رَضِيَ اللَّهُ عَمَنْ هانت عليه الدنيا بقصورها وحشمها وخدمها فعاش مجاهدًا، وقائدًا فاتحًا، وأميرًا زاهدًا... إذا تمنّى الناس الدنيا ومتاعها تمنى عمر بن الخطاب مثله ليوليه أعمال المسلمين.. رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصحابي عمير بن سعد الأنصاري.

* * *

---

(١) «قادة العراق والجزيرة» لمحمود شيت خطاب ص (٥١٨- ٥١٩).

(٣٦١) الصحابي القائد والبطل الفاتح عبدالله بن عبدالله بن عتبان الأنصاري[١] رضي الله عنه فاتح نَصِيبَيْنْ[٢] والرُّها[٣] وأصبهان[٤]

هو الصحابي الجليل عبدالله بن عبدالله بن عتبان الأنصاري من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار حليفًا لبني الحبلى «من بني أسد بن خزيمة»[٥].

أما عبدالله بن عتبان فقد قال عنه ابن حجر: «عبدالله بن عتبان الأنصاري من بني أسد بن خزيمة حليف بني الحُبلى من الأنصار، ذكره موسى بن عقبة فيمن استشهد باليمامة[٦]، وقال عنه ـ أيضًا ـ: «كأنه والد هذا[٧]. فالله أعلم»[٨].

جهاده

جاهد الصحابي الجليل في حروب الردة، وقُتِل والده في حروب اليمامة، ولبلاء الصحابي الابن البلاء الحسن في هذه الحروب أمر عمر بن الخطاب بتوليته قيادة جيش من جيوش المسلمين، وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص:

---

(١) في الطبري (٣/١٥٩)، والإصابة (٤/١٣٥)، وأسد الغابة (٣/٢٩٩) ورد اسم بطلنا بأنه عبدالله بن عبدالله بن عتبان فاتح نصيبين، خلافًا لما ذكره الدكتور محمد حسين هيكل في كتاب «الفاروق عمر» (١/٢٢٦) من أن اسمه عبدالله بن عتبان. والصحيح الأول.

(٢) نصيبين: مدينة كبيرة ببلاد الجزيرة.

(٣) الرها: مدينة في الجزيرة.

(٤) أصبهان أو أصفهان: مدينة عظيمة كانت عاصمة إقليم من أقاليم العراق العجمي يطلق عليه اسمها. وكانت تتألف من مدينتين متجاورتين: جي واليهودية. وجي هي القصبة واختارها الملوك سكنا لهم.

(٥) انظر الكامل «لابن الأثير» (٢/٤٢٢).

(٦) الإصابة (٤/١٤١).

(٧) أي والد عبدالله بن عبدالله بن عتبان.

(٨) الإصابة (٤/١٣٥).

«سرِّح سهيل بن عدي إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، وأمره أن يسرَّح عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى نصيبين ثم ليقصد حَرَّان والرُّها»[١].

«وخرج عبدالله بن عبدالله بن عتبان على الموصل إلى نصيْبين فلقوه بالصلح، وصنعوا كما صنع أهل الرقة مع سهيل بن عدي، فكتبوا إلى عياض فقبل منهم وعقد لهم، ولما أخذوا الرقة ونصيبين، ضم عياض إليه سهيلًا، وعبدالله، وسار بالناس إلى حرَّان، فلما وصل أجابه أهلها إلى الجزية فقبل منهم، ثم إن عياضًا سرَّح سهيلًا، وعبدالله إلى الرُّها فأجابوهما إلى الجزية وأجروا كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى[٢] الذمة، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحًا، ورجع سهيل، وعبدالله إلى الكوفة».

ولما عاد عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى الكوفة كان نعم الوزير لسعد بن أبي وقاص في إنجاز ما أنيط به من مهام تعجز دونها العصبة أولو القوة من الرجال، واستخلفه سعد على الكوفة لما استدعاه عمر إلى المدينة، فأقرَّه عمر على الكوفة بعد عزل سعد، واستعمله[٣].

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في فتح «نصيبين»:

ألا مَنْ مبلغٌ عني بجيرًا	**فما بيني وبينك من تعادي**
فإن تقبل تلاقي العدل فينا	**فأنسى ما لقيتُ من الجهاد**
وإن تدبر فما لك من نصيب	**نصيبين فتحلق بالعباد**
وقد ألقت نصيبين إلينا	**سواد البطن بالخرج الشداد**

(١) الكامل (٢/٣٧٦). وفيه أن يسرّح عبدالله بن عِتبان والصحيح عبدالله بن عبدالله بن عتبان. وفيه أيضًا أن عمر كتب إلى أبي عبيدة وليس إلى سعد.
وقد قال ابن الأثير في الكامل (٢/٣٧٩) «والأكثر على أن الجزيرة من فتوح أهل الشام».

(٢) الكامل (٢/٣٧٦-٣٧٧).

(٣) الطبري (٣/٢٠٩)، والكامل (٢/٤١٢).

لقد لقيت نصيبين الدواهي بدهم الخيل والجرد الوراد[١]

وكتب إليه ليستنفر أهل الكوفة إلى النعمان بن مُقَرِّن المُزَني، فأرسل عبدالله من الكوفة إلى النعمان جيشًا بقيادة حذيفة بن اليمان[٢]، فكان لهذا الجيش أثر كبير في انتصار المسلمين على الفرس في معركة (نهاوند) الحاسمة.

- **الفاتح لأصبهان سنة ٢١هـ:**

بعث عمر إلى أصبهان عبدالله بن عبدالله بن عتبان وكان شجاعًا من أشراف الصحابه ومن وجوه الأنصار، وأمدَّه بأبي موسى، وجعل على مجنبتيه عبدالله بن ورقاء الرياحي، وعصمة بن عبدالله، فساروا إلى نهاوند، وسار عبدالله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان، وعلى جندها «الاستندار»، وعلى مقدمته شهر بزار بن جاذويه[٣] شيخ كبير في جمع عظيم، فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق[٤] لأصبهان، فاقتتلوا اقتتالًا شديدًا، ودعا الشيخ إلى البراز فبرز له عبدالله بن ورقاء الرياحي فقتله وانهزم أهل أصبهان، فسُمِّي ذلك الرستاق رستاق الشيخ إلى اليوم، وصالحهم الاستندار على رستاق الشيخ، وهو أول رستاق أخذ من أصبهان.

ثم سار عبدالله إلى مدينة «جَيٍّ»[٥] وهي مدينة أصبهان، فانتهى إليها والملك بأصبهان «الفاذوسفان»[٦] وحاصرها[٧].

حاصر المسلمون الفرس المحتمين بأسوار أصبهان المنيعة الشاهقة، والمتحصنين

---

(١) معجم البلدان (٨/٢٩٣).

(٢) الطبري (٣/٢١٣).

(٣) اسمه في الفارسية «شهريار»، وكان من أبطال الفرس المعدودين.

(٤) الرستاق: مجموعة من القرى.

(٥) جيّ: قصبة أصبهان وتُسمّى الآن: شهرستان.

(٦) هو لقب يطلق على أربعة أشخاص فقط من الفرس هم حكام الدولة الفارسية.

(٧) الكامل (٢/٤٢٢).

بقلاعها المتينة الشامخة، وطال الحصار كثيرًا، فخرج الفرس واصطف الجيشان للقتال، ولكن قائد الفرس بعث إلى عبدالله يقولِ:

«لا تقتل أصحابي ولا أقتل أصحابك، ولكن ابرز لي فإن قتلتك رجع أصحابك، وإن قتلتني سالمك أصحابي - وإن كان أصحابي لا تقم لهم نشابة»، فبرز له عبدالله وقال لقائد الفرس: «إما أن تحمل عليَّ وإما أن أحمل عليك!»، فقال الفارسي: «أحْمِلُ عليك»، فوقف له وحمل عليه قائد الفرس وطعنه طعنة أصابت سرج فرسه فكسرته، فوقع عبد الله ثم استوى على الفرس عريًا من دون سرج وقال لخصمة: «اثبت!» ولكن خصمه استكان بعد أن عرف أنه الموت الزؤام، وقال لعبدالله: «ما أحب أن أقاتلك، فإني قد رأيتك رجلًا كاملًا، ولكن أرجع معك إلى عسكرك فأصالحك وأدفع المدينة إليك على أن من شَاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله، وعلى أنْ تجري من أخذتم أرضه مجراهم ويرجعون، ومَن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه»، فأقرَّ عبدالله هذا الصلح على هذه الشروط[١]. وكان عبدالله قارئًا كاتبًا، وهو الذي تولى كتابة وثيقة الصلح من المسلمين وبين أهل مدينة «جيٍّ»[٢].

وقدم أبو موسى على عبدالله من ناحية الأهواز وقد صالح القوم، فخرج القوم من جَيٍّ ودخلوا في الذمة إلا ثلاثين رجلًا من أصبهان خالفوا قومهم وتجمعوا ولحقوا بكرمان، ودخل عبدالله، وأبو موسى جَيًّا، وكتب بذلك إلى عمر[٣]،

---

(١) الطبري (٣/٢٢٤)، ومن أراد الاطلاع على نص وثيقة الصلح بين الطرفين فليراجع الطبري (٣/ ٢٢٥). أما البلاذري في ص (٣٠٨) فيذكر أن فاتح أصبهان عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهذا غير صحيح، لأن عبدالله الخزاعي كان له أربع وعشرون سنة من العمر يوم قتل في (صفين) فكان في أيام عمر بن الخطاب صبيا. انظر الطبري (٣/٢٢٣). ويذكر البلاذري أيضًا أن فاتحها هو أبو موسى الأشعري، والصحيح أنه شهد فتحها مددًا لعبدالله بن عبدالله بن عتبان. انظر الطبري (٣/٢٢٥) ومعجم البلدان (١/٢٨٣).

(٢) أسد الغابة (٣/٢٩٩).

(٣) الكامل (٢/٤٢٢).

وبذلك أنجز المسلمون فتح كافة منطقة أصبهان[١].

- **عبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان مدد لسهيل بن عدي في فتح «كرمان»:**

قرر عمر بن الخطاب أن يرسل ابن عتبان مددًا إلى سهيل بن عدي لفتح منطقة كرمان، فكتب إليه: «سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتكون معه على قتال مَن بكرمان»، فسار واستخلف على أصبهان السائب بن أقرع ولحق بسهيل قبل أن يصل إلى كرمان[٢] فتوجها معًا بجند المسلمين حتى فتح اللَّه على المسلمين «كرمان» سنة ٢٣هـ بعد قتال شديد.

- **ابن عتبان القائد:**

كان عبداللَّه جنديًّا ممتازًا وقائدًا ممتازًا، فقد كان شجاعًا غاية الشجاعة مدربًا تدريبًا رائعًا على استعمال سلاحه وعلى الفروسية؛ لهذا كان مثالًا حيًّا لرجاله في الشجاعة والإقدام.

وإذا كان بعض القادة يكتفون بتنظيم الخطط العسكرية والإشراف على تنفيذها، فإن عبداللَّه يضيف إلى ذلك مباشرته القتال بنفسه في أخطر المواقف، فيقدم على مبارزة قادة أعدائه وشجعانهم، فيكون انتصاره عليهم عاملًا نهائيًّا لاستسلام أعدائه للمسلمين.

لقد اجتمعت في عبداللَّه مزايا الشجاعة الشخصية، والتدريب الراقي، والتجربة الطويلة للحروب، والذكاء اللماح، والماضي الناصع المجيد، والشخصية القوية، والإرادة النافذة، وحبه للمسئولية، فلا عجب أن تكون قراراته صحيحة تؤدي دائمًا إلى النصر المبين.

وعند تطبيق أعماله الحربية على مبادئ الحرب، نجد أنه كان قائدًا تعرضيًّا، كل معاركه (تعرضية)، يعمل على إنجاز (تحشيد قواته)، ويبذل قصارى جهده لكي

---

(١) الإصابة (٤/١٣٥).
(٢) الكامل (٢/٤٢٢).

(يديم معنوياتها) حتى ولو كان ذلك على حساب تعرض حياته للخطر المباشر كما فعل عند مبارزته لقائد الفرس في معركة فتح (أصبهان).

- **ابن عتبان في التاريخ:**

برز عبداللَّه في قتال المشاغلة وفي الحصار الطويل وفي الهجوم، وكلها أدلة قاطعة على أصالة قيادته.

إن التاريخ يذكر له فتوحاته في الجزيرة وفي بلاد فارس، ويذكر له جهوده لنشر الإسلام في تلك الربوع.

رضِي اللَّه عن القائد الفاتح، الفارس البطل، الصحابي الجليل عبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان الأنصاري[1] فاتح نصيبين والرُّها وأصفهان.



(١) «قادة فتح العراق والجزيرة» ص (٤٩١- ٤٩٢).

(٣٦٢) الصحابي البدري الجليل فاتح الرقة والرُّها وكرمان سهيل بن عدي الخزرجي رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل سهل بن عدي بن مالك بن حرام بن خديج بن معاوية الخزرجي ـ كما ترجم له ابن حجر في الإصابة وابن الأثير في «أسد الغابة»[١] ـ، أو سُهَيل بن عدي ـ كما ترجم له الطبري وابن الأثير[٢].

شهد بدرًا، قاله أبو نعيم مختصرًا[٣].

شهد هو وإخوته الحارث، وعبدالرحمن، وثابت أُحُدًا، وَأُمُّهُمْ أُمُّ عثمان بنت معاذ بن فَرْوَة الخزرجية، قتل ثابت والحارث يوم جسر أبي عُبيد، وقاتل سهيل تحت لواء النبي ﷺ في غزواته الأخرى، فلله درهم من أهل بيت وإخوة.

جهاده

كان رضي الله عنه أحد رجال جيش أسامة بن زيد إلى أرض الشام، فلما عاد أسامة إلى المدينة، شارك سهيل في جهاد المرتدين، ثم سار مع الفاتحين إلى أرض العراق، وكان إلى جانب خال رسول اللَّه ﷺ سعد بن وقاص، ولمع اسمه في القتال حتى ولَّاه عمر قيادة أحد الجيوش.

ففي سنة سبع عشرة: «أذن عمر للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس، وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف بن قيس، فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه أمره، وبعث بألوية من ولي مع سهيل بن عدي، فدفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، ولواء أردشير خرة، وسابور إلى مجاشع

---

(١) انظر الإصابة (٣/١٦٩) ت (٣٥٥٤)، و«أسد الغابة» ترجمة (٢٣٠٢) ـ (٢/٥٧٨).

(٢) انظر الطبري (٣/١٨٩)، (٣/٢٥٧)، وفي الكامل لابن الأثير (٢/٣٩٥)، (٢/٤٤٢).

(٣) أسد الغابة (٢/٥٧٨)، ولم يذكره ابن سعد في طبقاته ولا ابن هشام في سيرته فيمن شهد بدرا.

بن مسعود السلمي، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولواء فسا، ودارا بجرد إلى سارية بن زنيم الكناني، ولواء كرمان إلى سهيل بن عدي، ولواء سجستان إلى عاصم بن عمرو - وكان من الصحابة -، ولواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبي، فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم إلا سنة ثمانية عشرة، وأمدَّ الأحنف بعلقمة بن النضر، وبعبدالله بن أبي عقيل، وبربعي بن عامر، وبابن أم غزال، وأمدَّ عاصم بن عمرو بعبدالله بن عمير الأشجعي، وأمدَّ الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق في جموع، وقيل: كان ذلك سنة إحدى وعشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين»[١].

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص[٢]: «سرِّح سُهَيل بن عديٍّ إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص»[٣].

وخرج عياض بن غنم ومن معه من القادة، فأرسل سهيل بن عدي إلى «الرقة» فَسَلَكَ طريق «الفراض»[٤] وقد ارفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بأهل الكوفة، فنزل عليهم سهيل فأقام يحاصرهم حتى صالحوه، فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل بوسط الجزيرة، فقبل منهم وصالحهم وصاروا ذمَّة[٥].

وفي فتح الرقة قال سهيل:

وصادمنا الفرات غداة سرنا ... إلى أهل الجزيرة بالعوالي
أخذنا الرقة البيضاء لما ... رأينا الشهر لوح بالهلال
وأزعجت الجزيرة بعد خفض ... وقد كانت تخوف بالزوال[٦]

(١) الكامل لابن الأثير (٢/٣٩٥).
(٢) هذا هو الأصح، وفي الكامل (٢/٣٧٦) إلى أبي عبيدة.
(٣) الكامل (٢/٣٧٦).
(٤) الفراض: موضع على تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات.
(٥) الكامل (٢/٣٧٧). (٦) معجم البلدان (٤/٢٧٢).

ولما أخذ سهيل الرقة، وعبدالله نصيبين، ضم عياض إليه سهيلًا، وعبدالله، وسار بالناس إلى «حرَّان»، فلما وصل أجابه أهلها إلى الجزية فقبل منهم، ثم إن عياضًا سرَّح سهيلًا، وعبدالله إلى «الرُّها» فأجابوهما إلى الجزية[(١)].

وعاد سهيل إلى الكوفة بعد ذلك، ومن هناك تحرك إلى البصرة.

- **سهيل الفاتح لكِرْمان[(٢)]:**

تسلم سهيل لواء «كِرْمان» من عمر بن الخطاب، ثم قصد سهيل بن عديٍّ كرمان، ولحقه أيضًا عبدالله بن عبدالله بن عتبان، وعلى مقدمة سهيل النسير بن عمرو العجلي، وحشد لهم أهل كِرْمان واستعانوا عليهم بالقُفْصِ[(٣)] فاقتتلوا في أداني أرضهم ففضَّ اللَّه ـ تَعَالَى ـ المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق.

وقَتل النسير بن عمرو العجلي مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم إلى جِيْرَفت، وعبدالله بن عبدالله من مفازة شير فأصابوا ما أرادوا من بعير أو شاء، فقوَّموا الإبل والغنم فتحاصوها بالأثمان لعِظَم البخت على العراب، وكرهوا أن يزيدوا وكتبوا إلى عمر بذلك فأجابهم «إذا رأيتم أنَّ في البخت فضلًا فزيدوا»[(٤)].

ولما قصد الحكم بن عمرو التغلبي مُكْران[(٥)] لفتحها، لحق به سهيل بن عدي، وانتهى المسلمون إلى دوين النهر وأهل مكران على شاطئه، فاستمد ملكهم ملك السند، فأمدَّه بجيش كثيف، فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقُتِل منهم في المعركة مقتلة عظيمة، وَاتَّبَعَهُمُ المسلمون يقتلونهم أيامًا حتى انتهوا إلى النهر، ورجع المسلمون إلى مُكران فأقاموا بها، وكتب الحكم إلى عمر بالفتح[(٦)].

---

(١) الكامل (٢/٣٧٧).

(٢) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة. انظر «معجم البلدان» (٧/٢٤١).

(٣) القُفص: ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة.

(٤) الكامل (٢/٤٤٢).

(٥) مُكران: ولاية واسعة تشتمل على مدى وقرى بفارس، غربها كِرمان، وشمالها سجستان، والبحر جنوبها.

(٦) الكامل (٢/٢٤٣-٢٤٤).

- **سهيل القائد:**

«يمتاز سهيل بالقدرة الفائقة في قتال المشاغلة، فقد نجح بمشاغلة عدوه بقوة قليلة فحال بينه وبين معاونة قواته الأصيلة في المناطق الحيوية من مناطق القتال.

وليست مشاغلة العدو في أهداف تعبوية لإجباره على توزيع قواته وصرفها عن أهدافها السوقية بالأمر الهين اليسير؛ إذ هي تحتاج إلى قائد ممتاز يتميز بسرعة الحركة ويعرف متى وكيف وأين يشاغل قوات عدوه لإجباره على الانقياد لرغبات ذلك القائد، فيقضي عليه في الزمان والمكان المناسبين.

وكما نجح سهيل في قتال المشاغلة، فقد نجح في هجومه المدبر على القوات الفارسية في ولاية (كَرْمان)، فاستطاع بقواته القليلة بالنسبة لسعة تلك المنطقة أن ينتصر بسرعة ويسر على أعدائه، وهذا يدل على أنه كان قديرًا في إعداد الخطط الدقيقة وفي إعطاء القرارات السريعة السديدة، كما يدل على تمتعه بشخصية قوية نافذة وعلى تحمله المسئولية وعلى ثقته برجاله وحبه لهم وعلى ثقتهم به وحبهم له، وكان ماضيه الناصع المشرف من العوامل التي ضاعفت ثقة قواته به وحبهم له وتقديرهم لقابلياته العالية في القيادة.

- **سهيل في التاريخ:**

كان لنجاح سهيل في مشاغلة أهل الجزيرة أثرٌ حاسم في انتصار أبي عبيدة في (حمص) على الروم، وفي فتح الجزيرة التي تعتبر المنطقة الدفاعية القصوى للدفاع عن عاصمة الروم: القسطنطينية.

وكان لنجاحه في مشاغلة الفرس أثر حاسم في انتصار المسلمين على القوات الفارسية في معركة (نهاوند) الحاسمة.

إن نجاحه هذا كفيل بتخليده في التاريخ، ولكنه أضاف إلى هذا النجاح نصرًا آخر لا يقل أهمية عن نجاحه الأول، وهو فتحه بعض بلدان الجزيرة وفتحه ولاية (كرمان) الغنية بثروتها الزراعية والصناعية.

ولكنه لم يقف عند هذا الحد من النجاح والنصر، بل ساند قائد ولاية (مكران) في مهمة فتحها..

رضِي اللَّه عن الصحابي الجليل، القوي الأمين، القائد الفاتح، سهيل بن عدي الأنصاري[١].

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة (٤٨٣ـ ٤٨٥).

(٣٦٣) الصحابي القائد

الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي رضي الله عنه

فاتح منطقة عرب الجزيرة... وفاتح أذربيجان[١] وبعض إرمينية[٢] ثانية

هو الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، واسم أبي معيط: أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب، يكنى أبا وهب.

قُتِل أبوه بعد الفراغ من غزوة بدر صَبْرًا، وكان شديدًا على المسلمين، كثير الأذى لرسول الله ﷺ، فكان ممن أُسر ببدر، فأمر النبي ﷺ بقتله.

وأسلم الوليد، وأخوه عمارة، وأخوه خالد بن عقبة يوم الفتح[٣].

وكان يوم فتح مكة رجلًا ولم يكن صبيًّا حينئذٍ.

«وقد ذكر الزبير وغيره من أهل العلم بالسِّيَر أن أم كلثوم بنت عقبة لما خرجت إلى النبي ﷺ مهاجرة في الهدنة سنة سبع خرج أخواها الوليد وعمارة ليرُدَّاها، فمن يكون صبيًّا يوم الفتح كيف يكون ممن خرج ليرد أخته قبل الفتح؟!.

قلت: ومما يؤيد أنه كان في الفتح رجلًا أنه كان قدم في فداء ابن عم أبيه الحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية، وكان أُسِر يوم بدر، فافتداه بأربعة آلاف، حكاه أصحاب المغازي»[٤].

---

(١) أذربيجان: مملكة عظيمة الغالب عليها الجبال، وأشهر مدنها تبريز وهي قصبتها.

(٢) إرمينية: بلاد واسعة بين أذربيجان والروم، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة، وهي أربع ارمينيات: الأولى والثانية والثالثة والرابعة. انظر معجم البلدان (١/٢٠٤).

(٣) الإصابة (٦/٤٨١) ترجمة (٩١٦٧)، و«أسد الغابة» (٥/٤٢٠) ترجمة (٥٤٧٥).

(٤) الإصابة (٢/٤٨٢).

- ولقد شهد الوليد بعد إسلامه غزوات النبي ﷺ التي كانت بعد فتح مكة، ونال ﵁ شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد ﷺ.

ونشأ الوليد بعد ذلك في كنف عثمان إلى أن استخلف، فولَّاه الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص، فاستعظم الناس ذلك.

وكان الوليد شجاعًا شاعرًا جوادًا(١).

جهاده

- **في الجزيرة:**

كان العراق ميدانًا لجهاد الوليد، فقد كان مع خالد بن الوليد هناك فأرسله إلى أبي بكر الصديق قبيل معركة (المذار) ببقية الخُمس وبالفتح(٢)؛ فلما قدم الوليد من عند خالد على أبي بكر وجهه إلى عياض بن غنم وأمدَّه به، فقدم الوليد وعياض فحاصرهم في (دُومة الجندل) وهم محاصروه، وقد أخذوا عليه بالطريق، فقال له: «الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف، ابعث إلى خالد فاستمدَّه»، ففعل عياض(٣).

ولما استسلمت (دُومة الجندل) للمسلمين، وَلَّى أبو بكر الوليد صدقات قضاعة، ثم خيَّره بين أن يبقى (جابيًا) وبين أن يكون (غازيًا) فأجابه بإيثار الجهاد وندب الناس للجهاد(٤).

وكان الوليدُ في العراق حين قصد الرومُ أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص، كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب

(١) المصدر السابق (٢/٤٨٢).

(٢) تاريخ الطبري (٢/٥٥٧).

(٣) المصدر السابق (٢/٥٧٨).

(٤) تاريخ الطبري (٢/٥٨٨).

عمر إلى سعد بن أبي وقاص: «أن يسرح سُهيل بن عَدِيٍّ، وعبداللَّه بن عبداللَّه بن عِتْبَان، وأن يسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وأن يسرح عياض بن غنم؛ فإن كان قتال فأمرهم إلى عياض، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص».

وخرج عياض وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة، وتوجه كل أمير إلى المنطقة التي أُمِّر عليها[١].

وقدم الوليد على عرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا بني إياد بن نزار، فإنهم ارتحلوا إلى أرض الروم، وكتب الوليد إلى عمر بن الخطاب بالمدينة يخبره بما صنعوا، وأقام ينتظر جوابه في أمرهم، وكتب عمر إلى (هرقل) ملك الروم يقول: «بلغني أن حيًّا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك! فواللَّه لتخرجنه إلينا أو لنخرجن النصارى إليك»، فلم يجد هرقل بُدًّا من النزول على ما أراد عمر، فأخرج إيادًا من بلاده؛ فعاد أربعة آلاف منهم إلى منازلهم التي فتحها المسلمون، وتفرق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم، فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف[٢]، وإنما كتب عمر إلى هرقل هذا الكتاب، حتى لا يتِّخذ المنهزمون أمام المسلمين أرض عدوهم ملجأ يتحصنون به ليوم ثأر.

وَأَبَى الوليد أن يقبل من تغلب إلا الإسلام، وكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: «إنما ذلك لجزيرة العرب، لا يُقبَل منهم إلا الإسلام، فدعهم على ألا يُنصِّروا وليدًا، ولا يمنعوا أحدًا منهم من الإسلام» فلما بلغهم حكم عمر رضِي بعضهم أن يدخل في دين اللَّه وأصر بعضهم على نصرانيته، ثم لم يقبل هؤلاء أن يكونوا أهل ذمة يؤدون الجزية[٣].

---

(١) الطبري (١٥٤/٣).
(٢) الطبري (١٥٧/٣).
(٣) الطبري (١٥٨/٣).

وذهب وفد من تغلب إلى المدينة، وكان بينهم بعض من أسلم منهم، فقال مسلموهم لعمر: «لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا، ولكن ضعِّفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء، فإنهم يغضبون من ذكر الجزية، على ألا ينصِّروا مولودًا إذا أسلم آباؤهم». وأصرَّ عمر على أن يؤدوا الجِزاء. فقالوا: «واللَّه لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم! واللَّه لتفضحنا من بين العرب»، فقال لهم: «أنتم فضحتم أنفسكم وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية، وتاللَّه لتؤدنَّه وأنتم صغرة قماة، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ولأسبينَّكم»، قالوا: «فخذ منا شيئًا ولا تسمِّه جزاء!!»، فقال: «أما نحن فنسميه جزاء، وسموه أنتم ما شئتم!» فقال علي بن أبي طالب لعمر: «يا أمير المؤمنين! ألم يضعف عليهم سعد بن مالك[1] الصدقة؟»، فقال عمر: «بلى!» ورضِي منهم الصدقة بدل الجزاء، فرجعوا على ذلك. وكان في بني تغلب عِزٌّ وامتناع ولا يزالون ينازعون الوليد، فهمَّ بهم، فخاف عمر أن يحرجوه فيضعف صبره فيسطو عليهم، فعزله عن الجزيرة[2]، كيما يطمئن إلى استتباب الأمن واستقرار الطمأنينة في ربوعهم.

- **الوليد الفاتح لأذربيجان وإرمينية للمرة الثانية:**

لما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه استعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فعزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان، فنقضوا[3] فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين وعلى مقدمته عبداللَّه بن شبل الأحمسي فأغار على أهل «مُوقان»[4] و«بير»[5]

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص.

(٢) الطبري (١٥٨/٣)، وفتوح البلدان للبلاذري ص (١٨٥- ١٨٦).

(٣) أي: نقضوا عهدهم.

(٤) موقان: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعي، وهي بأذربيجان انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٩/٨).

(٥) بير: بغير تعريف: بلد حصين من نواحي شهرزور. انظر معجم البلدان (٣٢٨/٢).

و«الطيلسان»[١] فغنم وسبى، وطالب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم صلح حذيفة[٢]، صالح الوليد أهل أذربيجان على ثمان مئة ألف درهم وانقادوا للمسلمين[٣].

وفي رواية أخرى: أن سلمان بن ربيعة الباهلي كان على مقدمة جيش الوليد إلى أذربيجان[٤].

وبعد انتصار الوليد على (أذربيجان) بعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى (إرْمِينية) في اثني عشر ألفًا، فسار سلمان في أرض إرمينية، وقتل وسبى وغنم ثم انصرف حتى أتى الوليد[٥]، فعاد الوليد وقد ظفر وغنم، وجعل طريقه على الموصل، ثم أتى الحديثه[٦] فنزلها، فأتاه بها كتاب عثمان فيه: أنَّ معاوية بن أبي سفيان كتب إليَّ يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إليهم رجلًا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام[٧].

وعند الطبري: «فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلًا ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي، والسلام»، فقام الوليد في الناس، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس! فإن اللَّه قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاء حسنًا،

---

(١) الطيلسان: اقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر انظر معجم البلدان (٦/ ٨٠).
(٢) فتوح البلدان ص (٣٢٣).
(٣) الطبري (٣/ ٣٠٨).
(٤) الطبري (٣/ ٣٠٧).
(٥) الطبري (٣/ ٣٠٨).
(٦) الحديثة: هي حديثة الموصل، وهي بُلَيْدة كانت على دجلة قرب الزاب الأعلى ـ انظر معجم البلدان (٣/ ٣٣٤).
(٧) الكامل (٢/ ٤٧٨).

ردَّ عليهم بلادهم التي كفرت، وفتح بلادًا لم تكن افتتحت، وردَّهم سالمين غانمين مأجورين، فالحمد لله رب العالمين، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة آلاف إلى الثمانية آلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام، فإنهم قد جاشت عليهم الروم، وفي ذلك الأجر العظيم والفضل المبين، فانتدبوا رحمكم اللّه مع سلمان بن ربيعة الباهلي»، فانتدب ثمانية آلاف تحركوا في اليوم الثالث من وصول كتاب عثمان إلى الوليد، فمضوا حتى دخلوا أرض الروم مع أهل الشام[١]، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة؛ فشنوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس ما شاءوا من سبيٍ وملئوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا حصونًا كثيرة[٢] وعاد الوليد بما بقي من رجاله إلى الكوفة.

في أيامه الأخيرة اعتزل الفتنة، ولم يشارك فيما جرى بين علي ومعاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، وخرج من الكوفة، وأقام بالرقة إلى أن توفي بها[٣] في خلافة معاوية.

- **الوليد أميرًا:**

الحق أن الوليد سار في أثناء ولايته على الكوفة سيرة ممتازة، فهو لم يقصِّر في سدِّ الثغور والإمعان في الفتح، وإنما بلغ من ذلك غاية عُرِفت له، وتحدث بها الناس في حياته وبعد موته، وقد ساس أهل الكوفة سياسة حزم وعزم ومضاء، فأقرَّ الأمن، وضرب على أيدي المفسدين.

وقد أجرى إصلاحات كثيرة في الكوفة: أنشأ دارًا للأضياف[٤]، وفرض لكل مملوك بالكوفة ثلاثة دراهم في كل شهر، دون أن ينقص ذلك من أعطيات سادتهم

---

(١) الطبري (٣/٣٠٨- ٣٠٩).
(٢) الكامل (٢/٤٧٨).
(٣) أسد الغابة (٥/٤٢٢)، والاستيعاب (٤/١٥٥٦)، وطبقات ابن سعد (٧/٤٧٧).
(٤) الطبري (٣/٣٢٦).

ومواليهم، وإنما كان يؤدي إليهم ذلك من فضول الأموال [١]، وكان يغزو فينتهي إلى بلاد بعيدة نائية ما قصر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل من ولايته.

● **القائد:**

«إذا كان هناك من يطعن في سيرة الوليد إنسانًا، فليس هناك من يطعن في سيرته قائدًا.

لقد رد الوليد بجهاده المشرف إلى المسلمين بلادًا كفرت وفتح بلادًا لم تكن افتتحت [٢]، فأصبح بلاؤه الممتاز حديث الناس في أيامه وبعد موته؛ إذ لم يقصر في سد الثغور والإمعان في الفتح، حتى قال الإمام الشعبي عنه: «كيف لو أدركتم الوليد: غزوه وإمارته! إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا، ما قصر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل عن عمله [٣]»، وكفى بشهادة الإمام الشعبي تثمينًا لقيادته.

وفي قيادة الوليد ـ بالإضافة إلى مزاياه الأخرى ـ يقول الحطيئة:

أرى لابن أروى خلَّتين اصطفاهما	**قتال إذا يلقى العدو ونائله**
فتى يملأ الشيْزيَ [٤] ويرُوي بكفه	**سنان الردَيْنيِّ الأصم وعامله**
يؤم العدو حيث كان بجحفل	**يصم السميع جرسه وصواهله**
إذا حان منه منزل الليل أوقدت	**لأخراه في أعلى اليَفَاع [٥] أوائله**
نفيت الجعاد البيض عن حُرِّ دارهم	**فلم يبق إلا حيَّة أنت قاتله [٦]**

لقد كان من أكثر رجال قريش شجاعة [٧]، وكان على جانب عظيم من

---

(١) الطبري (٣/٣٢٨).
(٢) تاريخ الطبري (٣/٣٠٩).
(٣) الطبري (٣/٣٢٨).
(٤) الشيزي: خشب أسود تتخذ منه قصاع.
(٥) اليفاع: ما ارتفع من الأرض، وأيفع الغلام، أي ارتفع فهو (يافعًا).
(٦) الأغاني (٤/٣٦٢).
(٧) أسد الغابة (٥/٩١)، والاستيعاب (٤/١٥٥٤).

الذكاء والألمعية؛ لذلك كانت قراراته صحيحة سريعة.

وكان من شخصيات قريش البارزة؛ لذلك كان مسيطرًا على رجاله سيطرة تامة، فلا يمكن أن يسمح لأحد أن يخالف أوامره خاصة في ساحات القتال.

وكان من أكثر رجال قريش ظرفًا وحلمًا وأدبًا وكرمًا؛ لذلك كان محبوبًا من رجاله ـ خاصة الذين لا ينافسونه على الإمارة.

وكان يتحمل المسئولية كاملة، فهو بالإضافة إلى أنه أخو عثمان لأمه وهذا يجعله ذا مكانة خاصة في نفس الخليفة تدعم حبه للمسئولية وإقدامه على تحملها، فقد كان من عائلة معروفة في الجاهلية والإسلام بتحمل المسئولية الضخمة دون تردد.

وكانت له قابلية على التنظيم الدقيق، هذا التنظيم الذي نعجب به حتى اليوم كل الإعجاب، فقد كانت مغازي أهل الكوفة في أيامه الري وأذربيجان، وكان بهذين الثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ـ وذلك لاستخدامها في الدفاع الفوري ضد المعتدين على بلاد المسلمين حتى تردهم النجدات من قواعد المسلمين الأمامية في الكوفة والبصرة ـ، وكان بالكوفة حينذاك أربعون ألف مقاتل، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة، فكان الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة[1]!.

تنظيم ما أروعه من تنظيم: قوات في الثغور للدفاع الفوري، وقوات احتياطية من القاعدة الأمامية للهجوم المقابل أو للفتح، وتقسيم دقيق للواجبات؛ بحيث يعرف كل شخص ما له وما عليه، ومتى وكيف وأين يغزو العدو!.

تلك هي تنظيمات الوليد التعبوية والسوقية للقضاء على تحرشات العدو الداخلي والخارجي، فلا عجب إذا لم ينتقض عليه بلد من البلدان حتى عزل عن

(١) الطبري (٣٠٧/٣).

عمله.

لقد كان الوليد يطبق مبدأ (التعرض) في حروبه، وقد كانت كل معاركه تعرضية، وكان يمتاز بتطبيق مبدإ (تحشيد القوى) بشكل ممتاز للغاية: يتخذ له مقرًّا مناسبًا، ثم يبث قوة مناسبة إلى هدف مناسب، فإذا انتهى من ذلك الهدف، أرسل قوة مناسبة أخرى إلى هدف مناسب آخر، وبذلك انتصر بيسر وسهولة على أعدائه الكثيرين في بلادهم الوعرة الشاسعة، ولو أنه قسم قواته ووزعها إلى أكثر من هدف واحد، لأصبح ضعيفًا بكل مكان، فلا يقدر على القضاء المبرم بسرعة ويسر على أعدائه.

إنه قائد ممتاز حقًّا.

- **الوليد في التاريخ:**

كان الوليد ولا يزال من الشخصيات التي تعاني من إفراط الصديق في المدح وتفريط العدو في القدح.

إن التاريخ يذكر أن الوليد كان من القلائل جدًّا من بني أمية الذين اعتزلوا معاوية في حربه مع علي بن أبي طالب، إذ آثر دينه على دنياه.

ويذكر له أنه كان من أوائل من عالج مشكلة الإماء والعبيد بصورة عملية: فمنحهم المخصصات المالية المناسبة شهريًّا من بيت المال.

ويذكر له إنه فتح منطقة عرب الجزيرة واستعاد فتح أذربيجان وأرمينية ثانيةِ إلى بلاد المسلمين.

لقد أحسن إلى المسلمين، وبقيت آثار إحسانه إلى المسلمين حتى اليوم.

غفر اللَّه للقائد الفاتح، الإداري الألمعي، الشاعر الأريحي، الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط الأموي»[1].

* * *

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة ص (٥١٠- ٥١٢).

(٣٦٤) الصحابي القائد الزاهد
قائد ميمنة جيش المسلمين لفتح الجزيرة
سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجمحيِّ رضي الله عنه

- **الزاهد في الدنيا الفتَّانة السحارة.. الناظر إلى طلابها بعين الحقارة.. السالك منهج السابقين بالحث والنذارة.. الراغب عن الدنيا مع تقلد الولايات، القائم فيها برعايته العهود والأمانات:**

الصحابي سعيد بن عامر بن حِذْيَم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جُمح القرشي الجمحي[(١)].

من كبار الصحابة وفضلائهم، وأمه أروى بنت أبي معيط.

أسلم قبل خيبر، وهاجر، فشهد خيبر وما بعدها، فنال شرف الصحبة وشرف القتال تحت لواء الرسول القائد ﷺ، وكان رضي الله عنه مشهورًا بالخير والزهد.

❑ جهاده بعد رسول اللَّه ﷺ:

جاهد وقاتل المرتدين رضي الله عنه.

«بلغ سعيد بن عامر أن أبا بكر يريد أن يبعثه وأنه قد كتب بذلك إلى يزيد بن أبي سفيان، فلما أبطأ عليه ذلك، ومكث أيَّامًا لا يذكر ذلك له أبو بكر، فقال: يا أبا بكر واللَّه لقد بلغني أنك أردت أن تبعثني في هذا الوجه ثم رأيتك قد سكتَّ، فما أدري ما بدا لك، فإن كنت تريد أن تبعث غيري فابعثني معه فما أرضاني بذلك، وإن كنت لا تريد أن تبعث أحدًا فما أرغبني في الجهاد، ائذن لي رحمك اللَّه حتى ألحق بالمسلمين، فقد ذُكِر لي أنه قد جُمِعت لهم جموع عظيمة. فقال له

---

(١) انظر الإصابة (٣/٩٢) ت (٣٢٨٠)، و«أسد الغابة» (٢/٤٨٣) ت (٢٠٨٤)، والبداية والنهاية (٦/١٠٣)، وحلية الأولياء (١/٣٠٨)، وتاريخ دمشق (٢١/١٤٣).

أبو بكر: رحمك اللَّه أرحم الراحمين يا سعيد، فإنك ما علمتُ من المتواضعين، المتواصلين، المخبتين، المتهجدين بالأسحار، الذاكرين اللَّه كثيرًا. فقال سعيد: يرحمك الله، نِعم اللَّه عليَّ أفضل، له الطَّوْل والمَنُّ، وأنت - ما علمتك يا خليفة رسول اللَّه - صدوقًا بالحق، قوامًا بالقسط، رحيمًا بالمؤمنين، شديدًا على الكافرين، تحكم بالعدل ولا تستأثر بالقسم. فقال له: حسبك يا سعيد، اخرج رحمك الله، فتجهَّز، فإني باعث إلى المؤمنين جيشًا مُمِدًّا لهم وموردك عليهم. وَأَمَرَ بلالًا فنادى في الناس: ألا انتدبوا أيها الناس مع سعيد بن عامر إلى القتال. قال: فانتدب معه جيش من المسلمين في أيام. قال: وجاء سعيد بن عامر ومعه راحلته حتى وقف على باب أبي بكر والمسلمون جلوس، قال لهم سعيد: أما إنَّ هذا الوجهَ وجهُ رحمة وبركة، اللهم فإن قضيت لنا - يعني البقاء - فعلى طاعتك، وإن قضيت علينا الفرقة فإلى رحمتك، وأستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام. ثم ولَّى سائرًا، قال: وأمره أبو بكر أن يسير حتى يلحق بيزيد بن أبي سفيان، قالوا: فقال أبو بكر: عباد الله، ادعوا اللهَ أن يصحبَ صاحبَكم وإخوانَكم معه، ويُسَلِّمَهم، فارفعوا أيديكم رحمكم اللَّه أجمعين. فرفع القوم أيديهم، وهم أكثر من خمسين، فقال علي: ما رفع عِدَّة من المسلمين أيديهم إلى ربهم يسألونه شيئًا إلا استجاب لهم، ما لم يكن معصية أو قطيعة رحم.

وفي رواية: قال علي: ما رفع أربعون رجلًا أيديهم إلى اللَّه يسألونه شيئًا إلا أعطاهم إيَّاه. قال: فبلغ ذلك سعيدًا بعد ما وقع إلى الشام ولقي العدو، فقال: رحم اللَّه إخواني، ليتهم ما لم يكونوا دعوا لي، قد كنت خرجت، وإني على الشهادة لحريص، فما هو إلَّا أن لقيت العدو: فعصمني اللَّه من الهزيمة والفرار، وذهب من نفسي ما كنت أعرف من حبي الشهادة، فلما أن أُخبرت أن إخواني دعوا لي بالسلامة علمتُ أنه قد استُجيب لهم. قالوا: وكان مع يزيد بن أبي سفيان كما أوصاه أبو بكر، فشدَّ اللَّه به وبمن كان معه أعضاد المسلمين، وفَتَّ بهم أعضاد

المشركين»[١].

«ورُوي أنه لما اجتمعت الروم يوم اليرموك استغاث أبو عبيدة عُمَرَ فأمدَّه بسعيد بن عامر بن حذْيم»[٢] وكأنه المَعْنِيُّ بقول القائل:

سيعرفني قومي إذا جدَّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

«سار عياض بن غنم إلى الجزيرة في خمسة آلاف، وعلى مينته سعيد بن عامر ابن حذيم الجمحي، وعلى ميسرته صفوان بن المعطل، وعلى مقدمته هبيرة بن مسروق، فانتهت طليعة عياض إلى «الرقة»[٣] فأغاروا على الفلاحين وحصروا المدينة، وبث عياض السرايا فأتوه بالأسرى والأطعمه، وكان حصرها ستة أيام فطلب أهلها الصلح، فصالحهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم، وقال عياض: الأرض لنا قد وطئناها وملكناها. فأقرها في أيديهم على الخراج ووضع الجزية»[٤].

وشهد رضي الله عنه فتح دمشق[٥].

وفي فتح قيسارية: «فُتحت قيسارية، أميرها معاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن عامر بن حِذْيَم كُلٌّ أميرٌ على جنده، فهزم اللَّه المشركين وقتل منهم مقتله عظيمة، وقال ابن الكلبي: وذلك سنة تسع عشرة، وقال ابن إسحاق: سنة عشرين»[٦].

● **الأمير الزاهد:**

ولاه عمر واستعمله على حمص بعد عياض، وكان أميرًا على قيسارية أيضًا، أرسل عمر بن الخطاب إلى سعيد بن عامر الجمحي فقال: إنا مستعملوك على هؤلاء، تسير بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم. فقال: يا أمير المؤمنين لا تفتني.

---

(١) تاريخ دمشق (٢١/١٥٥- ١٥٦).
(٢) أسد الغابة (٢/٤٨٣).
(٣) الرقة: بلدة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام.
(٤) الكامل (٢/٣٧٧).
(٥) تاريخ دمشق (٢١/١٥٣).
(٦) تاريخ دمشق (٢١/١٥٦).

فقال عمر: واللَّه لا أدعكم جعلتموها في عنقي ثم تخلَّيتم مني، أنا أبعثك على قوم لست بأفضلهم، ولست أبعثك لتضرب أبشارهم، ولا تنتهك أعراضهم، ولكن تجاهد بهم عدوَّهم، وتقسم بينهم فيأهم، فقال: اتق اللَّه يا عمر، أحبَّ لأهل الإسلام، ما تحب لنفسك، وأقم وجهك وقضاءك لمن استرعاك اللَّه من قريب المسلمين وبعيدهم، ولا تقض في أمر واحد بقضاءين مختلفين فيختلف عليك أمرك، وتنزع عن الحق، والزم الأمر ذا الحجة يُعنك اللَّه على ما ولَّاك، وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته، ولا تخشى في اللَّه لومة لائم.

فقال عمر: ويحك يا سعيد من يطيق هذا؟ قال: من وضع(١) اللَّه في عنقه مثل الذي وضع في عنقك، إنما عليك أن تأمر فيطاع أمرك وتترك فيكون لك الحجة. فقال عمر: إنا سنجعل لك رزقًا. قال: لقد أُعطيت ما يكفيني دونه ـ يعني عطاءه ـ وما أنا بمزاد من مال المسلمين شيئًا. قال: فكان إذا خرج عطاؤه نظر إلى قوت أهله من طعامهم وكسوتهم وما يصلح فيعزله وينظر إلى بقيته فيتصدق به، فيقول أهله: أين بقية المال؟ فيقول: أقرضته. فأتاه نفر من قومه فقالوا: إنَّ لأهلك عليك حقًّا، وإن لقومك عليك حقًّا. قال: ما أستأثر عليهم، إن يدي لمع أيديهم، وما أنا بطالب أو ملتمس رضاء أحد من الناس بطلبي الحور العين، لو اطلعت منهن واحدة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس، وما أنا بمتخلف عن العُنُق(٢) الأول بعد إذ سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يجيء فقراء المسلمين يدفُّون كما يدف الحمام، فقال لهم: قفوا للحساب، فيقولون: واللَّه ما تركنا شيئًا نُحاسب به. فيقول الله: صدق عبادي. فيدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عامًا»(٣).

وعن زيد بن أسلم قال: قال عمر لسعيد بن عامر بن حِذْيَم: إن أهل الشام

---

(١) في تاريخ دمشق (١٤٦/٢١) «من قطع الله» وفي مختصر ابن منظور (٣٢٠/٩) «من وضع الله».
(٢) يُقال: جاء القوم عُنُقًا عُنُقًا أي طوائف «انظر اللسان»: عنق.
(٣) تاريخ دمشق (١٤٦/٢١). وفي الإصابة «يزفون».

يحبونك. قال: لأني أعاونهم وأوُاسيهم. قال: خُذْ هذه عشرة آلاف فتوسع بها. قال: أعطها من هو أحوجُ إليها مني[١].

«وقال حسان بن عطية: لما عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاوية عن الشام، بعث سعيد بن عامر بن حِذْيم الجمحي، قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه فما لبث إلا يسيرًا حتى أصابته حاجة شديدة، قال: فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه بألف دينار، قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما تريْن. فقالت: لو أنك اشتريت لنا أدمًا وطعامًا وادخرت سائرها. فقال لها: أَوَلَا أدلُّكِ على أفضل من ذلك؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه. قالت: فنعم إذًا. فاشترى أدمًا وطعامًا واشترى بعيرين وغلامين يمتاران عليهما حوائجهما، وفرَّقها في المساكين وأهل الحاجة، قال: فما لبث إلا يسيرًا حتى قالت له امرأته: إنه نفذ كذا وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه. قال: فسكت عنها. قال: قال: ثم عاودته، قال: فسكت عنها حتى آذته ـ ولم يكن يدخل بيته من ليل إلى ليل ـ قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله، فقال لها: ما تصنعين إنك قد آذيتيه، وإنه قد تصدق بذلك المال. قال: فبكت أسفًا على ذلك المال، ثم إنه دخل عليها يومًا، فقال: على رسلك، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم وأن لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيرة من خيرات الحسان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيف[٢] تُكسَى خير من الدنيا وما فيها، فلأنت أحرى في نفسي أن أدعك لهن من أن أدعهن لك. قال: فسمحت ورضيت.

ـ وعن خالد بن معدان قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي، فلما قدم عمر بن الخطاب حمص، قال: يا أهل حمص

(١) الإصابة (٣/٩٣).
(٢) النصيف: الخمار.

كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه ـ وكان يقال لأهل حمص: الكُوَيْفة الصغرى؛ لشكايتهم العمال ـ قالوا: نشكوا أربعًا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: أعظم بها. قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل. قال: وعظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا. قال: عظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام ـ يعني تأخذه موتة(١) ـ قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تفيل رأيي فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: واللَّه إنْ كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل. قال: ما تقول؟ قال: إنْ كنتُ لأكره ذكره أني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عَزَّ وَجَلَّ. قال: وما تشكون؟ قالوا: إن له يومًا في الشهر لا يخرج علينا فيه. قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم آخر النهار. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة، فقالوا: أتحبُّ أن محمدًا مكانك؟ فقال: واللَّه ما أحبُّ أني في أهلي وولدي وأن محمدًا ﷺ شيك بشوكة. ثم نادى: يا محمد، فما ذكرتُ ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن باللَّه العظيم إلا ظننت أن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا. قال: فتصيبني تلك الغنظة. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيل فراستي. فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على أمرك. فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها. قالت: نعم. فدعا رجلًا من أهل بيته يثق به، فصررها صررًا ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى

(١) يعني: يغشى عليه.

مبتلى أهل فلان. فبقيت منها ذهبية، فقال: أنفقي هذه. ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشتري لنا خادمًا؟ ما فَعَل ذلك المال. قال: سيأتيك أحوج ما تكونين»[١].

ـ «ولما قدم عمر حمص أمرهم أن يكتبوا له فقراءهم، فرجع الكتاب، فإذا فيه سعيد بن عامر. قال: مَنْ سعيد بن عامر؟ قالوا: يا أمير المؤمنين أميرنا. قال: وأميركم فقير؟ قالوا: نعم. فعجب، فقال: كيف يكون أميركم فقيرًا، أين عطاؤه، أين رزقه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، لا يُمسك شيئًا. قال: فبكى عمر حتى عمد إلى ألف دينار فصرها وبعث بها إليه، وقال: أقرئوه مني السلام وقولوا له: بعث بها إليك أمير المؤمنين فاستعن بها على حاجتك. قال: فجاء بها إليه الرسول فنظر إليها فإذا هي دنانير فجعل يسترجع، فقالت له امرأته:

ما شأنك؟ أصيب أمير المؤمنين؟ قال: أعظم. قالت: فظهرت آية؟ قال: أعظم من ذلك. قالت: فأمر من الساعة؟ قال: بل أعظم من ذلك. قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني؛ الفتنة أتتني، حتى حلَّت عليَّ. قالت: فاصنع فيها ما شئت. قال لها: عندك عون؟

قالت: نعم. قال: ائتني به. قال: وأتته بخمارها فصرَّ الدنانير فيها صررًا، ثم جعلها في مخلاة، ثم بات يصلي حتى إذا أصبح، ثم اعترض بها جيشًا من جنود المسلمين فأمضاها كلها، فقالت له امرأته: لو كنت حبست منها شيئًا تستعين به. فقال لها: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لو اطلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرض لملأت الأرض من ريح المسك» فإني واللَّه ما أختار عليهن، فسكتت»[٢].

وسأله عمر بن الخطاب: ما لك من المال؟ قال: سلاحي، وفرسي، وأَبغُل أغزو عليها، وغلام يقوم عليَّ، وخادم لامرأتي، وسهم يعدُّ في المسلمين. فقال له عمر: ما لك غير هذا؟ قال: حسبي هذا، هذا كثير[٣].

---

(١) حلية الأولياء (١/٣٠٨ـ ٣١٠).

(٢) تاريخ دمشق (٢١/١٤٨ـ ١٤٩).

(٣) تاريخ دمشق (٢١/١٦٠).

بمثل هذا القائد الرباني الأمير الزاهد تنتصر الأمة.. هذا جبل سامق شامخ من القرن الأول نهديه للعالم أجمع حتى يفيق من سكرته وغفلته.

فرضي اللَّه عن الصحابي الجليل سعيد بن عامر بن حديم الجمحي القرشي.

(٣٦٥) القائد الشهيد الذي برَّأه الله الصحابي أبو عمرو السُّلمي الذكواني صفوان بن المُعَطِّل بن رحضة[(١)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هو الصحابي الجليل صفوان بن المُعطِّل بن رحضة بن المؤمل بن خزاعى بن مخارق بن هلال بن فالج، أبو عمرو السُّلمي الذكواني، صاحب رسول اللَّه ﷺ، أثنى عليه النبي في قصة الإفك وقال عنه: «واللَّه ما علمت منه إلا خيرًا»[(٢)]، «وهو الذي رماه أهل الإفك بأم المؤمنين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ فبرَّأه اللَّه وإياها مما قالوا، وكان من سادات المسلمين»[(٣)].

شهد صفوان الخندق والمشاهد بعدها في قول الواقدي، وكانت الخندق سنة خمس، وكان مع كُرْز بن جابر الفِهْري في طلب العُرَينيِّنَ الذين أغاروا على لقاح رسول اللَّه ﷺ، وكان على ساقة جيش رسول اللَّه ﷺ.

أسلم قبل المُرَيْسيع وشهد المُرَيْسيع[(٤)].

شهد فتح دمشق[(٥)]، واستُشهد بسُمَيْساط[(٦)].

ولما سار عياض بن غنم إلى الجزيرة بجيش المسلمين وعدته خمسة آلاف كان على الميمنة سعيد بن عامر الجمحي، وعلى الميسرة صفوان بن المعطل، وعلى مقدمته هبيرة بن مسروق، وحاصروا الرقة ستة أيام، وطلب أهلها الصلح، وفتحت الرقة[(٧)].

---

(١) في الاستيعاب وأسد الغابة: «رُبيضة» وفي الإصابة «رُبيّعة» بالتصغير، وفي تاريخ دمشق «رخصة».

(٢) انظر البخاري ومسلم.

(٣) البداية والنهاية (١١/٤٦٥). ـ طبعة دار عالم الكتب.

(٤) أسد الغابة (٣/٣١)، والإصابة (٣/٣٥٦).

(٥) تاريخ دمشق (٢٤/١٥٩).

(٦) سميساط: ناحية من نواحي الجزيرة، وهي مدينة على شاطئ الفرات في غربيه في طرف بلاد الروم.

(٧) انظر الكامل (٢/٣٧٧) بتصرف.

«وقال الواقدي: مات صفوان بن المعطل سنة ستين بسُمَيساط، وقال ابن إسحاق: قتل في غزوة أرمينية سنة تسع عشرة. قال: وكان أحد الأمراء يومئذٍ. قلت: فهذا تباين كثير في تاريخ موته، فالظاهر أنهما اثنان. واللَّه أعلم»(١).

قال ابن حجر: «قال ابن اسحاق: قُتِل صفوان في خلافة عمر في غزاة أرمينية سنة تسع عشرة. وقد روى ذلك البخاري في تاريخه، وثبت في الصحيح عن عائشة أنه قُتل في سبيل الله»(٢).

وفي الكامل (٢/٤٠٤) في الحديث عن سنة تسع عشرة قال ابن الأثير: «وفيها قُتِل صفوان بن المعطل السلمي، وقيل: بل مات سنة ستين آخر خلافة معاوية».

وقال في أسد الغابة (٣/٣٢): «وكان صفوان شجاعًا خيِّرًا فاضلًا، وله دار بالبصرة، وقُتِل في غزوة أرمينية شهيدًا، وأمير الجيش يومئذٍ عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة تسع عشرة في خلافة عمر، قاله ابن اسحاق.

وقيل: مات بالجزيرة بناحية شِمْشاط، ودُفِن هناك. وقيل: إنه غزا الروم في خلافة معاوية، فاندقت ساقه، ثم لم يزل يطاعن حتى مات. وذلك سنة ثمانٍ وخمسين، واللَّه أعلم».

«وذكر عبداللَّه بن محمد بن ربيعة القدامي في الفتوح بسند له أن صفوان بن المعطِّل حمل على رُومي فطعنه فصرعه، فصاحت امرأته، فقال:

ولقَدْ شَهِدتُ الخَيْلَ يُسطَعُ نَقْعُها ... ما بين دَاريا دِمشقَ إلى نَوَى
وطَعَنْتُ ذَا حلي فصاحت عِرْسُه ... يا ابن المعطل ما تُريدُ بما أرَى
[فأجبْتُها إني سأتركُ بعلهَا ... بالدير منعفر المضاحك بالثرى
وإذا عليه حلية فشهرتها ... إنِّي كذلك مولعٌ بذوي الحُلَى](٣)

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٥٥٠).
(٢) الإصابة (٣/٣٥٧).
(٣) البيتان ما بين [ ] زيادة من تاريخ دمشق (٢٤/١٦١).

وكان ذلك سنة ثمان وخمسين. وقال ابن اسحاق سنة تسع عشرة. وقيل: سنة ستين بِسُمَيساط وبه جزم الطبري»[١].

«وقول من قال إنه قتل شهيدًا في سبيل اللَّه أثبت»[٢] وهو نفس قول عائشة في الصحيح.

- في سنة تسع عشرة الهجرية (٦٤٠م) وجَّه عياض بن غَنْم إلى إرمينية الرابعة عثمان بن أبي العاص، فكان عندها شيء من قتال أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيدًا، ثم صالح عثمان أهلها على الجزية، على كل أهل بيت دينار[٣].

- حاصر بطلنا صفوان حصنًا يُقال له: «بولا» فرموه فقتلوه، فدُفن قُدَّام الحصن قريبًا هنالك، وبلغ ذلك عمر فدعا عليهم. وفي رواية أخرى: أنه دُقَّت ساقه، فلم يزل يُطاعن حتى مات[٤].

فرضي اللَّه عن الصحابي الشجاع.. من برَّأه اللَّه وأثنى عليه رسول الله، القائد الشهيد، قائد الساقة في المريسيع، وقائد ميسرة المسلمين في فتح الجزيرة.



(١) الإصابة (٣/٣٥٨).
(٢) تاريخ دمشق (٢٤/١٦٤).
(٣) الطبري (٤/٥٣).
(٤) تاريخ دمشق (٢٤/١٧٤، ١٧٥).

(٣٦٦) الصحابي البطل
فارس بني عبس... وقائد فرسان القلب يوم فحل
وحامل الراية في اليرموك... وقائد المقدمة في فتوح الجزيرة
ميسرة بن مسروق العَبْسي رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل ميسرة بن مسروق العبسيُّ من بني هِدم بن عَوْذ بن قطيعة بن عبس العبسي[(١)]، أحد الفرسان المشهورين[(٢)].

- **إسلامه:**

«وفد وفد على رسول اللَّه ﷺ تسعة رهط من بني عبس، فكانوا من المهاجرين الأولين؛ منهم: ميسرة بن مسروق، والحارث بن الربيع ـ وهو الكامل ـ، وقنان بن دارم، وبشر بن الحارث بن عبادة، وهِدم بن مسعدة، وسباع بن زيد، وأبو الحصن بن لقمان، وعبداللَّه بن مالك، وفروة بن الحصين بن فضالة، فدعا لهم رسول اللَّه ﷺ بخير، وقال: «ابْغوني رجلًا يَعْشرُكُم أَعقِدْ لكم لواء»، فدخل طلحة بن عبيد الله، فعقد لهم لواءً وجعل شعارهم يا عشرة[(٣)].

جهاده

وفي فتوح الشام للأزدي: كان لميسرة بن مسروق صحبة وصلاح، ولما مات قيس عقد النبي ﷺ لميسرة بن مسروق[(٤)].

---

(١) الإصابة (١٨٨/٦) ت (٨٢٩٩)، وأسد الغابة (٢٧٣/٥) ت (٥١٥٥)، وتاريخ دمشق ت (٧٧٩٧).

(٢) تاريخ دمشق (٣١٧/٦١).

(٣) طبقات ابن سعد (٢٢٥/١- ٢٢٦).

(٤) الإصابة (١٨٨/٦)، وتاريخ دمشق (٣١٧/٦١).

وعن عبدالله بن وابصة العبسي، عن أبيه عن جده قال: جاءنا رسول الله ﷺ بمنى، فوقف علينا يدعونا إلى الإسلام، فلم يستجب له منا أحد. فقال ميسرة بن مسروق: ما أحسن كلامك وأنوره، ولكن قومي يخالفوني، وإنما الرجل بقومه. فلما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع لقيه ميسرة بن مسروق فعرفه، فقال: يا رسول الله، ما زلت حريصًا على اتباعك منذ أنخت بنا حتى كان ما كان، ويأبى الله إلا ما ترى من تأخر إسلامي. فأسلم فحسن إسلامه، وقال: الحمد لله الذي استنقذني بك من النار. وكان له عند أبي بكر الصديق مكان[١].

وقال ابن الأثير: «كان له من أبي بكر منزلة حسنة»[٢].

- **جهاده بعد النبي ﷺ:**

قال ميسرة بن مسروق العبسي: «قدمت بصدقة قومي طائعين ونحن على الإسلام لم نبال، وما بعث علينا أحد، حتى أدخلتها على أبي بكر الصديق، فجزاني وجزى قومي خيرًا، وعقد لنا لواء، فقال: سيروا مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة. وأوصى بنا خالدًا، وكنا إذا زحفت الزُّحوف نأخذ اللواء فنقاتل به بأبانين[٣] واليمامة، ومع خالد بالشام، لقد نظر إليَّ خالد بن الوليد يوم اليرموك فصاح بأبي عبيدة بن الجراح: ادفع رايتك إلى ميسرة بن مسروق. ففعل، ففتح الله عليَّ.

وقال يزيد بن عبيد السعدي أبو وَجْزة: مرَّ أبو بكر بالناس في معسكرهم بالجُرْف ينسب القبائل حتى مرَّ ببني فزارة، فقام إليه رجل منهم فقال: مرحبًا بكم. فقالوا: يا خليفة رسول الله نحن أحلاس[٤] الخيل، وقد قُدْنا الخيول معنا. فقال:

---

(١) تاريخ دمشق (٣١٩/٦١).

(٢) أسد الغابة (٢٧٣/٥).

(٣) أبانان: تثنية أبان، انظر معجم البلدان (٦٢/١، ٦٣).

(٤) أحلاس: جمع حلس بالكسر، كساء على ظهر البعير تحت البردعة، ويبسط في البيت تحت حرّ الثياب (القاموس).

بارك اللَّه فيكم. قال: فاجعل اللواء الأكبر معنا. فقال أبو بكر: لا أغيِّره عن موضعه، هو في بني عبس. فقال الفزاري: أتقدم عليَّ من أنا خير منه؟ فقال أبو بكر: اسكتْ يا لُكَع، هو خير منكم، أقدم إسلامًا، ولم يرجع رجل منهم، وقد رجعت وقومك عن الإسلام. فقال العبسي - وهو ميسرة بن مسروق - ألا تسمع ما يقول يا خليفة رسول الله؟ قال: اسكت، فقد كُفِيت[١].

● **في فِحل أحد أبطالها المعدودين:**

كان ﵁ من سلاح الفرسان، وقائد قلبهم في معركة فحل بيسان. قال سالم بن ربيعة: حمل ميسرة ونحن معه يومئذ في الخيل في وقعة فِحل، فصرعت فرسه، فقتل يومئذ جماعة، وأحاطوا بنا إلى أن جاء أصحابنا فانقشعوا عنا[٢].

وفي رواية أخرى: «حمل ميسرة بن مسروق العبسي يومئذ ونحن معه في الخيل، فحملنا على القلب، وقد أخذ صف الروم ينتقض من قِبَل ميسرتهم وميمنتهم، ولم ينته إلى الانتقاض إلى القلب بعدُ، فثبتوا لنا، وقاتلونا قتالًا شديدًا، فصُرع[٣] ميسرة عن فرسه، وصُرعت معه، ويعتنق ميسرة رجلًا من الروم، فاعتركا ساعة فصرعه ميسرة فقتله، ثم شدَّ آخر على ميسرة فعانقه، واعتركا ساعة فَصَرَعَ مَيْسَرَةَ وجلس على صدره، وأشدُّ عليه فضربتُ وجه الرومي بالسيف فأطرتُ قحف رأسه ووقع ميتًا، ووثب ميسرة، وأقبل رجل منهم فضربني ضربة أدارني منها، وبصر به ميسرة فضربه فقتله»[٤].

- وشهد فتح حمص، واليرموك، ومع كبر سنه في معركة اليرموك فقد كان أسدًا ضرغامًا.. ويكفيه شهادة سيف اللَّه خالد: إنك ما علمتُ حسنُ البلاء عظيم الغناء.

---

(١) تاريخ دمشق (٦١/٣٢٠).

(٢) الإصابة (٦/١٨٨).

(٣) صُرِع: سقط.

(٤) «الطريق إلى دمشق» لأحمد عادل كمال ص (٣٣٩).

- **البطل العبسي قائد لفتح الجزيرة:**

حين سار عياض بن غنم بجيشه لفتح الجزيرة كان بطلنا ميسرة بن مسروق قائدا للمقدمة.

قال البلاذري: «سار ـ عياض ـ إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ثماني عشرة في خمسة آلاف وعلى مقدمته ميسرة بن مسروق العبسي، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي، وعلى ميسرته صفوان بن المعطل السلمي»[1].

- **ميسرة ومقتلته العظيمة بأرض الروم:**

قال الواقدي: «وفيها ـ يعني سنة عشرين ـ دخل ميسرة بن مسروق العبسي أروم الروم، فغنم وسلم، وكان أول من دخلها، ويُقال: أول من دخلها أبو بحرية الكندي سنة عشرين.

وقال عبدالرحمن بن يزيد بن جابر: دخل ميسرة بن مسروق العبسي أرض الروم في ستة آلاف، فوغل فيها وغنم وسبى، وجمعت له الروم، فلقيهم بمرج القبائل وهو في مسيرة، فحلف على السبقة، وهي جمعهم بنفسه، ومن معه فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فهزمهم الله، وكانت فيهم مقتلة عظيمة.

قال ابن جابر: فأدركت عظامهم تلوح في مرج القبائل، وهي إحدى ملاحم الروم التي أُبيروا فيها. قال ابن جابر: فكان ميسرة بن مسروق وأصحابه أول جيش للمسلمين دخل الروم»[2].

«وقال ابن الأعرابي في نوادره حَدَّثت عن الواقدي أن ميسرة بن مسروق أول من اطلع درب الروم من المسلمين»[3].

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري ص (١٧٧).

(٢) تاريخ دمشق (٦١/ ٣٢٠).

(٣) الإصابة (٦/ ١٨٨).

(٣٦٧) الصحابي القائد
مؤدب المرتدين بعُمان
حذيفة بن محصن الغلفاني رضي الله عنه

هو الصحابي حذيفة بن محصن القَلْعاني.

قال ابن الأثير: ضبطه أبو عمر بالقاف واللام والعين، وضبطه الطبري [الغلفاني] بالغين المعجمة واللام والفاء، فالله أعلم[١].

جهاده

لما ظهر في عمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامى في الجاهلية الجلندي، وادعى بمثل ما ادَّعى من تنبأ، وغلب على عمان مرتدًا، والتجأ جيفر وعباد إلى الجبال، وبعث جيفر إلى أبي بكر يخبره ويستمده عليه، بعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير، وعرفجة البارقي من الأزد، حذيفة إلى عمان، وعرفجة إلى مهرة، وكل منهما أمير على صاحبه في وجهه، فإذا قربا من عمان يكاتبان جيفرًا فسار إلى عمان، وأرسل أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل وكان بعثه إلى اليمامة فأصيب، فأرسل إليه أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان ومهرة، فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن، فلحقهما عكرمة قبل عمان، فلما وصلوا رجاما ـ وهي قريب من عمان ـ كاتبوا جيفرًا وعبادًا، وجمع لقيط جموعه، وعسكر بدَبا، وخرج جيفر وعباد وعسكرا بصحار[٢]، وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة في القدوم عليهما فقدموا عليهما، وكاتبوا رؤساء مع لقيط، وبدءوا بسيد بني جديد فكاتبهم وكاتبوه حتى

---

(١) الإصابة (٢/٣٨، ٣٩) ت (١٦٥١)، وأسد الغابة ت (١١١٢)، والاستيعاب ت (٥١٢).

(٢) صحار: هضبة عمان مما يلي الجبل، كانت مدينة طيبة كثيرة الخيرات.

ارفضوا عنه، ثم التقوا على دَبا فاقتتلوا قتالًا شديدًا، واستعلى لقيط، ورأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر، فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس، وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم فقوَّى اللَّه المسلمين بهم، ووهن بهم أهل الشرك فولي المشركون الأدبار، فقُتِل منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم وسبوا الذراري، وقسموا الأموال وبعثوا بالخُمس إلى أبي بكر مع عرفجة، وأقام حذيفة بعمان حتى يوطئ الأمور، ويسكن الناس[(١)].

قال ابن حجر «وذكر أبو عبيدة أنه دعا أهل عمان إلى الإسلام فأسلموا كلهم إلا أهل دَبا»[(٢)].

وقال: «قال خليفة: استعمله أبو بكر على عمان بعد عزل عكرمة. وكذا قال أبو عمر؛ وزاد فلم يزل عليها إلى أن مات أبو بكر. وقال عمر بن شبَّة: ولَّاه عمر على اليمامة»[(٣)].

«وله في قتال الفرس آثار كثيرة»[(٤)].



(١) الكامل (٢/٢٢٩).
(٢) دبا: سوق من أسواق العرب بعمان، وهي مدينة عظيمة مشهورة بعمان كانت قصبتها.
(٣) الإصابة (٢/٣٨- ٣٩).
(٤) أسد الغابة (١/٧٠٥).

(٣٦٨) الصحابي قائد مقدمة المسلمين في فتح أصبهان وقاتل مقدم الفرس عبدالله بن ورقاء الرياحي رضي الله عنه

ذكر الطبراني أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي غسان لما سيَّره إلى «أصبهان» أن يجعل على مقدمته عبداللَّه بن ورقاء الرياحي، وعلى المجنبة عبداللَّه بن ورقاء الأسدي، وقال في موضع آخر: عبداللَّه بن الحارث بن ورقاء الأسدي [١].

وقال ابن حجر: «عقد عمر بن الخطاب لعبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان على أصبهان فدخلها وعلى مقدمته عبداللَّه بن ورقاء الرياحي، فقتل مقدم الفرس» [٢].

ـ وذكر ابن الأثير في أحداث سنة ٢١هـ في فتح «أصبهان»:

«وفيها بعث عمر إليها عبداللَّه بن عبداللَّه بن عتبان.. وأمده بأبي موسى، وجعل على مجنبتيه عبداللَّه بن ورقاء الرياحي، وعصمة بن عبدالله، فساروا إلى نهاوند، وسار عبداللَّه فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان، وعلى جندها «الاستندار»، وعلى مقدمته شهر براز بن جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم، فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق لأصبهان فاقتتلوا اقتتالًا شديدًا، ودعا الشيخ إلى البراز فبرز له عبداللَّه بن ورقاء الرياحي فقتله، وانهزم أهل أصبهان، فسُمِّي ذلك الرستاق رستاقَ الشيخ إلى اليوم، وصالحهم «الاستندار» على رستاق الشيخ وهو أول رستاق أخذ من أصبهان» [٣] ثم مَنَّ اللَّه بفتح أصبهان.

فأول الخير كان على يد البطل عبداللَّه بن ورقاء الرياحي رضي الله عنه.

---

(١) الإصابة (٥/٧٨).

(٢) الإصابة (٤/١٣٥).

(٣) الكامل (٢/٤٢٢).

(٣٦٩) الصحابي القائد
سَلَمة بن قيس الأشجعي الغطفاني رضي الله عنه
هازم الأكراد، وفاتح جبال الأكراد في الأهواز

قال ابن حجر: «له صحبة...، وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح أن عمر استعمله على بعض مغازي فارس»(١).

قال ابن الأثير: «كان عمر إذا اجتمع إليه جيش من المسلمين أمَّر عليهم أميرًا من أهل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش من المسلمين؛ فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي فقال: «سر باسم الله، قاتل في سبيل اللَّه من كفر بالله، فإذا لقيتم عدوكم فادعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا وأقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفيء نصيب، وإن ساروا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم، وإن أبَوْا فادعوهم إلى الجزية، فإن أجابوا فاقبلوا منهم، وإنْ أَبَوْا فقاتلوهم، وإنْ تحصَّنوا منكم وسألوكم أن ينزلوا على حكم اللَّه ورسوله أو ذمة اللَّه ورسوله فلا تجيبوهم فإنكم لا تدرون أتصيبون حكم اللَّه ورسوله وذمتهما أم لا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا تمثلوا» قال: فساروا حتى لقوا عدوا من الأكراد المشركين فدعوهم إلى الإسلام، أو الجزية فلم يجيبوا، فقاتلوهم فهزموهم، وقتلوا المقاتلة، وسبوا الذرية فقسمه بينهم، ورأى سلمة جوهرًا في سفَط(٢) فاسترضى عنه المسلمين، وبعث به إلى عمر، فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر، فسأله عن أمور الناس وهو يخبره، حتى أخبره بالسفط، فغضب غضبًا شديدًا، وأمر به فوجيء به في عنقه، ثم إنه قال: إنْ تفرَّق الناس قبل أن تقدم عليهم، ويقسَّمه سلمة

(١) الإصابة (١٢٨/٣).

(٢) السفط: وعاء يوضع فيه الطيِّب ونحوه من أدوات النساء.
والسفط أيضًا: وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها، وجمعه أسفاط.

فيهم لأسوأنك. فسار حتى قدِم على سلمة فباعه وقسَّمه في الناس، وكان الفصُّ يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفًا»[١] .

* * *

(٣٧٠) الصحابي سَيْحان بن صُوحان العَبْدي رضي الله عنه
أحد الأمراء في قتال أهل الردة
ساق اللَّه الخير والنصر للمسلمين بقدومه في دَبَا

«كان أحدَ الأمراء في قتال أهل الردة، وقد تقدَّم أنهم كانوا لا يؤمِّرون إلا الصحابة»[٢] .

ولما التقى المسلمون والمرتدون بدَبا بعمان واقتتلوا اقتتالًا شديدًا، ورأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر، جاء سيحان بن صوحان على رأس عبد القيس بمدد للمسلمين وقاتل بمن معه فقوَّى اللَّه بهم المسلمين، ووهن بهم أهل الشرك، فولَّى المشركون الأدبار، فقُتِل منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم وسبوا الذراري وقسموا الأموال، وبعثوا بالخُمس إلى أبي بكر مع عرفجة[٣] .



---

(١) الكامل (٢/٤٤٦).
(٢) الإصابة (٣/١٩٥).
(٣) انظر الكامل (٢/٢٢٩).

(٣٧١) الصحابي الجليل
الطاهر بن أبي هالة التميمي رضي الله عنه
ربيب النبي ﷺ، صاحب الفتح العظيم
وهازم الأخابت من مرتدي عَكٍّ

هو الصحابي طاهر بن أبي هالة التميمي الأُسيْدي.

واسم أبي هالة: النباش بن زرارة بن وفدان بن حبيب بن سلامة بن غُوَيٍّ بن جروة ابن أُسَيِّد التميمي، حليف بني عبد الدار بن قصي بن كلاب، وهو أخو هند، ربيب النبي ﷺ، وأمه خديجة بنت خويلد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ.

بعثه النبي ﷺ خامس خمسة على مخاليف اليمن هو ومعاذ وطاهر بن أبي هالة وخالد بن سعيد وعكاشة بن ثور.

وكان أولَ من ارتد من أزد تهامة عَكٌّ بعد النبي ﷺ، وتجمَّع الأخابت من عكٍّ والأشعريون وأقاموا على الأعلاب ـ طريق الساحل ـ، وورد كتاب أبي بكر على الطاهر يأمره بقتالهم وسمَّاهم الأخابث، فسار إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق وقومه من عك ممن لم يرتد، فالتقوا على الأعلاب، فانهزمت عك ومن معهم وقُتلوا قتلًا ذريعًا، وأنتنت السبل لقتلهم، وكان ذلك فتحًا عظيمًا[(١)]... وأمنت الطرق، فرضي اللَّه عن البطل الطاهر ـ بن أطهر نساء العالمين خديجة بنت خويلد، القائل في قتال أهل الردَّة:

فَلَمْ تر عيني مِثل يَوْمٍ رَأَيْتُهُ ... بِخُبْثِ المَخَازِي في جُمُوعِ الأَخَابِثِ
فواللَّه لَوْلَا اللهُ لا ربَّ غيرُه ... لما فُضَّ بالأَجزاعِ جَمْعُ العَثَاعِثِ[(٢)]

* * *

(١) انظر الكامل (٢/٢٣٠)، والإصابة (٣/٤١٨) ترجمة (٤٢٥٣)، وأسد الغابة ت (٢٥٩٩).
(٢) الإصابة (٣/٤١٨).

(٣٧٢) الصحابي الصالح المبارك
فيروز الدّيْلمي رضي الله عنه
قاتل الأسود العنسي كذَّاب اليمن ـ لعنه اللَّه ـ

هو الصحابي المبارك أبو عبدالرحمن، وأبو الضحاك، وأبو عبدالله، فيروز الديلمي من الأبناء(١)، ويُقال: الحِمْيري؛ لنزوله في حِمْير ومحالفته إياهم.

هو قاتل كذَّاب اليمن الأسود العنسي، وشهد فتح مصر.

أما الأسود العنسي فاسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي، وعنس بطن من مَذِحج، وكان يلقَّب «ذا الخمار»؛ لأنه كان معْتمًّا مختمرًا أبدًا، وكان النبي ﷺ قد جمع لباذان حين أسلم وأسلم أهل اليمن عمل اليمن جميعه، وأمَّره على جميع مخاليفه، فلم يزل عاملًا عليه حتى مات، فلما مات جعل على اليمن شهر بن باذان.

وكان الأسود العنسي لما عاد رسول اللَّه ﷺ من حجة الوداع وتمرَّض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك فادَّعى النبوة، وكان مشعبذًا يريهم الأعاجيب، فاتبعته مَذِحج، وكانت ردة الأسود أول ردة في الإسلام على عهد رسول اللَّه ﷺ، وغزا نجران، فأخرج عنها عمرو بن حزم، وخالد بن سعيد، ووثب قيس بن عبد يغوث بن مشكوح على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء، وخرج إليه شهر بن باذان فلقِيَه فقُتِل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود، وخرج معاذ حتى لحق بأبي موسى وهو بمأرب فلحقا بحضرموت.

ولحق بفروة من تمَّ على إسلامه من مَذِحج، واستتب للأسود ملكُ اليمن، ولحق

---

(١) الأبناء: هم ولد الفرس الذين أتوْا إلى اليمن لمساعدة سيف بن ذي يزن على طرد الأحابيش وهم من أمهات عربيات.

أمراء اليمن بالطاهر بن أبي هالة إلا عمرًا وخالدًا فإنهما رجعا إلى المدينة والطاهر يومئذٍ بجبال عك وجبال صنعاء، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والإحساء إلى عدن، واستطار أمره كالحريق، وكان معه سبع مئة فارس يوم لقي شهرًا سوى الركبان، واستغلظ أمره، وكان خليفته في مذحج عمرو بن معديكرب، وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث، وأمر الأبناء إلى فيروز وداذويه، وكان الأسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله، وهي ابنة عم فيروز، وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشًا أو يظهر بها كذَّاب مثل الأسود، فتزوَّج معاذ إلى السكون فعطفوا عليه.

وجاء إليهم وإلى مَن باليمن من المسلمين كتاب النبي ﷺ يأمرهم بقتال الأسود، فقام معاذ في ذلك، وقويت نفوس المسلمين، وكان الذي قدم بكتاب النبي ﷺ وبر بن يحنس الأزديُّ، قال جشنس الديلمي: فجاءتنا كُتُب النبي ﷺ يأمرنا بقتاله، إما مصادمة، أو غيلة؛ يعني إليه وإلى فيروز وداذويه، وأن نكاتب من عنده دين، فعمَلنا في ذلك، فرأينا أمرًا كثيفًا، وكان قد تغيَّر لقيس بن عبد يغوث، فقلنا: إن قيسًا يخاف على دمه فهو لأول دعوة فدعوناه، وأبلغناه عن النبي ﷺ فكأنما نزلنا عليه من السماء، فأجابنا وكاتبنا الناس، فأخبره الشيطان شيئًا من ذلك، فدعا قيسًا أن شيطانه يأمره بقتله لميله إلى عدوه، فحلف له قيس لأنت أعظمُ في نفسي من أن أُحدِّث نفسي بذلك.

ثم أتانا فقال: يا جشنس، ويا فيروز، ويا داذويه، فأخبرنا بقول الأسود، فبينا نحن معه يحدثنا إذا أرسل إليه الأسود فتهددنا، فاعتذرنا إليه ونجونا منه ولم نَكَدْ، وهو مرتاب بنا ونحن نحذره، فبينا نحن على ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شهر، وذي زود، وذي مران، وذي الكلاع، وذي ظلم يبذلون لنا النصر، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئًا حتى نبرم أمرنا، وإنما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبي ﷺ، وكتب أيضًا إلى أهل نجران فأجابوه، وبلغ ذلك الأسود وأحس بالهلاك، قال:

فدخلت على آزاد وهي امرأته التي تزوجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان فدعوتها إلى ما نحن عليه وذكَّرتها قتل زوجها شهر وهلاك عشيرتها وفضيحة النساء فأجابت وقالت: واللَّه ما خلق اللَّه شخصًا أبغض إليَّ منه، ما يقوم لله على حق، ولا ينتهي عن مُحَرَّم، فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأمر. قال: فخرجتُ وأخبرت فيروز، وداذويه، وقيْسًا. قال: وإذْ قد جاء رجل فدعا قيسًا إلى الأسود، فدخل في عشرة من مذحج، وهمدان، فلم يقدر على قتله معهم، وقال له: ألم أخبرك الحق وتخبرني الكذب؟ إنه ـ يعني شيطانه ـ يقول لي: إن لا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك.

فقال قيس: إنه ليس من الحق أنْ أهلك وأنت رسول الله، فمُرْني بما أحببت أو اقتلني فموته أهون من موتات. فرقَّ له وتركه، وخرج قيس فمرَّ بنا وقال: اعملوا عملكم. ولم يقعد عندنا، فخرج علينا الأسود في جمع فقمنا له وبالباب مئة ما بين بقرة وبعير فنحرها ثم خلَّاها، ثم قال: أحقٌّ ما بلغني عنك يا فيروز ـ وبوَّأ له الحربة ـ لقد هممتُ أن أنحرك. فقال: لقد اخترتنا لصهرك، وفضلتنا على الأبناء، فلو لم تكن نبيًّا لما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة.

فقال له: اقسم هذه. فقسمها ولحق به، وهو يسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له: أنا قاتله غدًا وأصحابه. ثم التفت فإذا فيروز فأخبره بقسمتها، ودخل الأسود، ورجع فيروز فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس فجاءنا فاجتمعنا على أن أعود إلى المرأة فأخبرها بعزيمتنا، ونأخذ رأيها، فأتيتها فأخبرتها فقالت: هو متحرز، وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به، غير هذا البيت فإنَّ ظهره إلى مكان كذا وكذا، فإذا أمسيتم فانقُبوا عليه، فإنكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء، وستجدون فيه سراجًا وسلاحًا.

فتلقاني الأسود خارجًا من بعض منازله فقال: ما أدخلك عليَّ؟ ووجأ رأسي حتى سقطت، وكان شديدًا، فصاحت المرأة فأدهشته عني ولولا ذلك لقتلني،

وقالت: جاءني ابن عمي زائرًا ففعلت به هذا؛ فتركني، فأتيت أصحابي فقلتُ: النجاء الهرب وأخبرتهم الخبر، فإنَّا على ذلك حيارى إذْ جاءنا رسولها يقول: لا تدعن ما فارقتك عليه، فلم أزل به حتى اطمأن. فقلنا لفيروز: ائتها فتثبَّت منها. ففعل، فلما أخبرته قال: ننقب على بيوت مبطنة، فدخل فاقتلع البطانة وجلس عندها كالزائر، فدخل عليها الأسود فأخذته غيرة، فأخبرته برضاع وقرابة منها محرم، فأخرجه، فلما أمسينا عملنا في أمرنا وأعملنا أشياعنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين، فنقبنا البيت من خارج ودخلنا وفيه سراج تحت جفنة، واتقينا بفيروز وكان أشدنا فقلنا: انظر ماذا ترى؟ فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه في مقصورة، فلما دنا من باب البيت سمع غطيطًا شديدًا والمرأة قاعدة؛ فلما قام على باب أجلسه الشيطان وتكلم على لسانه وقال: ما لي ومالك يا فيروز؟ فخشي إنْ رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ برأسه فقتله ودقَّ عنقه، ووضع ركبته في ظهره فدقَّه، ثم قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه وهي ترى أنه لم يقتله، فقال: قد قتلته وأرحتك منه. وخرج فأخبرنا، فدخلنا معه فخار كما يخور الثور، فقطعت رأسه بالشفرة، وابتدر الحرس المقصورة يقولون: ما هذا؟

فقالت المرأة: النبي يوحَى إليه. فخمدوا، وقعدنا نأتمر بيننا فيروز، وداذويه، وقيس كيف نخبر أشياعنا؟ فاجتمعنا على النداء، فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذي بيننا وبين أصحابنا، ففزع المسلمون والكافرون، ثم نادينا بالأذان فقلت: أشهد أن محمدًا رسول الله، وأن عيهلة كذَّاب. وألقينا إليهم رأسه، وكتبنا إلى رسول اللَّه ﷺ بخبره وذلك في حياته، وأتاه الخبر من ليلته، وقدمت رسلنا وقد تُوفي رسول اللَّه ﷺ فأجابنا أبو بكر. قال ابن عمر: أتى الخبر من السماء إلى النبي ﷺ في ليلته التي قُتِل فيها فقال: «قُتل العنسي، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين»، قيل: وَمَن قتله؟

قال: «فيروز»[1].

فلله در فيروز ودرٌّ ابنة عمه آزاد التقية التي كان لها فضل كبير في تمكين فيروز من قتل الأسود العنسي.. وشكر اللَّه لها حسن صنعها.

- **ردَّة اليمن ثانية، وانتصار المسلمين بقيادة فيروز الديلمي على قيس بن مشكوح وأصحاب العنسي:**

لما بلغ موتُ النبي ﷺ قيسَ بن عبد يغوث بن مشكوح ارتد ثانية، وعمل في قتل فيروز وداذويه وجشيش، وكتب أبو بكر إلى عمر ذي مران، وإلى سعيد بن زود، وإلى ذي الكلاع، وإلى حوشب ذي ظليم، وإلى شهر ذي نياق يأمرهم بالتمسك بدينهم والقيام بأمر الله، ويأمرهم بإعانة الأبناء على من ناوأهم، والسمع لفيروز، وكان فيروز، وداذويه، وقيس قبل ذلك متساندين، فلما سمع قيس بذلك كتب إلى ذي الكلاع وأصحابه يدعوهم إلى قتل الأبناء وإخراج أهلهم من اليمن فلم يجيبوه ولم ينصروه على الأبناء، فاستعد قيس لقتل رؤسائهم، وكاتب أصحاب الأسود العنسي المترددين في البلاد سرًّا يدعوهم ليجتمعوا معه، واحتال قيس على داذويه حتى قتله، وجاء فيروز فلما دنا منه سمع امرأتين على سطحين تتحدثان، فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قُتل داذويه. فخرج فطلبه أصحاب قيس فخرج يركض، ولقيه جشيش فرجع معه، فتوجها نحو جبل خولان، وهم أخوال فيروز، فصعدا الجبل، ورجعت خيول قيس، فأخبروه فثار بصنعاء وما حولها، وأتته خيول الأسود، واجتمع إلى فيروز جماعة من الناس، وكتب إلى أبي بكر يخبره، واجتمع إلى قيس عوام قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، واعتزل الرؤساء.

وعمد قيس إلى الأبناء ففرَّقهم ثلاث فرق: من أقام أقرَّ عياله، والذين ساروا مع فيروز فرَّق عيالهم فرقتين: فوجَّه إحداهما إلى عدن ليحملوا في البحر، وحمل

---

(١) الكامل (٢/٢٠١- ٢٠٤).

الأخرى في البر، وقال لهم جميعهم: الحقوا بأرضكم. وبعث معهم من يسيرهم، فكان عيال الديلمي ممن سُيِّر في البر، وعيال داذويه ممن سُيِّر في البحر، فلما علم فيروز ذلك جدَّ في حربه وتجرد لها، وأرسل إلى بني عقيل بن ربيعة بن عامر يستمدهم، وإلى عك ليستمدهم؛ فركبت عقيل، وعليهم رجل من الحلفاء يُقال له: معاوية. فلقوا خيل قيس بن عامر ومعهم عيالات الأبناء الذين كان قد سيَّرهم قيس فاستنقذوهم، وقتلوا خيل قيس، وسارت عك وعليهم مسروق فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الأبناء، وقتلوا من معهم من أصحاب قيس، وأمدت عقيل وعك فيروز بالرجال، فلما أتته أمدادهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده فلقوا قيسًا دون صنعاء فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وانهزم قيس وأصحابه، وتذبذب أصحاب العنسي وقيس معهم فيما بين صنعاء ونجران، وقدم المهاجرُ بنُ أمية في جمع من مكة والطائف وبجيلة مع جرير إلى نجران، فأقبل عمرو بن معديكرب مستخفيًا من غير أمان، فأوثقه المهاجر، وأخذ قيسًا أيضًا فأوثقه وسيرهما إلى أبي بكر، فعادا إلى الإسلام وحسن إسلامهما.

أما أصحاب العنسي فقد سار إليهم المهاجر من نجران والتقت الخيول على أصحاب العنسي فاستأمنوا، فلم يؤمنهم، وقتلهم بكل سبيل، ثم سار إلى صنعاء فدخلها وكتب بذلك إلى أبي بكر[1]. وبهذا كان لفيروز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دور كبير في إخماد ردة اليمن الثانية.



(١) الكامل (٢/٢٣١-٢٣٣).

(٣٧٣) الصحابي الجليل
عبدالله بن مُقَرِّن المزني
قائد ميسرة المسلمين في حرب أهل الردة في ذي القَصَّة سنة ١١هـ

هو عبداللَّهَ بن مقرِّن، صاحب رسول اللَّهﷺ ، وأحد إخوة النعمان بن مقرن المزني.

لما ارتد العرب بعد موت رسول اللَّهﷺ اجتمعت عبس وثعلبة بن سعد ومرة بالأبرق من الربذة، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة، فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين: أقامت فرقة بالأبرق، وسارت فرقة إلى ذي القصة، وأمدَّهم طليحة الأسدي بأخيه حبال فكان عليهم وعلى من معهم من الدئل وليث ومدلج، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة، فقال أبو بكر: «واللَّه لو منعوني عقالًا؛ لجاهدتهم عليه»، فرجع وفدهم، فأخبروهم بقلَّة من في المدينة، وأطمعوهم فيها، وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنقاب المدينة عليًّا، وطلحة، والزبير، وابن مسعود، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم، فما لبثوا إلا ثلاثًا حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حسي؛ ليكونوا لهم رداءًا، فوافوْا ليلًا الأنقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم، وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أماكنكم ففعلوا، فخرج في أهل المسجد على النواضح، فردوا العدو وَاتَّبَعُوهُمْ حتى بلغوا ذا حسي، فخرج عليهم الرِّدء بأنحاءٍ قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال ثم دهدهوها بأرجلهم على الأرض؛ فَنَفَرَتْ إبل المسلمين وهم عليها - وهي لا تنفر من شيء نفارها من الأنحاء -، ورجعت بهم إلى المدينة، ولم يُصرع مسلم، ولم يُصب.

وظن الكفارُ بالمسلمين الوهنَ، وبعثوا إلى أهل ذي القَصَّة بالخبر؛ فقدموا

عليهم، وبات أبو بكر ليلته يتهيأ يعبي[(١)] الناس، وخرج على تعبئة يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن، وعلى أهل الساقة سُوَيْد بن مقرن ـ معه الركائب ـ، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيدٍ واحد، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذرَّ قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامَّة ظهرهم، وقُتِل رجال، وَاتَّبَعَهُمْ أبو بكر حتى نزل بذي القَصَّة[(٢)]، وكان أول الفتح، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة فَذَلَّ له المشركون[(٣)].

فرضي الله عن عبدالله بن مقرن وأرضاه، وجعل جنات الفردوس مأواه.



---

(١) أي: يعبئ.

(٢) ماء في أجا لبني طريف.

(٣) الكامل (٢/٢٠٧).

(٣٧٤) الصحابي
طُرَيفة بن حاجر السُّلمي رضي الله عنه
هازمُ الفجاءَة السلميَّ وآسره
وقاتل نجبة المرتد

هو الصحابي طُرَيفة بن أبان بن سلمة بن حاجر السُّلميُّ (١).

أما الفجاءة السلمي فاسمه إياس بن عبد ياليل، جاء إلى أبي بكر، فقال له: أَعِنِّي بالسلاح أقاتل به أهل الردة. فأعطاه سلاحًا، وأمَّره إمرة فخالف إلى المسلمين، وخرج حتى نزل بالجواء، وبعث نَجَبَة (٢) بن أبي الميثاء من بني الشريد، وأمره بالمسلمين، فشنَّ الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن، فبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طريفة بن حاجر يأمره أن يجمع له ويسير إليه، وبعث إليه عبدالله بن قيس الحاشي عونًا؛ فنهضا إليه وطلباه، فلاذ منهما، ثم لقياه على الجواء فاقتتلوا، وقتل نجبة، وهرب الفجاءة، فلحقه طريفة فأسره، ثم بعث به إلى أبي بكر، فلما قدم أمر أبو بكر أنْ تُوقد له نار في مُصَلًّى بالمدينة، ثم رمي به فيها مقموطًا (٣).

وفي «أسد الغابة»: «فالتقى نجبة وطريفة، فاقتتلا، فَقُتِلَ نجبة مرتدًا» (٤).

قال ابن حجر في ترجمة طريفة: وقد تقدَّم أنهم كانوا لا يؤمِّرون إلا الصحابة، وكان طريفة وأخوه معن بن حاجر مع خالد بن الوليد.

---

(١) انظر الإصابة (٣/٤٢٠) ت (٤٢٦٣)، وأسد الغابة (٣/٧٣) ت (٢٦٠٥)، والاستيعاب ت (١٣٠٧).

(٢) في الكامل (٢/٢١١): نخبة، وفي أسد الغابة (٣/٧٣): نَجَبَة.

(٣) الكامل (٢/٢١١)، ومقموطا: أي مجموعًا بين يديه ورجليه بحبل.

(٤) أسد الغابة (٣/٧٣).